Columbia University
in the City of New York
LIBRARY

Bought from the
Alexander I. Cotheal Fund
for the
Increase of the Library
1896

Coth. 43-47304

893.78 H273 v.2

الفن الخامس فى المقامات

المقامة عبارة عن كتابة حسنة التأليف أنيقة التصنيف تتضمن نكتة أدبية . ومدارُها على رواية لطيفة مختلقة تُسند الى بعض الرواة ووقائع شتى تُعزَى الى أحد الأدباء . والمقصود منها غالباً جمع دُرر الالفاظ وغرر البيان وشوارد اللغة ونوادر الكلام من منظوم ومنثور . فضلاً عن ذكر الفرائد البديعية . والرقائق الادبية . كالرسائل المبتكَرة . والخطب المحبّرة والمواعظ المبكية . والاضاحيك المُلهية [١] ولنذكر لك منتخبات من مقامات مختلفة فنقول

قال الحريرى المقامة التاسعة الاسكندرية [٢]

أخبر الحارث بن همام قال طَحانى [٣] مَرَحُ [٤] الشباب . وهوى الاكتساب [٥] الى أن جُبْتُ [٦] مابين فرغانة [٧] وغانة [٨] أخوض الغِمار [٩] لأجنِيَ الثمار . وأقتحِم الأخطار [١٠] لكى أُدرك الأوطار [١١] وكنت لقفْتُ

---

(١) أعلم ان المقامات تعرف بالمكان الذى تجرى فيه فيقال المقامات الحلبية أو الموصليه بناء على أن محل وقوعها حلب أو الموصل وربما نسبت الى المروي عنه ويستحب فى راوى المقامة أن يمثل كرجل ظريف النفس كثير الإسفار حسن الروية متفرغا لفنون الادب جادا فى طلب غرره كادا ذهنه فى تحصيل درره كالحارث بن همام فى المقامات الحريريه وعيسى بن هشام فى المقامات البديعية ويخترع هذا الراوى موضوع الزمان الهمذانى وبعده الحريرى واشتهر بعدهما كثيرون ممن نسجوا المقامات على منوالهما وان لم يبلغوا شأوهما (٢) تقدم تاريخه فى صحيفة ٩٧ (٣) ذهبت بى (٤) هو كالنشاط وشدة الفرح (٥) أي محبة اكتساب المال (٦) قطعت (٧) بلد بأقصى بلاد المشرق (٨) بلد بأقصى المغرب (٩) بالكسر جمع غمرة الكثير من الماء والمراد هنا الامور الصعبة (١٠) أى أدخل فى القحمة بالضم وهى الشدة والاخطار الامور العظيمة (١١) الحاجات

من أفواه العلماء . وثقفتُ [١] من وصايا الحكماء . أنه يلزم الأديبَ الاريب [٢] اذا دخل البلد الغريب . أن يستميل قاضيه [٣] ويستخلص مَراضيه [٤] ليشتدّ ظهره عند الخِصام . ويأمنَ فى الغربة جَوْر الحُكّام . فاتخذت هذا الادب [٥] إماما [٦] وجعلتُه لمصالحى زماما . فما دخلت مدينة . ولا ولَجتُ [٧] عرِينَة [٨] الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح . وتقويت بعنايته تقوّى الاجساد بالارواح . فبينما أنا عند حاكم الاسكندرية . فى عشيّة عَرِيّة [٩] وقد أحضَر . مال الصدقات . ليَنضّه [١٠] على ذوى الفاقات [١١] اذ دخل شيخ عِفرِية [١٢] تَعتِلُه [١٣] امرأة مضبية [١٤] فقالت أيّد [١٥] الله القاضى وأدام به التراضى [١٦] انى امرأة من أكرم جُرثومة [١٧] وأطهر أرُومة [١٨] وأشرف خُؤولة وعُمومة . مِيسَمى [١٩] الصوْن [٢٠] وشيمتى [٢١] الهوْن [٢٢] وخُلقى نعم العوْن [٢٣] وبينى وبين جارتى بوْن [٢٤] وكان أبى اذا خطبنى بناةُ [٢٥] المجد . وأربابُ الجدّ . سكّتهم [٢٦] وبكّتهم [٢٧] وعاف وَصاتهم [٢٨] وصِلتهم [٢٩] واحتجّ بأنه عاهدَ الله تعالى بحِلْفة . أن لايصاهِر [٣٠] غيرَ ذى

(١) أدركت (٢) العاقل (٣) يرغبه ويرضاه ويطلب ميله اليه (٤) يطلب خالص رضاه (٥) أى هذا الامر الظريف المستحسن (٦) قدوة أي أعمل بمقتضاه (٧) دخلت (٨) ماوى الاسد (٩) أي شديدة البرد أو ذات ريح باردة (١٠) يفرقه (١١) أى الفقراء المحتاجين (١٢) أى ذات خبث شديد الدهاء (١٣) تجره بعنف وجفاء (١٤) أى ذات صبيان (١٥) قوى وينصر (١٦) أراد به الرضى بين الخصوم بحيث يرضى بحكمه الغالب والمغلوب (١٧) أي أصل (١٨) الأرومة بالفتح أصل الشجرة ثم استعير لاصل الحسب (١٩) علامتى وأصل الميسم الآلة التى يكوى بها ويعلم (٢٠) الحفظ والعفاف (٢١) خلقى وعادتى (٢٢) الرفق (٢٣) أي الرفيق الظهير (٢٤) أي فرق وتفاوت فى الفضل (٢٥) بالضم جمع بان (٢٦) أى قال لهم كلاما لا يجدون له جوابا (٢٧) الزمهم الحجة (٢٨) أي كره قربهم (٢٩) أى عطاءهم (٣٠) اي لايزوج ابنته

حِرفة [١] فقيض القدرُ [٢] لنصبي ووَصبي [٣] أن حضر هـذا الخُدْعة [٤] نادِيَ أبي [٥] فأقسم بين رَهطه [٦] انه وَفقُ شرطه . وادَّعى أنه طالما نظم دُرَّة الى دُرَّة . فباعها ببَدْرة . [٧] فاغترَّ أبي بزخرفة محاله . وزوَّجنيه قبل اختبار حاله . فلما استخرجني من كِناسي [٨] ورحّاني عن أُناسي . ونقلني الى كَنَفه [٩] وحصّلني تحت أسْره . وجدته قُعدة جُثَمة [١٠] وألفيته ضُجَعة نُومَة [١١] وكنت صحبته برِياش [١٢] وزِيّ [١٣] وأثاث [١٤] وريّ [١٥] فما برح يبيعه فى سُوق الهضم [١٦] ويُتلفُ ثمنه فى الخضم [١٧] والقضم [١٨] الى أن مزّق مالى بأسره [١٩] وأنفق مالى فى عُسره . فلما أنساني طعم الراحة وغادَر [٢٠] بيتي أنقى من الراحة [٢١] قلت له ياهذا انه لامَخبأ بعد بُوس [٢٢] ولا عِطر بعد عَروس [٢٣] فانهَضْ للا كتساب بصناعتك . وأجنني [٢٤] ثمرة

---

(١) صناعة (٢) يعنى قدر الله تعالى (٣) لتعبي ومرضي (٤) الكثير الخداع (٥) مجلس أبي (٦) قومه وعشيرته (٧) البدرة عشرة الاف درهم (٨) أي منزلي وأصله بيت الظبي أو بقر الوحش (٩) بفتح الكاف وكسرها أي جانب بيته (١٠) كثير القعود كثير الجثوم أي يلازم الموضع الذي يقعد فيه (١١) الضجعة أصله العاجز الذي لايتصرف والنومة كثير النوم والمعنى انه عاطل عن العمل كسول (١٢) مال ولباس فاخر (١٣) يعنى هيئة حسنة (١٤) هو متاع البيت (١٥) حسن حال وكثرة نعمة وهو بكسر الراء فى الاصل اسم من روي من الماء يروى ريا (١٦) المراد يبيعه بأقل من القيمة (١٧) الاكل بجميع الفم (١٨) الاكل بأطراف الاسنان وقيل الخضم الاكل بأطراف الاسنان والقضم بمقدمها وقيل الخضم أكل الرطب والقضم أكل اليابس يريد أنه يصرف ثمنه في أنواع الاكل واللذات (١٩) أي فرق الذى لي (٢٠) ترك (٢١) بطن الكف لنقائه من الشعر (٢٢) أي فقر (٢٣) مثل قالته امرأة من بنى عذرة مات عنها زوجها واسمه عروس فتزوجها رجل أبخر وأمرها أن تتعطر فقالته (٢٤) أي مكنى من الجنى وهو جمع الثمرة

بَراعتك (١) فزعم (٢) أن صناعته قد رُمِيَتْ بالكساد (٣) لما ظهر فى الارض من الفساد . ولى منه سُلالة (٤) كأنه خِلالة (٥) وكلانا ما ينال معه شِبْعة (٦) ولا ترقا (٧) له من الطَّوَى (٨) دمعة . وقد قُدْته (٩) اليك . وأحضرته لديك لتَعْجُمَ (١٠) عُودَ دَعواه . وتحكُم بيننا بما أراك الله . فأقبل القاضى عليه وقال له قد وَعَيتُ (١١) قَصص عِرْسك . فبَرْهِن الآن عن نفسك . والا كشفتُ عن لَبسك (١٢) وأمرت بحبسك . فأطرقَ إطراقَ الأُفعُوان (١٣) ثم شَمَّر للحرب العَوان (١٤) وقال

إسمعْ حديثى فانه عَجَبُ ... يُضْحِكُ من شَرحه ويُنتحَبُ (١٥)

أنا امْرُؤٌ ليس فى خصائصه (١٦) ... عَيبٌ ولا فى فَخاره رِيَبُ

سُروجُ دارى التى وُلِدْتُ بها ... والأصل غسّان (١٧) حين أنتَسِب

وشُغْلِىَ الدرسُ والتبحّرُ فى الـ ... ـعلْمِ طِلابى وحبَّذا الطلب

ورأسُ مالى سِحرُ الكلام (١٨) الذى ... منه يُصاغُ القريضُ (١٩) والخُطب

أغوصُ فى لُجّة البيان فأخْـ ... ـتارُ اللآلى منها (٢٠) وأنتخب

وأجتنى (٢١) اليانعَ (٢٢) الجنىَّ (٢٣) من القـ ... ـول وغيرى للعود يَحتطِب

(١) أي فضلك وفوقانك على أقرانك (٢) ادعى (٣) هو خمود السوق وقلة البيع ضد النفاق بالفتح (٤) يعنى ولدا (٥) ما يتخلل به (٦) قدر مايشبع به مرة (٧) أى لا تسكن (٨) الجوع (٩) أتيت به (١٠) لتعض وتختبر (١١) فهمت وحفظت ماقصته زوجك (١٢) أظهرت اشكالك وتعمية أمرك (١٣) ذكر الافاعي أوالعظيم منها (١٤) الحرب التى تمثلها حرب وهى تكون أشد من الاولى (١٥) الانتحاب رفع الصوت بالبكاء (١٦) خصاله وطباعه (١٧) اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه منهم بنوجفنة ورهط الملوك وقيل غسان قبيلة (١٨) هو مالطف مأخذه ورق (١٩) الشعر (٢٠) أى أتعمق فى بليغ المعانى وأنتقى منها الملح (٢١) أقتطف (٢٢) الزاهى (٢٣) الطرى من الثمر الذي جنى حديثاً

وآخذُ اللفظَ فِضَّةً فإذا ... ماصغتهُ (١) قيل انه ذهب

وكنتُ من قبلُ أمترى نشباً (٢) ... بالأدب المُقتنى وأحتلب

ويمتطى (٣) أخمصى (٤) لحُرْمته ... مراتبا ليس فوقها رُتب

وطالما زُفّت الصِّلات الى ... رَبْعى (٥) فلم أرض كلّ من يهب (٦)

فاليومَ مَن يَعلقُ الرجاء به ... أكسدُ شيءٍ فى سُوقه الأدب (٧)

لاعِرضُ أبنائه يُصان ولا ... يُرْقب (٨) فيهم إلٌّ (٩) ولا نسب

كأنهم فى عِراصهم (١٠) جِيَفٌ ... يُبعدُ من نَتْنها ويُجتنب

فحار لُبّى (١١) لما مُنيتُ به (١٢) ... من الليالى وصَرْفها (١٣) عجب

وضاق ذرعى (١٤) لضيق ذات يدى ... وساورَتْنى (١٥) الهموم والكرب

وقادنى دهرى المُليمُ (١٦) الى ... سُلوك مايستشينه (١٧) الحسب (١٨)

فبعتُ حتى لم يبقَ لى لَبَدٌ (١٩) ... ولا بَتاتٌ (٢٠) اليه أنقلب

وأدّنتُ (٢١) حتى أثقلتُ سالفتى (٢٢) ... بحَمل دَيْنٍ من دونه العطب

---

(١) سبكته (٢) أى اكتسب مالا (٣) أى يركب (٤) ما ارتفع من باطن القدم عن الارض (٥) اى حملت الجوائز والهدايا الي منزلى (٦) اى لم أرض ان اكون تحت منة كل أحد بل لم أقبل الا من العظماء (٧) أى ان من يتعلق به الامل ويرجى منه النوال لا يستعمل الادب والمعارف حتى صارذلك كالسلعة الكاسدة عنده (٨) يحفظ (٩) بكسر الهمزة وتشديد اللام العهد والقرابة والجوار (١٠) جمع عرصة وهى فناء الدار أي كانهم فى مواضعهم (١١) تحير عقلي (١٢) بليت به (١٣) تقلبها (١٤) انقبض قلبي (١٥) وانبتنى وغلبتنى (١٦) الذى يأتي بما يلام عليه (١٧) يستبشعه (١٨) ما يعد من مفاخر الاباء أو الدين وقيل الكرم (١٩) يقال ماله سبدولا لبد أي شعر ولا صوف والمراد ذوات الشعر والصوف من المواشي وأراد الحريري انه لم يبق له كثير ولا قليل كناية عن شدة الفقر والحاجة (٢٠) الزاد ومتاع البيت (٢١) تداينت (٢٢) صفحة العنق وقيل مقدمه

ثم طويتُ الحشا على سَغَب (١) خمساً (٢) فلما أمضّنى (٣) السَّغب
لم أرَ الآ جهازَها عَرَضاً (٤) أجولُ فى بيعه وأضطرب
فجُلْتُ فيه والنفسُ كارهةٌ والعينُ عَبْرَى (٥) والقلب مكتئب (٦)
وما تجاوزتُ (٧) اذ عبثتُ (٨) به حدّ التراضى (٩) فيحدُثُ الغضب
فان يكن غاظَها توهُّمُها أنّ بَنانى بالنظم تكتسب
أو أنّنى اذ عزمتُ خطبتها زخرفت قولى لينجح الأرب (١٠)
فوالذى سارت الرفاقُ (١١) الى كعبته تستحثُّها (١٢) النُّجُب (١٣)
ما المكرُ بالمحصنات (١٤) من خُلُقى ولا شعارى (١٥) التمويه (١٦) والكذب
ولا يدى مُذ نشأتُ نِيط بها (١٧) الآ مواضى اليراع (١٨) والكتب
بل فكرتى تنظم القلائد (١٩) لا كفّى وشعرى المنظوم لا السُّخُب (٢٠)
فهذه الحرفة المشارُ الى ما كنتُ أحوِى بها وأجتلب
فاذنْ لشرحى كما أذِنتَ لها ولا تُراقِبْ (٢١) واحكم بما يجب

قال فلما أحكمَ ماشادَه (٢٢) وأكمل إنشاده . عطفَ القاضى الى الفتاة

---

(١) جوع (٢) خمس ليال (٣) أحرقنى (٤) حطام الدنيا وهو المال قل أو كثر (٥) دامعة باكية (٦) حزين (٧) تعديت (٨) فعلت به مالا يليق فعله (٩) أي حد الرضا (١٠) الحاجة (١١) جمع رفقة وهو جمع رفيق (١٢) تستعجلها (١٣) جمع نجيبة وهى الكريمة من الابل (١٤) العفائف جمع محصنة (١٥) تخلقى (١٦) تزين الكلام وأصله أن يصلى المعدن غير الذهب والفضة بأحدهما أو الفضة بالذهب (١٧) علق بها (١٨) جمع يراعة وهى القصبة الجوفاء والمراد الاقلام (١٩) جمع قلادة أصله ما تقلد به المرأة من الذهب والمراد ماينظم من القصائد والاشعار (٢٠) جمع سخاب وهو القلادة من القرنفل والسك ليس فيها من الجواهر شئ يجعل فى أعناق الاطفال (٢١) أى لا تنظر الى واحد منا والمراد لا تعدل عن الحق (٢٢) أى أتقن ما قاله وأنشأه من شاد البناء اذا طلاه بالشيد وهو الجص

بعد أن شُغِفَ (١) بالابيات . وقال أما انه قد نَبَتَ عند جميع الحكّام وولاة الأحكام . انقراضُ (٢) جيل الكرام (٣) ومَيلُ الأيام الى اللئام وانى لإخال (٤) بعلك (٥) صدوقاً فى الكلام . بَرِيّاً من الملام . وهاهو قد اعترفَ لك بالقرض . وصَرّح عن المحض . (٦) وبيّن مصداق النظم وتبين أنه معروق العظم (٧) وإعنات المُعذِر مُلأمة (٨) وحبس المعسر (٩) مأثمة (١٠) وكتمان الفقر زَهادة . وانتظار الفرج بالصبر عبادة . فارجعى الى خِدْرك (١١) وأعذُرى أبا عذْرك (١١) وتَنهى من غَرْبك (١٢) وسلّمى لقضاء ربك . ثم انه فرَضَ لهما فى الصدقات حِصّة . وناولهما من دراهمها قبصة . (١٣) وقال لهما تعلّلا (١٥) بهذه العُلالة (١٦) وتندّيا بهذه البُلالة (١٧) واصبرا على كيد الزمان وكَدّه . فعسى الله أن يأتِىَ بالفتح أو أمر من عنده . فنهضا وللشيخ فَرْحة المُطلَق من الإسار (١٨) وهزّة المُوسِر بعد الاعسار . قال الراوى وكنتُ عَرَفتُ أنه أبو زيد ساعة بَزغَتْ شمسُه . ونَزَعَتْ (١٩) عِرسه

(١) يروي بالعين المهملة من شعف الحب فؤاده اي علاه وشمله وبالغين المعجمة اي متن وبلغ حبها شغافه وهو غلاف القلب (٢) انقطاع وفناء (٣) أى جماعة الكرم والجيل أهل زمان واحد (٤) بكسر الهمزة اى لاظن (٥) زوجك (٦) الخالص (٧) كناية عن الهزال يقال عظم معروق اذا أخذ ما عليه من اللحم (٨) الاعنات الحمل على المشقة الشديدة والمعذر البالغ فى العذر أوهو الذي يأتي بمايعذر به ويطلق على المحقق العذر وعلى الذى بان عذره والملأمة اللؤم (٩) العاجز عن قضاء الدين (١٠) الثلام (١١) بيتك وسترك (١٢) أبو عذر المرأة أول زوج لها (١٣) أى كفى وازجرى نفسك عن الحدة (١٤) هى ما يتناوله الانسان بأطراف أصابعه (١٥) تشاغلا وتلاهيا (١٦) ما يتعلل به وأصلها بقية اللبن (١٧) قدر ما يبل به الشئ واسم للبقية أيضاً (١٨) القيد الذي يشد به الاسير (١٩) خبثت والنزع الذكر بالقبيح والافساد بين الناس ومعناه خاصمته عرسه

وكدتُ أفصحُ عن افتتانه[١] وأثمار أفنانه[٢] ثم أشفقتُ[٣] من عُثور[٤] القاضى على بُهتانه[٥] وتزويق[٦] لسانه . فلا يرى عند عِرفانه[٧] أن يُرشّحه[٨] لإحسانه . فأحجمتُ[٩] عن القول إحجامَ المُرتاب[١٠] وطويت ذكره كطَىّ السِّجِلّ للكتاب[١١] الا أنى قلتُ بعد مافصّل[١٢] ووصل الى ماوصل . لو أنَّ لنا مَن يَنطلِق فى أثره . لأتانا بفَصّ خبره[١٣] وما يُنشرُ من خِبَره[١٤] فأتبعَه[١٥] القاضى أحدَ أمنائه . وأمره بالتَّجسُّس[١٦] عن أنبائه[١٧] فما لَبثَ أن رَجع مُتدَهْدِهاً[١٨] وقهقَر مُقهقِهاً[١٩] فقال له القاضى مَهْيَم[٢٠] يا أبا مريم[٢١] فقال له لقد عاينتُ عَجبا . وسمعتُ ما أنشأ لى طَرَبا . فقال له ماذا رأيت . وما الذى وَعيت . قال لم يَزَل الشيخُ مذ خرج يُصفّق بيديه . ويُخالفُ بين رجليه[٢٢] ويُغرّدُ بملء شِدْقيه . ويقول

---

(١) يقال أفتن الرجل فى حديثه اذا جاء بالافانين وهى الاساليب والمراد هنا تصرفه فى الفنون والمعارف (٢) جمع فنن بالتحريك وهو طرف الغصن (٣) خفت (٤) اطلاع (٥) كذبه (٦) التزويق التحسين والتزيين مأخوذ من الزاووق وهو الزئبق (٧) معرفته (٨) الترشيح التربية والتأهيل من ترشيح الظبية ولدها لانها اذا بلغ ولدها السعي سعت به حتى يرشح عرقا فيقوى ويأتى بمعنى التقوية أيضاً (٩) تأخرت (١٠) الشاك (١١) السجل الصحيفة فيها الكتابة أى كما تطوى الصحيفة الكتابة (١٢) ذهب (١٣) بحقيقة حاله (١٤) الخبر أردية يمانية موشاة جمع حبرة والمراد مايذكره من الكلام المسجع الشبيه بالحبر فى الحسن (٥) أي أرسل وراءه من يتبعه (١٦) أى بالبحث سراً بحيث لا يشعر (١٧) اخباره (١٨) التدهده الاسرع من دهدهت الحجر اذا دحرجته وتبدل الهاء الاخير ياء فيقال تدهدى تدهديا (١٩) القهقرة المشي الى الوراء والقهقهة الضحك بصوت (٢٠) اي ما الخبر وهى كلمة لاهل اليمن معناها ما خبرك وما شأنك (٢١) يقال لعون القاضي أبو مريم (٢٢) أى يرقص

كِدْتُ أَصْلَى (١) ببلْيَه من وَقَاح (٢) شَمَرِيَّه (٣)
وأزورُ السجنَ لولا حاكمُ الإسكندَرِيَّه

فضَحِك القاضى حتى هوت (٤) دِرَيَّتُهُ (٥) وذوتْ (٦) سَكينته (٧) فلما فاء (٨) الى الوَقار . وعَقَّبَ الاستغرابَ بالاستغفار . قال اللهم بحُرمَة عِبادِك المقرَّبين . حَرِّم حَبسى على المتأدِّبين . ثم قال لذلك الأمين . علىَّ (٩) به فانطلق مُجِدًّا فى طلبه . ثم عاد بعد لأْيٍ به (١٠) مخبراً بِنأْيِه (١١) فقال له القاضى أما إنّه لو حضَر . لَكُفِىَ الحَذَر (١٢) ثم لأوْليته ما هو به أوْلَى . ولأرَيتُه أنّ الآخرة خيرٌ له من الأولى . قال الحارث بن همام فلما رأيت صغو (١٣) القاضى اليه . وفوت ثمرة التنبيه عليه (١٤) غَشيتنى ندامةُ الفَرَزْدِق (١٥) حين أبانَ النَّوار (١٦) والكُسَعِىَّ (١٧) لما استبان النهار

(١) احترق (٢) الوقاح قليلة الحياء بينة القحة والوقاحة وحافر وقاح صلب (٣) الشمرى الماضى في الامور الحاد فيما يحاول (٤) وقعت «٥» بتشديد النون والياء جميعا فلنسوة طويلة يلبسها القضاء كأنها منسوبة الى الدن «٦» ذبلت وفترت «٧» وقارته (٨) رجع (٩) أى ائت به واحضره (١٠) اللأى كالسعى الابطاء والاحتباس (١١) اي بعده (١٢) ما يحذر منه ويخاف (١٣) ميله (١٤) أتتنى وحضرتنى (١٥) هو همام بن غالب التميمى الشاعر (١٦) النوار على وزن سحاب اسم زوجة الفرزدق وكان قد طلقها ثم ندم على ذلك ومن شعره فى ذلك قوله

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار
ولوانى ملكت يدي وأمري لكان على للقدر الخيار

(١٧) الكسعى هو عامر بن الحارث نسبة الى كسع بضم الكاف وفتح السين حى من بنى ثعلبة كان راعيا وعمل قوسا بعد طول تعب ثم رمى عنها ليلا فنفذت في الرمية ووقع السهم فى حجر فقدح منه الشرر فظن ان السهم أخطأ الرمية فرمي ثانيا وثالثا الى آخر الاسهم وكانت خمسا وهو يظن خطأها فعمد الى قوسه فكسرها ثم بات فلما أصبح تبين أن اسهمه كلها أصابت فندم ندما شديداً فضربت العرب المثل به فى الندامة

المقامة الحرزية للبديع الهمذانى

حدثنا عيسى بنُ هشام قال لما بلغت بى الغربة باب الأبواب • ورضيت من الغنيمة بالاياب • ودونه من البحر وثاب بغاربه • ومن السفن عساف براكبه • استخرتُ الله فى القفول • وقعدت من الفلك • بمثابة الهلك • ولما ملكنا البحر • وجن علينا الليل • غشيتنا سحابة تمد من الامطار حبالا ونحوذ من الغيم جبالا • بريح ترسل الامواج أزواجا • والامطار أفواجاً وبقينا فى يد الحين • بين البحرين • لا نملك عدة غير الدعاء • ولا حيلة الا البكاء • ولا عصمة غير الرجاء • وطوينا ها ليلة نابغية • وأصبحنا نتبا كى ونتشا كى • وفينا رجل لا يخضل جفنه • ولا تبتل عينه • رخى الصدر منشرحه • نشيط القلب فرحه • فعجبنا والله كل العجب وقلنا له ما الذى آمنك من العطب • فقال حرز لا يغرق صاحبه • ولو شئتُ أن أمنح كلا منكم حرزاً لعلمت • فكلٌ رغب اليه • وألح فى المسألة عليه • فقال لن أفعل ذلك حتى يعطينى • كلُّ واحد منكم دينارا الآن ويعدنى ديناراً اذا سلم قال عيسى بن هشام فنقدناه ماطلب ووعدناه ما خطب • وآبت يده الى جيبه فأخرج قطعة ديباج فيها حقة عاج قد ضمن صدرها رقاعاً وحذف كلَّ واحد منا بواحدة منها • فلما سلمت السفينه • وأحلتنا المدينة • اقتضى الناس ما وعدوه فنقدوه • وانتهى الامر الىّ فقال دعوه • فقلتُ لك ذلك بعد أن تعلمنى سر حالك • قال أنا من بلاد الاسكندرية فقلت كيف نصرك الصبرُ وخذلنا فأنشأ يقول

ويكَ لولا الصبرُ ما كنـــتُ ملأتُ الكيسَ تبرا

لَن ينَال المجدَ مَن ضا ق بما يَغشاه صَدْرا
ثم ما أعقبنى السا عةَ ما أعطيتُ ضُرّا
بل به أشتدّ أزْرًا وبه أجبُرُ كسرا
ولو أنّى اليومَ فى الغَرْ قَى لمَا كُلِفْت عُذْرَا

المقامة البشرية

حدثنا عيسى بنُ هشام قال كان بشر بن عَوَانة العَبْدىّ صُعلوكا فأغار على رَكْب فيهم امرأةٌ جميلة فتزوّج بها وقال ما رأيت كاليوم فقالت

أعجَبَ بِشراً حَوَرٌ فى عَينى وساعِدٌ أبيضُ كاللُّجَين
ودونَه مَسْرَح طرف العين خُمْصانةٌ تَرْفُل فى حِجلَين
أحسنُ مَن يمشى على رِجلين لو ضَمّ بِشرٌ بينها وبينى
ادامَ مجرى وأطال بينى ولو يقيس زَيْنُها بِزَيْنى
لأسفَرَ الصُّبْح لذى عَينين

قال بِشرٌ وَيْحَكِ مَن عَنَيت فقالت بنتَ عمك فاطمة فقال أهى من الحسن بحيثُ وَصَفتِ قالت وأزيد وأكثر فأنشأ يقول

ويْحكِ ياذاتَ الثنايا البيض ما خلتُنى منك بمُستَعيض
فالآن اذ لَوّحتِ بالتعريض خَلَوْتِ جوًّا فاصفِرى وبيضى
لا ضمّ جَفْنَاىَ على تغميض مالم أشُلْ عرْضى من الحَضيض

فقالت كم خاطِبٍ فى أمرها ألَحّا وهى اليك ابنةُ عَمّ لَحّا

ثم أرسل الى عمه يَخطُب ابنته . ومَنَعَه العَمّ أُمنيّته . فآلى ألاّ يُرْعى على أحد منهم أن لم يزوّجه ابنته . ثم كَثُرت مَضرّاته فيهم واتصلت مَعرّاته اليهم

فاجتمع رجال الحىّ الى عمه وقالوا كُفّ عنا مجنونك فقال لا تلبسونى عارا وأمهلونى حتى اُهلكه ببعض الحيل. فقالوا أنت وذاك ثم قال له عمّه انى آليتُ أن لا أزوّج ابنتى هذه الاّ ممن يسوق اليها ألفَ ناقة مهراً ولا أرضاها الا من نوقِ خُزاعةَ وغرضُ العم كان أن يسلكَ بشرٌ الطريق بينه وبين خُزاعة فيفترسه الأسد لأنّ العرب قد كانت تحامتْ عن ذلك الطريق وكان فيه أسدٌ يُسمى (داذاً) وحيّةٌ تُدعى (شُجاعا) يقول فيهما قائلهم

أفتكُ من داذٍ ومن شُجاع ان يكُ داذٌ سيّد السباع
فانها سيّدةُ الأفاعى

ثم انّ بشراً سلك ذلك الطريق فما نصفه حتى لقى الأسد وقمصَ مُهرُه فنزل وعقره ثم اخترطَ سيفه الى الأسد واعترضه وقطّه ثم كتب بدمِ الاسد على قميصه الى ابنة عمّه

أفاطمُ لو شهدتِ ببطنِ خبْتٍ وقد لاقى الهزبرُ أخاكِ بِشرا
اذاً لرأيتِ ليثاً زارَ ليثا هزبراً أغلباً لاقى هزبرا
تبيّنَ حين أحجمَ عنه مُهرى مُحاذرةَ فقلتُ عقرتَ مُهرا
أنِلْ قدمىّ ظهرَ الارض انى رأيتُ الأرضَ أثبتَ منك ظهرا
وقلت له وقد أبدى نصالا مُحدّدة ووجهاً مُكفهرّا
يُكفكفُ غيلةً إحدى يديه ويبسُط للوثوب علىّ أُخرى
يدلّ بمخلبٍ وبحدّ نابٍ وباللحظات تحسبُهنّ جمرا
وفى يُمنايَ ماضى الحدّ أبنى بمضربه قِراعُ الموت أثرا
ألم يبلغْك ما فعلت ظُباة بكاظمةٍ غداةَ لقيتُ عمرا

وقلبى مثلُ قلبك ليس يخشى مُصاولةً فكيفَ يخاف ذُعْرا
وأنتَ تروم للاشبالِ قُوتاً وأطلبُ لابنةِ الأعمام مَهرا
ففيمَ تسوم مثلى أن يُوَلِّى ويجعل فى يديك النفس قَسْرا
نصحتُك فالتمِسْ ياليثُ غيرى طعاماً إنَّ لَحمى كان مُرًّا
فلما ظَنَّ أنَّ الغشَّ نُصحى وخالفنى كأنى قلت هُجْرا
مَشَى ومَشيت من أسدَيْن رَاما مَرَاماً كان اذ طَابَاه وَعْرا
هززْتُ له الحُسامَ فخِلت أنى سَللتُ به لدَى الظلماء فَجْرا
وجُدْتُ له بجائشةٍ أرتْهُ بأن كذَبَتْه ما منَّتْه غدْرا
وأطلقتُ المُهنَّد من يمينى فقَدَّ له من الاضلاع عشْرا
فخرَّ مُجدَّلاً بدَمٍ كأنى هدَمْت به بناءً مُشْمَخِرّا
وقلت له يَعزّ علىَّ أنى قتلتُ مُناسِبى جَلدًا وفخرا
ولكن رُمْتَ شيأ لم يَرُمْه سواكَ فلم أُطِقْ ياليثُ صبرا
تحاولُ أن تُعلِّمَنى فِراراً لَعَمْرُ أبيك قد حاولتُ نُكْرا
فلا تجزع فقد لاقيتَ حُرًّا يُحاذِر أن يُعابَ فمُتَّ حُرًّا

فلما بلغَتِ الابياتُ عَمَّه نَدم على ما منعه تزويجها وخشى أن تغتاله الحيّة فقام فى أثره وبلَغَه وقد مَلَكتْه سَورَة الحيّة فلما رأى عَمَّه أخذته حَمِيّة الجاهلية فجعل يده فى فَمِ الحية وحَكّم سيفه فيها فقال

بِشْرٌ الى المجد بعيدٌ همّهُ لما رآه بالعَراء عَمّهُ
قد ثَكلَتْه نفسُه وامُّهُ جاشتْ به جائشةٌ تُهمّه
قامَ الى ابنٍ للفلا يؤمُّهُ فغابَ فيه يدُهُ وكُمُّه

ونفسُه نفسى وسُمّى سُمُّه

فلما قتل الحيّة قال عمّه انى عرّضتُك طمعاً فى أمر قد ثنى الله عِنانى عنه فارجع لأزوّجك ابنتى فلما رجع جعل بِشرٌ يملأ فمه نخرا حتى طلع أمْرَدُ كشقّ القمر على فرسه مدجّجاً فى سلاحه فقال بِشرٌ ياعمّ انى أسمع حِسّ صيدٍ وخرج فاذا بغلام على قيدٍ فقال ثكلتك أمُّك يابِشر أن قتلتَ دودةً وبهيمةً تملأ ماضغيْكَ نخراً أنتَ فى أمانٍ إن سلّمت عمّك فقال بِشرٌ من أنت لا أمَّ لك قال اليومُ الأسود والموتُ الأحمر فقال بشر ثكلتك من سلحتك فقال يابشر ومَن سلحتك وكرّ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه فلم يتمكن بِشرٌ منه وأمكن الغلامَ عشرون طعنةً فى كُليّةِ بِشرٍ كلما مسّه شبا السِّنان حماه عن بدَنه إبقاءً عليه ثم قال يابِشر كيف ترى أليس لو أردتُ لأطعمتُك أنيابَ الرمح ثم ألقى رُمحه واستلّ سيفه فضرب بشراً عشرين ضربة بعَرْض السيف ولم يتمكن بِشرٌ من واحدة ثم قل يابشر سَلِم عمّك واذهب فى أمانٍ قال نعم ولكن بِشريطة أن تقول لى مَن أنت فقال أنا ابنُك فقال ياسبحان الله ما قارَبتْ عقيلةٌ قط فأنّى هذه البِنحة فقال أنا ابن المرأة التى دلّتك على ابنة عمك فقال بشر

تلك العَصا من هذه العُصَيّه هل تَلِد الحيّةُ الا الحيّه

وحلف لا رَكِب حصاناً ولا تزوّج حَصاناً ثم زوّج ابنة عمه لابنه

الفن السادس فى الروايات

الرواية عبارة عن ذكر قولٍ أو فعلٍ حَدَثا أو أمكنَ حدوثهما وخواصُّها أربعةٌ الإيضاح والإيجاز والإمكان والتلطّف (فالإيضاح) يكون

بتقديم فرش للحديث وتوطئةٍ للخبر يُقرّبُ مأخذ الرواية وبمراعاة الترتيب الطبيعى فى إيراد ظروف الخبر مالم يكن للراوى غرضٌ لتجاوز هـذا النظام وبالعدول عن كثر الاستطرادات فى إنشاء الحديث لأنّ ذلك يَصرِفُ العقلَ عن سـياق الرواية ويَذهبُ برونقها (والإيجاز) حذفُ فضولِ وحشوِ الكلام مع انتقاء أخصّ الظروف وأنسبها للغاية ولا بأس بالإطناب اذا مادعا اليـه مقتضى الحـال (والإمكانُ) ترشيح الرواية للقبول فى ذهن السامع (والتلطف) فى الرواية أن يَبلُغَ الكاتبُ كُنهَ القلوب ويأخذ بمجامع اللبّ بأن ينتقل فيها من حال الى حال لان النفس قـد جُبلت على محبّة التحوّل وطُبعت على إيثار التنقّل . وللرواية ثلاثة أجزاء صدرُها وعقدتُها وختامُها (فالصدر) التوطئة للواقع بحيث يقِفُ السامع على اسماء الأشخاص وطباعهم وعلى مكان الواقع وسوابق العمل (والعقدة) هى الجزء الذى على محْورِهِ تدور الرواية وهو المجالُ الأوسع الذى تتقابل الأشخاص وتشتبك الأحوال وتَضطرِم فى النفس لواعجُ الشوق للوقوف على عاقبة الأمر فتنقل من الرجاء الى الخوف ومن الفرح الى الحزن (والختام) الجزء الأخـير من الرواية الذى به تُفكُّ الإربة وتُحلُّ رباق الحديث فتنالُ النفوس بذلك مرامَها وتفوزُ بوَطَرِها . وسِمتُهُ أن يكون فُجائياً مُرتبطاً مع ماقبله ارتباطاً محكماً وافياً بالمراد بحيث ترضَى به النفوسُ وترتاحُ اليه القلوب وشواهدُ الرواية كثيرةٌ لانُطيل بذكرها أفرَدها الادباء بالتآليف العديدة فارجع اليها ان شئت

الفصل السابع فى التاريخ

التاريخ عـلم يُبحثُ فيـه عن سوالف الامور . ويُخبِرُ عن أحوال

الغوابر من الأمم وأصوله ثلاثة (الأول) الأحاديث المنقولة بالتقليد ويقتضى فى اختيارها دقة نظر وانتقاد (الثانى) الآثار القديمة كالنقود المضروبة والأبنية المشيدة والأعمدة والرسوم الى غير ذلك (الثالث) العلوم والمعارف من نظم ونثر وغيرهما

النظم فى عصر الجاهلية (١)

كان الشاعر العربي يقول الشعر بالبديهة لحدة خاطره فيرتجل القول ارتجالا وقد يتعمد القول فى بعض الأحيان ويجهد خاطره فيه فقد كان لزهير بن أبى سلمى قصائد لقبت بالحوليات كان ينظم الواحدة منها ثم يهذبها بنفسه ثم يعرضها على أصحابه فلا يشهرها حتى يأتى عليها حول

وقد ولج الشعراء فى عصر الجاهلية أبواباً كثيرة من الشعر فوصفوا ومدحوا وهجوا وفخروا ودونوا الأخبار وضربوا الأمثال ورغبوا وأرهبوا ولم يتركوا شيئاً وقع تحت حسهم حتى تناولوه بمقالهم فأجادوا وأبدعوا مع سهولة فى اللفظ ومتانة فى التركيب وتوخ للحقيقة وبعد عن الغلو . ولقد تركوا فيما تركوه من أشعارهم مايمكن أن يستخرج منه بيان لعاداتهم وسائر أحوالهم ومع أن منهم من سكن البادية على خشونة فى العيش قد أتوا فى كلامهم بالعجب العجاب من السهولة والانسجام ورائع الحكم ودقيق الشعور والوجدان كما ترى ذلك فيما أوردناه فى هذا الكتاب من كلامهم وجيد أشعارهم وكان الشعر ديوان علمهم ومستودع حكمتهم والضابط لأيامهم وقيد كلامهم والحاكم لهم والشاهد عليهم وله من نفوسهم أسمى مكانة وأرفع

(١) ذكرنا فى فن التاريخ هذه النبذة المنتخبة من (ادبيات اللغة العربية) بتصرف

قدر ومما يدلك على علوّ قدر الشعر أنّ القبيلة من العرب كانت اذا نبغ فيها شاعر أتتها القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن كما يصنعن بالأفراح وتباشروا به لأنه يحمى أعراضهم ويدفع عن أحسابهم ويُخلّد مآثرهم ويشيد بذكرهم

وكان للشعر تأثير فى النفوس وسلطة عليها حتى كانت تخشى بأسه الأمراء وتتحاماه الكبراء . وطالما وضع قوماً ورفع آخرين

وكان لِشُعراء العرب أنفة من التكسّب بالشعر حتى نشأ النابغة الذُّبيانى قُبيل الاسلام فمدح الملوك وقبل الصِّلة على الشعر وجاء بعده الأعشى وقد أدرك الاسلام ولم يُسلِم فجعل الشعر مَتْجَرا وانتجع به أقاصى البلاد وقصد ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته . وكان زُهير بن أبى سُلمَى ممن أفاد بشعره بمدائحه لهرِم بن سنان . على أن شيئاً من ذلك لم يضعْ من قَدْرِ الشعر ولم يحُطّ من قيمته لقِلّة مَن كانوا يتكسبون بشعرهم فى ذلك العصر

ومدة العصر الجاهلى نحو مائة وخمسون سنة ومن أشهر ماقيل فيه من الشعر المعلقات السبع وهى سبع قصائد من أجود الشعر العربى وأحسنه أسلوبا ويقال انها كتبت بالذهب على الحرير وعلقت على الكعبة تنويهاً لها وتعظيما لشأنها وكان العرب يتناشدونها فى مجتمعاتهم مترنّمين بما فيها من محاسن الشِّيَم مُعْجَبين بما اشتملت عليه من المعانى الشريفة والتشبيه الحسن البديع وحسن الوصف ودقة المعنى وغير ذلك من المحاسن

وأصحابها هم امرؤُ القيس وطَرَفَة بن العبد وزهير وعمرو بن كُلثوم ولبيد وعنترة والحارث بن حِلِزَة وكلهم من فحول شعراء الجاهلية وممن اشتهر

فى العصر الجاهلى من الشعراء غير أصحاب المعلقات وكان من فحول الشعراء النابغة الذُّبْيَانى والأعشى والمُهَلْهِل وعَبيد بن الأبرص والسَّمَوْءل والشَّنْفَرَى ودُرَيد بن الصِّمَّة وأوس بن حَجَر وحاتم الطائى

النثر فى عصر الجاهلية

قد أُثِر عن العرب من منثورهم فى العصر الجاهلى بعض الأمثال والحِكَم والخُطَب والوصايا مما عَلِق بالضمير لحسنه وحَرَصت عليه النفس لنفاسته

(الأمثال) جمع مَثَل وهو جملة من القول مقتطعة من أصلها أو مرسلة بذاتها فتُنْقَل عما وردت فيه الى مايصح قصده بها من غير تغيير يلحقها فى لفظها . . والعرب من أكثر الأمم أمثالا للحكمة المُودَعة فى نفوسهم ولفصاحة ألسنتهم وميلهم الى الايجاز فى القول . وقد أُلِّفت مجموعات للأمثال وطُبِع بعضها ومن ذلك مجموعة للميدانى جمع فيها أكثر من ستة آلاف مثل

(الحِكَم) جمع حِكْمة وهى الكلام المعقول الموافق للحق المصون عن الحشو والعرب من أكثر الأمم ايرادا للحكمة فى عبارات حسنة الأسلوب متينة التركيب كلها من جوامع الكلم صادرة عن خبرة ودراية وصفاء نفس

(الخُطَب والوصايا) الخطب جمع خطبة والوصايا جمع وصية وكُلٌّ من الخطبة والوصية يُرَادُ به جملة من القول يقصد فيها الى الترغيب فيما ينفع الناس من أمور معاشهم ومعادهم والتنفير مما يضرهم وقد تشتمل على الفخر والمدح ونحو ذلك

والفرق بين الخطب والوصايا أن الخطب تكون فى المَشَاهد والمجامع والأيام والمواسم والتفاخر والتشاجر ولدَى الكُبَراء والأمراء ومن الوفود

فى أمرٍ مُهِمّ وخَطْبٍ مُلِمّ . وأما الوصايا فانها تكون لقوم مخصوصين فى زمن مخصوص على شئ مخصوص وكثيرا ما كانت تصدر من شخص لعشيرته أو سيد لقبيلته عند حلول مرض أو محاولة نُقْلة أو ماشابه ذلك

﴿ السبب الذى دعا العرب الى الخطابة وما يتعلق بذلك ﴾

لايخفى ما كانت عليه العرب أيام جاهليتهم من الأَنَفة والتفاخر بالأحساب والأنساب والمحافظة على شرفهم وعلو مجدهم وسوددهم حتى حدث ماحدث بينهم من الوقائع العظيمة ولا شك أن كل قوم يتفق لهم مثل ذلك هم أحوج الناس الى مايستنهض هممهم ويوقظ أعينهم ويقيم قاعدهم ويشجع جبَانهم ويشدّ جنَانهم ويثير أشْجانهم ويستوقد نيرانهم صيانة لعزهم أن يُسْتَهان ولشوكتهم أن تُسْتَلان وتَشَفِّيا بأخذ الثار وتحَرُّزا من عار الغلبة وذُلّ الدَّمَار وكل ذلك من مقاصد الخطب والوصايا فكانوا أحوجَ اليها بعد الشعر لتخليد مآثرهم وتأبيد مفاخرهم

ولقد كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر على ماذكره الجاحظ فى كتاب البيان

وكان للعرب اعتناء بالخطيب فى جاهليتهم وللخطباء عناية بخطبهم فكانوا يتخيرون لها أجزل المعانى وينتخبون لها أحسن الالفاظ تحصيلا لغرضهم ونيلا لمقصدهم فان الالفاظ الرائقة والمعانى الجزلة أوقع فى النفوس وأشدّ تأثيراً فى القلوب ولذلك ورد انّ من البيان لسِحْرا . والأُذُن للكلام البليغ أصْغَى وأوْعَى والترغيب فى العاجل والارهاب فى الآجل اللذان هما من أهم مقاصد الخطَابة ومطالبها العالية ان لم يكونا بعبارات تخلُب القلوب وتأخذ

بمجامعها فلا تأثير فيها ولا فائدة منها

ومن عاداتهم فى الخَطَابة أن الخطيب اذا تفاخر أو تنافر أو تشاجر رفع يده ووضعها وأدّى كثيراً من مقاصده بحركات يده فذاك أعون له على غرضه وأرهب للسامعين له وأوجب لتيقظهم

ومن عاداتهم فيها أخذ المِخصَرة بأيديهم وهى مايتوكأ عليه كالعصا ونحوها وكانوا يعتمدون على الارض بالعِصىّ ويشيرون بالعصا والقنا

وكانوا يستحسنون فى الخطيب أن يكون جهير الصوت ولذا مدحوا سعة الفم وذموا صغره

ومن فحول خطباء الجاهلية قُسّ بن ساعدة الإيادى وأكثم بن صَيفى التميمى وذو الأصبَع العَدْوانى وعمرو بن كُلثوم التَغلِبى وقيس بن زهير

اسواق العرب فى الجاهلية

كان للعرب أسواق يقيمونها فى أوقات معينة وينتقلون من بعضها الى بعض للبيع والشراء وكان يحضرها العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر ويتناشدون الاشعار ويلقون الخطب . وكانوا يتحاكمون الى قضاة نصبوا أنفسهم لنقد الشعر وبيان غثّه من سمينه وتفضيل شاعر على آخر فكانوا يُفضّلون من سَهُلت عِبارَته وكان لها النصيب الأوفر من الفصاحة وحسن البيان مع التحرز من العيب والابتعاد عن النقص ويتخيرون من لغات العرب ما حلا فى الذوق وخف على السمع . فكانت هذه الاسواق أندية علمية ومجتمعات لغوية أدبية اهتدى بها العرب الى تهذيب لغتهم لفظاً وأسلوباً وجعل لغة الشعر والخَطَابة لغة واحدة بين جميع القبائل باذلين فى ذلك جهد

المستطيع منها مَجنَّة وذو المَجاز وعُكاظ

وأشهر هذه الأسواق سُوق عُكاظ مِنْ عَكظه يَعْكِظه عَكْظا عركه وهى موسم للعرب من أعظم مواسمهم وعكاظ نخل فى واد بين نخلة والطائف من بلاد الحجاز وبينه وبين الطائف عشرة أميال وكانوا يتبايعون فى هذه السوق ويتعاكظون ويتفاخرون ويتحاجُّون وينشد الشعراء ما تجدد لهم وقد كثر ذلك فى أشعارهم كقول حسان

سأنشُر إنْ حَيِيت لهم كلاما يُنَشَّر فى المَجنَّة مَعْ عُكاظ

وفيها كان يخطب كل خطيب مِصقَع . وكان كل شريف انما يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ فانهم كانوا يتواتَوْن بها من كل جهة ومن كان له أسير سَعَى فى فدائه ومن كانت له حكومة ارتفع الى الذى يقوم بأمر الحكومة

وكانت تقوم هذه السوق من أوّل ذى القَعْدة الى العشرين منه على المشهور واتُّخِذت عكاظ سُوقا بعد عام الفِيل بخمس عشرة سنة وتُركت بعد أن نهبها الخوارج سنة تسع وعشرين ومائة

ولعكاظ فضل على اللغة العربية فى العصر الجاهلى اذ لولاها لأصبحت لغة العرب لغات لا يتفاهم أصحابها وانفصلت كل منها عن الاخرى وقتاما . ذلك لأن لغات القبائل العربية كان بينها تفاوت فى اللهجة والاسلوب واللفظ وكان هذا التفاوت يقلّ ويكثر تبعا لضعف وقوّة العلاقات التى ترتبط بها قبيلتان أو عدّة قبائل وتبعا لاختلاف عوامل المكان والزمان والاجتماع التى يؤثر اختلافها أعظم تأثير فى اللغة . فلما عَظُم شأن عكاظ وأمَّها الشعراء والخطباء من كل مكان كان معظم همهم انتقاء الألفاظ الفصيحة المشهورة عند أكثر

القبائل لا سيما قريش طمعا فى أن تنتشر أقوالهم بين العرب كافة قال قتادة كانت قُرَيش تَجْتَبِى أى تختار أفضلَ لغات العرب حتى صار أفضل لغاتها لغتها فنزل القرآن الكريم بها ولو اتبع كل شاعر أو خطيب لهجة قومه ولغة قبيلته وحدها لم يجد من يستحسنها غيرهم ووقفت عن الشهرة ولم تروها القبائل الأخرى فيفوته الافتخار بها

وبذلك كان الشعراء والخطباء يبثون وحدة اللغة فى أشعارهم وخطبهم فيما بين القبائل المختلفة متبعين فى ذلك لغة قريش غالبا . وانما اختاروا هذه اللغة على غيرها لما كان لها من السيادة على لغات قبائل الحجاز ونجد ولما كان لقريش من رفيع القدر وعلو المنزلة بين جميع العرب

﴿ الكتابة والخط عند العرب فى عصر الجاهلية ﴾

كان الغالب على العرب فى بعض عصر الجاهلية الأُمِّيّة والذين يعرفون الكتابة والقراءة منهم نفر قليل جدًا . والزمن الذى ابتدئ فيه باستعمال الخط العربى قديم غير معين . وأول من كتب بالعربية على أشهر الأقوال أهل اليمن قوم هود عليه السلام وكانوا يسمون خطّهم بالمُسْنَد وهو الخطّ الحِمْيَرِى وكانوا يكتبونه حروفا منفصلة ويمنعون العامّة من تعلمه حتى تعلمه ثلاثة نفر من طيئ فتصرفوا فيه وسموه بخط الجزم لانه اقتطع من خط حمير ثم علّموه أهل الأنبار ومن الانبار انتشرت الكتابة العربية فأخذها عنهم أهل الحيرة وتداولوها . ولما قدم الحيرة حَرْب بن أُمَيَّة القُرَشى جدّ معاوية ابن أبى سفيان نقل هذه الكتابة من الحيرة الى الحجاز بعد أن عاد الى مكة والصحيح أن أهل الحجاز انما لُقّنُوا الكتابة من الحيرة ولُقّنها أهل الحيرة

من التبابعة وحِمْير كما ذكره ابن خلدون قال وقد كان الخط العربى بالغا مبالغه من الاتقان والإحكام والجودة فى دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نُسباء التابعة والمجدّدين لملك العرب بأرض العراق

﴿ العلوم والمعارف عند العرب فى عصر الجاهلية ﴾

العرب غير البائدة يرجعون الى أصلين وهما قحطان وعدنان . أما قحطان وهم عرب اليمن فقد كانوا على جانب عظيم من المدنية والحضارة والغالب منهم سكن البلاد المعمورة وبنوا القصور وشيدوا الحصون وكانت لهم مدن عظيمة قد شرح حالها أهل الأخبار شرحاً وافياً . وكان لهم ملوك وأقيال دوّخوا البلاد وأوغلوا فى الأرض واستولوا على كثير من أقطارها شرقاً وغرباً . كل ذلك يدل على وقوفهم على العلوم التى لابد منها فى حفظ النظام وعليها مدار المعاش وسياسة المدن وتدبير المنازل والجيوش وتأسيس الامصار واجراء المياه مما لا يمكن وجوده مع الجهل وعدم المعرفة

وأما بنو عدنان ومن جاورهم من عرب اليمن بعد أن فرقتهم حادثة سيل العرم فقد كانوا على شريعة موروثة وعلم منزل وهو ما جاء به ابراهيم واسمعيل عليهما السلام الى أن اختل أمرهم وتغير حالهم فاشتغلوا بما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب أو ماحفظوه من أنسابهم وأيامهم أو ما احتاجوا اليه فى دنياهم من الأنواء والنجوم أو من الحروب ونحو ذلك . وكان لهم حظ وافر من معرفة الطب المبنى فى غالب الأمر على التجربة وكذلك التاريخ فقد تضمن شعرهم شيئاً كثيراً منه . غير أن تدوين شئ من ذلك فى عصر

الجاهلين لم يكن لغلبة الأمية والاعتماد على الذاكرة وقد نقل ما نقل منه بالرواية والسماع . وكان يقال لهم الأُمة الامية قال تعالى ﴿ هو الذى بعث فى الأُميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾

﴿ حالة اللغة العربية وآدابها ﴾

﴿ من ابتداء ظهور الاسلام الى الدولة العباسية ﴾

جاء الاسلام ولغات العرب ولهجاتهم متشعبة غير أن لغتين منها كانت لهما السيادة على سائرها . الأُولى لغة قريش وكانت فى مكة وما جاورها والثانية لغة حِمْيَر وكانت فى بلاد اليمن

وقد تقدم فى الكلام على عكاظ أن الشعراء والخطباء كانوا يُؤْثِرون لغةَ قريش على سائر لغات العرب ويبثُّونها بين القبائل كافة فى خطبهم وأشعارهم وكان ذلك قبل ابتداء نزول القرآن الكريم بنحو خمس وعشرين سنة

ولما كان القرآن الحكيم منزلا بلغة قريش أصبحت السيادة لها على لغة حمير وغلبت عليها وعلى جميع لغات العرب ودَانَ لها الخطباء والشعراء وسائر المتكلمين بالعربية وصارت بعد ذلك هى اللغة المُتداوَلة فى المكاتبات والمؤلفات فى جميع العلوم الى يومنا هذا والفضل فى بقائها وحفظها انما يرجع الى الكتاب المجيد وحده ولما فتح المسلمون بلاد الشام والعراق والفرس ومصر وافريقية والمغرب وغير ذلك من البلاد انتشرت اللغة العربية بانتشار العرب وتغلبت على لغاتها الاصلية ولكنها لم تَعُمَّ جميعَ الناس دفعة واحدة شأن كل لغة جديدة فى مبدأ انتشارها

ولقد كان هذا الانتشار سبباً لظهور اللحن على لسان من تكلم بالعربية من غير أهلها وكذا على لسان بعض أهلها من المخالطين لهؤلاء . وهذا أمر كان مُتَوَقَّع الحصول لأن اللغة مَلَكة صناعية تؤخذ مفرداتها وأساليبها بالتلقين فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم فى مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات فى معانيها فيُلَقِّنها أوّلا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم يتجدد فى كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر الى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم فلما خالط العرب غيرهم صار الناشئ منهم يسمع فى العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التى كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده ويسمع كيفيات العرب أيضاً فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه . ولقد وفى ابن خلدون فى مقدمته هذا المقام حقه من البيان

﴿ الكتابة والخط فى ابتداء ظهور الاسلام ﴾

كان انتشار الكتابة قبل الاسلام قليلا بين العرب كما تقدم ومنذ عصر النبى صلى الله عليه وسلم انتشرت الكتابة للحاجة اليها فى كتابة الوحى والرسائل التى كان ينفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك والامراء وقد أمر بعد غزوة بدر من لم يكن لها فداء من الأسرى أن يُعَلِّم عشرة من أطفال المسلمين الكتابة

ولما كثرت الفتوح فى مدة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه وضع ديوان الخراج وديوان الجيش لضبط الاعمال وكان ذلك فى المحرم سنة عشرين

وقد كان ديوان الخراج والجبايات فى بلاد العراق والشام ومصر يكتب فيه بغير العربية الى زمن عبد الملك بن مروان وابنه الوليد حين ظهر فى العرب ومواليهم مَهرة فى الكتابة والحساب فنقل ديوان العراق من الفارسية الى العربية والذى نقله هو صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان يكتب بالعربية والفارسية . ونقل ديوان الشام من الرومية الى العربية والذى نقله هو سليمان بن سعد والى الأُرْدُن وأكمله لسنة من ابتدائه ووقف عليه كاتب عبد الملك فقال لكتّاب الرُّوم اطلبوا العيش من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم . ونقل ديوان مصر من القبطية الى العربية والذى نقله هو عبد الله ابن عبد الملك بن مروان فى خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين وأصبحت الدواوين الاسلامية بعد ذلك تكتب كلها بالعربية

وأول كتاب كتب باللغة العربية هو القرآن الكريم وقد كتبت المصاحف العثمانية بخط الجزم (وسمى بالخط الكوفى بعد انشاء الكوفة) واستعمل فى عهد بنى أمية مع ترقيه فى درجات الحسن تبعاً لحضارة الأمة . وقد كان المصحف خالياً من الشكل والنقط غير أنه لكثرة المسلمين بسرعة انتشار الدين وظهور اللحن والتحريف خشى على القرآن الكريم من ذلك فقام أبو الاسْوَد الدُّؤلى ووضع له علامات الاعراب فى أواخر الكلمات بِصِبْغٍ يُخالِف لَوْن المداد الذى كُتب به المصحف . وجعل علامة الفتح نُقْطة فوق الحرف والضم نقطة الى جانبه والكسر نقطة فى أسفله والتنوين مع الحركة نقطتين وذلك فى خلافة معاوية . ثم ان الحجاج فى مدة عبد الملك بن مروان أمر نصر بن عاصم أن يضع له النقط والشكل لأوائل الكلمات وأواسطها

وخالف فى ذلك طريقة أبى الاسود لئلا يلتبس النقط بالشكل . وبعد ذلك جاء الخليل بن أحمد فتمم بقية علامة الاعجام (الشكل) كالشدّة والصلة والقطعة وهذب جميع العلامات فجعل الضمة واواً صغيرة فوق الحرف والكسرة ياء صغيرة تحته والفتحة ألفاً مسطوحة فوقه والشدّة رأس شين والصلة رأس صاد وسمى كل هذه العلامات بالشكل أخذاً من شكال الدابة الذى تقيد به فكأن شكل الكلمة يقيدها عن الاختلاف فيها وكان المعروف من الخط فى ذلك العصر نوعان . أحدهما يستعمل فى كتابة المصاحف ونحوها والمسكوكات مما يُحتاج فيه الى التأنق والاجادة وحُسْن النَسَق . وثانيهما يستعمل فى كتابة الرسائل ونحوها مما يُطلَب فيه الاسراع ولا يُحتاج فيه الى التأنق وزيادة التحسين . والنوع الاول هو المعروف بالخط الكوفى . وأما النوع الثانى فانه أصل خط النَسْخ ارتقى فى الحُسْن والجَوْدة شيئاً فشيئاً حتى تحوّل الى ما هو عليه اليوم

ثم ان الخط بنوعيه انتقل الى الامصار التى انتشر فيها الاسلام وتنوّعت أشكاله ورسومه فانتقل فى عصر الأمويين الى افريقية وتولد منه الخط المغربى المستعمل الآن فى المغرب الاقصى والجزائر وتونس وطَرَابُلُس

﴿ النثر والنظم وفضل القرآن الكريم على اللغة العربية ﴾

قد أخذت اللغة العربية عند ظهور الاسلام وِجْهَةً دِينيّة من القيام بالدعوة الى الدّين والوعظ وتبيين العقائد الصحيحة وقواعد الاسلام وأصوله وأحكامه وحِكَمه وآدابه

وانك لترى فى كلام الصدر الاول من أهل الاسلام الحَثّ على اتّباع

الدين والتمسك به واعلاء كلمة الحق والعمل للآخرة والأخذ من الدنيا بنصيب والتحذير من الاسترسال مع الشهوات والأهواء والنظر الى خيرات الأقاليم التى فتحها المسلمون والتطلع اليها خوف الوقوع فى الزلل . فترى رسائل هذا العصر المنير وخطبه ترَدِّد صدى الكتاب العزيز حاثة على الفضيلة مُنفرة من الرذيلة . وكلُّها جاء فيه اللفظ تابعاً للمعنى لم يُتعمَّد فيه ضَرْب من ضروب الصنعة الكلامية صادرة عن شعورٍ حىّ ووِجْدان صادق ولذا نفذت الى سَوَيداء القلوب. وأصابت مواقع الوجدان . واذا كان الكلام خارجاً من القلب فانه يقع فى القلب واذا لم يكن صادراً الا عن اللسان فانه لا يتجاوز الآذان . وقد قضت هذه الحكم والمواعظ والخطب والنصائح على الرذائل والأوهام بالزوال وفسحت للفضائل والحقائق فرأت أهلا ومكاناً سهلا فتحات بها النفوس والعقول وقويت العزائم وعلَتْ الهِمَم فساد المسلمون جميع الامم

ويرى الناظر الى حالة اللغة فى عصر الدولة الأموية انها انتقلت الى حالة أجل مما كانت عليه لانتقال القوم من البداوة الى الحضارة ومن سكنى الخِيام الى سكنى القصور فاتسعت مداركهم وزادت تجاربهم وقوى فيهم الخيال وكثرت التصورات وانتقلوا من حال الى حال فأشعر ذلك نفوسهم معانىَ جديدة ووِجداناً وعلماً لم يكونا من قبل . فاحتاجوا الى العبارة عن ذلك بما يلائمه من الألفاظ والتراكيب وساعدهم على صوغ العبارات فى القالب اللائق بها قوة اللغة واتساعها وأخذهم بزمامها . وقد ظهر ذلك فى خطبهم ورسائلهم ظهوراً بيّناً

وكانت موضوعاتها فى الغالب الوَعْظ والارشاد والذَّود عن الحقوق

وايقاف الاطماع عند حدها وكبت الخارجين وتأليف الأحزاب وتوحيد الكلمة وكانت العبارات لا تزال آخذة اسلوباً حياً مؤثراً مع إحكام صنعة وحسن عبارة وجودة مقاطع

الخطابة فى ابتداء ظهور الاسلام

كانت خُطَب الصدر الأول من الاسلام فى أسمى طبقات الفصاحة والبلاغة كما ترى ذلك فى خطب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين كمعاوية وزياد وعبدالملك والحجاج وقَطَرِيّ بن الفُجاءة وأبى حمزة وواصل بن عطاء . والفضل فى ارتقاء الخطابة يرجع الى الكتاب المبين من وجوه كما بيّن ذلك صاحب كتاب أشهر مشاهير الاسلام قال فى بيان هذه الوجوه

(١) ان القرآن الكريم وان نزل بلغة القوم التى بها يتخاطبون وبفصاحتها يتفاخرون الا أن أساليبه العالية التى أعجزت خطباءهم وفصحاءهم وأخذت بمجامع قلوبهم ألبستهم ملكة من البلاغة فى تخيُّر الأساليب غيّرت ملكتهم الاولى وأطلقت السنتهم من الوحشية والتعمّق الذى كان دَيْدَن كثير من خطبائهم حتى انهم كانوا يعيبون الخطيب المِصْقَع اذا لم يكن فى كلامه شئ من آى القرآن . روى الجاحظ أن العرب كانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار وحسن الموقع

(٢) ما جاء فى القرآن من الترغيب والارهاب على الاسلوب البالغ حد الايجاز وما كان له من التأثير فى الضمائر والأخذ بشكائم النفوس أعانهم على التفنن فى أساليب الوعظ الخطابى عند حلول الازمات أو الحاجة الى تأليف

قلوب الجماعات حتى لقد كان الخطيب البليغ يدفع بالخطبة الواحدة من المُلِمّات مالا يُدْفَع بالبيض المُرْهَفات

ويملك من قلوب الرجال مالا يملك بالبدَر والاموال

(٣) أن الاسلام بما هذّب من أخلاقهم وألان من طباعهم وعدّل من شِيَمهم أدخل من الرقة على عواطفهم مارقّ به كلامهم وكثُر للمعانى المؤثرة فى النفوس اختيارهم فى مخاطبتهم وخطبهم

(٤) ان الاسلام بما مهدلهم من سبيل الفتح ومخالطة الامم وبما منحهم من سعة السلطان والسيادة على الشعوب وفّر لهم الاسباب الداعية الى التوسع فى الخطابة بما تتطلبه حاجة التوسع من الملك وتقتضيه عادات الأمم المحكومة وأخلاقها اه بتصرف يسير فى العبارة

وكان الخطباء فى هذا العصر يمسكون بيدهم العصا أو المِخْصرة كما كان عليه خطباء الجاهلية قال عبد الملك بن مروان لو ألقيت الخبزُ رانة من يدى لذهب شطر كلامى

الرسائل فى ابتداء ظهور الاسلام

فى صدر الاسلام كانوا يكتبون من فلان الى فلان وجرى على ذلك الصحابة والتابعون حتى وُلِّى الوَليد بن عبد الملك فأمر أن لا يكاتبه الناس بمثل مايكاتب بعضهم بعضاً وبقى الحال كذلك الا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد حيث اتبعا السُّنة الاولى وبعد ذلك رجع الامر الى ما كان عليه الوليد

وفى أواخر الدولة الأموية أخذت الرسائل أسلوباً غير الذى كانت عليه

ودخانها [١] الصنعة والقصد الى تمييق واللفظ وابتدأ ذلك الانقلاب بعبد

(١) وأما الآن فاختاروا فى صدور الرسائل الرسمية والأهلية ديباجات مختصرة يتلوها الغرض المقصود فيكتبون للحضرة السلطانية

صاحب الخلافة العظمى السلطان الأعظم والخاقان الأفخم صاحب الشوكة والاقبال . والعظمة والاجلال

فى الألقاب الممنوحة لأصحاب الرتب الملكية والعسكرية

رتبة الصدارة العظمى وخديوية مصر	فخامتلو	دولتلو	أفندم	حضرتلرى
المعزول من الصدارة	أبهتلو	«	«	«
رتبة أمير مكة المكرمة والمعزول عنها	دولتلو	سيادتلو	«	«
رتبة أغا دار السعادة العلية	«	عنايتلو	«	«
رتبة السر عسكرية الجليلة والمصاهرة السنية	«	عطوفتلو	«	«
رتبة المشيرية والوزارة الساميتين	«		«	«
رتبة (بالا) الرفيعة	عطوفتلو		«	«
رتبة الفريق والرتبة الاولى من الصنف الاول وبكلربك	سعادتلو		أفندم	
رتبة أمير اللواء وميرميران والرتبة الاولى من الصنف الثانى	«		«	

الحميد بن يحيى الكاتب وهو أول الطبقة الثانية من الكتاب . وكانت الرسائل

رتبة أمير الاى والرتبة الثانية المتميزة	عزتلو	أفندم
الرتبة الثانية وقائمقام العسكرية	«	أفندى ـ بك
رتبة أمير الامراء	«	باشا
رتبة بكباشى العسكرية والرتبة الثالثة وألاى أمينى	رفعتلو أفندى ـ بك ـ أغا	
الرتبة الرابعة وقُوَد أغاسى ويوزباشى	فتوتلو أفندى ـ بك ـ أغا	

فى الألقاب الممنوحة لأصحاب الرتب العلمية

مسند المشيخة الجليلة الاسلامية العليا	دولتلو سماحتلو أفندم حضرتلرى
رتبة الملازمين	حميتلو أفندى ـ بك ـ أغا

(الخاقان) لفظ فارسى معناه . السلطان . الحاكم

تصدر العرائض بهذه الالقاب وكلها عربية الا كلمة (لو) ومعناها صاحب ومتى لحقت الاسماء تفيد النسبة فى اللغة العثمانية مثل (خامتلو) صاحب الفخامة و (الأفندى) بمعنى السيد و (أفندم) بمعنى سيدى فاللام فى التركية كياء المتكلم فى العربية وقد تزاد (لر) على حضرة وهى لضمير الجمع الغائب لاجل زيادة التعظيم

ولفظ (سر) بمعنى رئيس (سر عسكر) وقد قضت العادة باستعمال هذه الألقاب بصورتها التركية فى الرسائل العربية كما هى موضحة

قبل عبد الحميد موجزة غالباً ثم طُوِّلت لاقتضاء المقام تطويلها

النظم فى ابتداء ظهور الاسلام

قد انصرف العرب عن الشعر والمنافسة فيه فى أول عصر الاسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوّة والوحى وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأُخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زماناً ثم استقر ذلك وأُونس الرُشْد من المِلّة ولم ينزل الوَحْى فى تحريم الشعر وحظْره وسمعه النبى صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه فرجعوا حينئذ الى دَيْدَنهم منه

المعزول من المشيخة	دولتلو	فضيلتو أفندم
رتبة الصدور العظام	سماحتلو	أفندم

الذين أحرزوا (باية قاضى عسكر الروملى ـ وقاضى عسكر الاناضول) صدور عظام

رتبة باية استانبول	فضيلتلو	أفندم
باية الحرمين الشريفين	فضيلتلو	أفندم
باية بلاد الخمس ومخرج الموالى	فضيلتلو	أفندم
باية أدرنة وأزمير	فضيلتلو	أفندى
رتبة المدرسين الكرام	مكرملتلو	أفندى
لكبار المشايخ وأصحاب الطرق العلية	رشادتلو	أفندى
مادون ذلك	مودتلو	أفندى

وكان لعُمَر بن أبى ربيعة كبير قريش لذلك العهد مقامات فيه عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيراً مايَعْرِض شِعْرَه على ابن عباس فيقِف لاستماعه مُعْجَباً به ثم جاء من بعد ذلك المُلْك والدولة العزيزة وتقرَّب اليهم العرب بأشعارهم يمتدحونهم بها ويجيزهم الخلفاء بأعظم الجوائز على نسبة الجودة فى أشعارهم ومكانهم من قومهم ويَحْرِصون على استهداء أشعارهم يَطَّلِعون منها على الآثار والأخبار واللغة وشرف اللسان . والعرب يطالبون وليدهم بحفظها ولم يزل هذا الشأن أيام بنى أمية وصدرا من دولة بنى العباس

وقال ابن خلدون ان كلام الاسلاميين من العرب أعلى طبقة فى البلاغة من كلام الجاهلية فى منثورهم ومنظومهم فانا نجد شِعْر حَسّان بن ثابت وعمر ابن أبى ربيعة والحُطَيْئة وجَرير والفَرَزْدق ونُصَيْب وغَيْلان ذى الرُّمَّة والاخوص وبَشّار ثم كلام السَّلَف من العرب فى الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية فى تَرَسُّلهم وخُطبهم ومُحاوَرتهم للمُلوك أرفع طبقة فى البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كُلْثوم وزُهَير وعَلْقمة بن عَبَدَة وطَرَفة بن العَبْد ومن كلام الجاهلية فى منثورهم ومحاورتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة . والسبب فى ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام فى القرآن الكريم والحديث الشريف اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثلهما لكونهما وَلَجَتْ فى قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم فنهضت طِباعهم وارتقت مَلَكاتهم فى البلاغة على مَلَكات مَن قَبْلَهم من أهل الجاهلية مِمّن لم يَسْمَع هذه الطَبَقَة ولا نشأ عليها فكان كلامُهم فى نَظْمهم ونَثْرهم أحسنَ دِيباجةً وأصفَى رَوْنقاً من

أولئك وأرصف مبنى وأعدل تثقيفاً بما استفادوه من الكلام العالى الطبقة اه

والشعراء الذين أدركوا الجاهلية والاسلام يسمّون المخضرمين (من الخضرمة وهى الخلط لانهم جمعوا بين العصرين الجاهلى والاسلامى) ومن أشهرهم حسان بن ثابت والنابغة الجعدى وكعب بن زهير والعباس ابن مرداس والحطيئة . وأما الذين لم يدركوا عصر الجاهلية بل نشأوا فى الاسلام بعد هؤلاء المخضرمين فانهم يسمون بالاسلاميين ومن أشهرهم جرير والفرزدق والأخطل وذو الرمة والكميت وبشار بن برد آخرهم وهو ممن أدرك العصرين الأموى والعباسى

وكلا الفريقين يستشهد بكلامه فى اللغة ويحتج به

وقد امتاز الشعر فى هذا العصر ببلاغة فى المعنى ومتانة فى التعبير وإحكام فى التركيب مع رقة وحسن تصرف فى القول وسعة فى التصوّر فاق فى كل منها الشعر الجاهلى

ولم يزل للشعر من المكانة فى النفوس فى العصر الأموى وصدر من العصر العباسى مثل ما كان له فى العصر الجاهلى وان كان بعض المخضرمين كالحطيئة والاسلاميين كالأخطل وجرير اتخذوه صناعة للتكسب وطلب الرزق من السادات والأمراء والخلفاء فانّ ذلك لم يحطّ من قدره ولم يخضد من شوكته

﴿ العلوم والمعارف فى ابتداء ظهور الاسلام ﴾

جاء القرآن المجيد بحكمه السامية وأحكامه العادلة كافلا لمن عمل به سعادة الدنيا والآخرة فوجد فيه المسلمون غنيتهم وجعلوه هو والسنة النبوية عمدتهم ومرجعهم مدة الخلفاء الراشدين والدولة الأموية . وكان الصحابة

رضوان الله عليهم يفهمون دقائق الكتاب ويدركون حِكَمه وأسراره ويعرفون أحكامه من غير احتياج الى تعلم العلوم اللسانية كالنحو والصرف وعلوم البلاغة ومَتْن اللغة لانّ الكتاب كان مُتَنزّلا بلغتهم التى هم بها يتخاطبون وكانوا على علم تام بالحوادث التى نزل فيها القرآن وبأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وأنواع النَّسْخ والمحكم والمتشابه والمجمل والمفصل الى آخر علومه التى أفردها الأئمة بالتآليف وغاية الاشتغال بهذه العلوم اللسانية انما هو الوصول الى معرفة اللغة كما كانت تعرفها العرب . ولم يكن لديهم من بقايا قدمتهم فى العلوم الدنيوية الا البعض كالطبّ الذى ورثوه عن أسلافهم . ولا يذهبن بك الوهم الى أن الدين الاسلامى يصدّ عن الاشتغال بالعلوم والفنون الدنيوية اذ الكتاب العزيز جاء حاثاً على النظر فى ملكوت السموات والأرض منبّهاً الى الانتفاع بكل ما يمكن الانتفاع به من هذه الخليقة بصريح العبارة فى الآيات العديدة غير أن المسلمين فى أول ظهور الاسلام كان يمنعهم عن الاشتغال بهذه العلوم انصرافهم الى القيام بدعوته وتصديهم لتهذيب جميع العالم وترقيته وتخليص مَن حَوْلَهم من الأمم من شوائب الأوهام والرذائل . فكانوا خُصَماء للعالم كله . فلما تضمّخ الخافقان بطيب عبيره وارْتَوَى الأفقان من عُذَيب نَميره واستقرّت من الدين دعوته وعلت كلمته ونفذت شَوْكته وُجّهت العناية الى تلك العلوم الدنيوية فى أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية . وقد ظهرت آثار العلوم العقلية فى أوائل القرن الثانى وترجمت جملة من الكتب العلمية والصناعية

وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين يستظهرون الاحاديث

النبوية ولا يكتبونها وجرى التابعون على سنتهم حتى كانت خلافه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فكتب الى الافاق (انظروا حديث رسول الله صل الله عليه وسلم واجمعوه) ودوّنه بأمره محمد بن شهاب الزُهْرى المتوفى سنة ١٢٥ وكان ابتداء تدوين الحديث على رأس المائة . وبعد ذلك دُوّنت كُتُب الحديث تِباعا فى عصر العباسيين ووجهت اليها العناية حتى ضبطت ضبطا محكما

وأما البراعة فى الآداب من العلم بوقائع العرب وتاريخهم وقول الشعر وانشاء البليغ من النثر فانها قد بلغت فى خلافة بنى أمية مبلغا لم تبلغه أمة قط فى مثل مدتها . وقد كان الخلفاء من بنى أمية يُعلُون منزلتها ويرفعون مكانات الشعراء والخطباء والعلماء وكذا الدولة العباسية

وقد كتب شئ من التاريخ فى زمن معاوية رضى الله عنه وقال ابن خلكان أنه رأى تأليفاً لوهب بن منبه المتوفى سنة ١١٦ فى أخبار ملوك حمير وأشعارهم

وكان وضع علم العربية فى آخر عهد الخلفاء الراشدين بسبب انتشار اللحن وأول من وضعه وأسس قواعده أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه وأخذه عنه أبو الاسود الدُؤَلى وأتمّه

وأخذ عن أبى الاسود جمع من الطُلّاب من أشهرهم نصر بن عاصم المتوفى سنة ٨٩ بالبصرة وهو واضع النقط والشكل للمصحف كما تقدم وجاء بعده جمع من أئمة العربية أحكموا ترتيب القواعد وأكثروا من الادلة والشواهد

حالة اللغة العربية وآدابها

(فى عصر الدولة العباسية وما بعدها)

جاءت الدولة العباسية وقد انتشرت العرب فى أنحاء المعمورة وامتد ملكهم شرقا وغربا من الهند الى الاندلس ودانت لهم أمم كثيرة مختلفة اللغات واللهجات دخل أكثرهم فى الاسلام واختلطوا بالعرب وتكلموا بلغتهم فكثر المتكلمون بالعربية من غير العرب وهم كما تعلم من الاعاجم الذين لم تكن العربية ملكة فيهم كالعرب فسرى الفساد الى اللغة وفشا اللحن والتحريف وكان أول ما ظهر ذلك فى المدن والأمصار ثم دب الى البدو بعد زمن طويل لقلة اختلاطهم بالأعاجم . ومن لم يخالط منهم لم تفسد لغته . وكانت سرعة الفساد وبطؤه تابعين لكثرة المخالطة وقلتها

ولما تغلب العجم من الديلم والسلجوقية على الممالك الاسلامية فى بلاد فارس والعراق والشام زاد فساد اللغة وكاد اللسان العربى يذهب لولا الكتاب المجيد . وبعد أن سقطت الدولة العباسية وتغلب التتر والمغول بالمشرق (ولم يكونوا وقت تغلبهم مسلمين ثم دخلوا فى الاسلام بعد ذلك) أخذت اللغة العربية فى البلاد الفارسية وما جاورها فى الاضمحلال حتى لم يبق لها رسم فى الممالك الاسلامية بالعراق العجمى وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند وبلاد الروم إلا فى كتب الحديث والدين وبعض كتب العلم حتى ان كثيرا من مؤلفاتها كتب بغير اللغة العربية كالتركية والفارسية والهندية وذهبت أساليب اللغة من النثر والنظم الا قليلا وبقيت العربية ببلاد العرب والعراق العربى والشام ومصر وبلاد المغرب ثم تشرف بالاسلام أولئك المتغلبون فعاد

فى بلادهم الى العربية بعض رُوَائها وفاضَ بعد أنْ غاضَ مَعِينُ رَوَائِها غير أن لغة الكلام أصبحت بعيدة عن لغة الكتابة لكثرة مادخلها من التغيير والتبديل واتسعت مسافة الخلف بينهما . فالكتابة لا تزال باللغة العربية الصحيحة فى الكتب المعتبرة . وأما الكلام فقد تغلبت عليه اللغة العامية وهى خليط من اللغة العربية بعد تحريف كلماتها وتغيير أساليبها ولهجتها مع بعض كلمات وأساليب من لغات أخرى امتزجت بها . وهذه اللغة العامية كل يوم فى تقلب وتغير لاختلاف المخالطين لأهلها من الاعاجم وتفاوت سلطتهم قوة وضعفا . ولذا تجد اللغات العامية تختلف فى لهجتها وبعض كلماتها باختلاف البلاد والعصور كما ترى ذلك فى لغة أهل مصر والشام وبلاد المغرب اذا قارنتها بعضها ببعض وفى لغة أهل الجزائر اليوم ولغتهم قبل ذلك بخمسين سنة

ولقد أتى فى مصر والشام زمن طويل على اللغة العامية زاحمت فيه اللغة العربية الصحيحة فى الكتابة وفى بعض المؤلفات كما ترى شيأ من ذلك فى تواريخ ابن اياس والجبرتى والانس الجليل وربما تعمد مؤلفوها ذلك لافهام العامة وتراه أيضاً فى كتابة الدواوين بمصر فى القرن الماضى ولا تزال آثارها ظاهرة الى اليوم ظهوراً بينا فى بعضها وقليلة أو نادرة فى بعضها الآخر

بل كانت لغة الدواوين فى مصر بعضها لايفهم لبعده عن كل من اللغة العامية واللغة الصحيحة

ولكن عناية الله تعالى تداركت هذه اللغة الشريفة وهى على آخر رمق من حياتها بعلماء أفاضل أخذوا بناصرها من زمن غير بعيد ونهضوا بها

نهضة لم تكن فى الحسبان حتى أرجعوا اليها بعض مافقدته من قوتها

النثر فى عهد الدولة العباسية

اتسع نطاق النثر فى العصر العباسى اتساعا عظيما ودوّنت به جميع العلوم من دينية وأدبية ورياضية وطبية وفلسفية وغير ذلك مما وضعه المسلمون أو ترجموه من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية

وقد استدعى هذا وضعا جديداً لكثير من الالفاظ بحسب اصطلاحات العلوم والفنون كما ترى ذلك فى اصطلاحات علوم الدين والأدب والرياضة والطب والفلسفة من الأوضاع العرفية المستحدثة

وكانت عبارة التآليف من ابتداء تدوين العلوم الى حوالى القرن الرابع خالية من التعقيد حسنة الأسلوب متينة التركيب قريبة المأخذ لا سيما علوم الأدب والشريعة أصولا وفروعا حتى كتب القواعد النحوية من اللغة

وكذا كان شأن الرسائل والتحرير فى أىّ غرض كان فى ذلك العصر الذى زهت فيه العلوم وحَيِيَت الآداب وعمّت الحضارة والمَدَنية وبلغ كل ذلك غايته من الارتقاء بين الأمة الاسلامية . غير أنه دخل شئ من التكلف فى النثر والنظم ولكنه كان مستترا بحسن السبك وإحكام الصنعة فى الغالب ولم يكن ليؤثر فى جملة المنظوم والمنثور تأثيرا كبيرا لقلته ولحسن التصرف فيه وبعد ذلك أخذت هذه الحياة الادبية فى الضعف تبعا لضعف الخلافة العباسية العربية وكثر التكلف فى الكتابة والنظم ومال كثير من الكتاب الى السجع وكاد بعضهم يهمل جانب المعنى لاهياً عنه بالالفاظ وتميقها والجناس ونحوه من المحسّنات اللفظية حتى صنفت كتب بالكلام المسجوع كتاريخ العتبى والفتح

القدسى لكنّ عبارة التأليف فيهما وفى كثير من الكتب لاتزال راقية عالية الأسلوب وكذا بعض الرسائل والمحررات حتى دخلت اللغة فى دور الانحطاط بسقوط الدولة العباسية شيأ فشيأ الى عصرنا هذا حيث أخذت تستعيد بقدر الامكان ما كان لها من حسن الأسلوب ومتانة التركيب مع البعد عن تكلف السجع والجناس والقصد الى المعنى . والفضل فى ذلك يرجع للنهضة العامة فى مصر والشام كما تقدمت الاشارة الى ذلك فى الفصل السابق

﴿ النظم فى عهد الدولة العباسية ﴾

قد فسحت الحضارة وسعة العمران لشعراء الدولة العباسية مجالا لم يفسح للشعراء قبلهم فذهبوا فيه المذاهب وتفننوا وأبدعوا وتصرّفوا فى المعانى وأجادوا السبك وأحكموا الصنعة وفاقوا فى الرقة والسهولة والتفنن فى القول مَن تقدّمهم من شعراء الدولة الأموية . ولا عجب فى ذلك فقد وصفوا ماشاهدوه مما امتلأت به أيدى الفاتحين من خيرات الاقاليم وما وقع تحت حسّهم من آثار الأمم التى تغلبوا عليها واللغة فى عنفوان شبابها والخلفاء من أكبر أنصارها (والناس على دين ملوكهم) وانك لترى العجب فى كلام شعراء العباسيين الى نهاية القرن الثالث فقد بلغوا الغاية فى كل ماتكلموا فيه واستمر الشعر فى قوّته بعد القرن الثالث غير أن الشعراء المجيدين أخذ عددهم يقلّ شيئاً فشيئاً حتى انتهوا بالطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ وجاء بعد هؤلاء قوم اشتهروا ولكنهم لم يبلغوا شأو من تقدّمهم وكان آخرهم صفىّ الدين الحلّى المتوفى سنة ٧٤٠ وبعد ذلك أصبح النظم كالنثر فى حكمه ضعفاً وقوّة حتى عصرنا هذا

وشعراء الدولة العباسية يسمون بالمولدين وقد امتاز شعرهم بالرقة والسهولة وعذوبة اللفظ والتوسع فى التشبيه والمجاز والكناية والتوغل فى الخيال مع القرب من الحقيقة أحياناً وقد أكثر المتأخرون منهم من المحسنات البديعة حتى صار لكلامهم مَسْحة ظاهرة من الحُسْن من دونها معنًى تافه أو غلوّ غير مقبول

وقد كان لكل شاعر طريقة امتاز بها فى شعره وقد جمع بعضهم بين النثر والنظم واتفق له فى كل منهما كلام جيد كالبديع والخُوارزمى والميكالى والشريف الرضى . ولقد كان للشعر مكانة فى النفوس وسلطان عليها الى صدر الدولة العباسية ثم فقد تأثيره بعد ذلك لكثرة المتبذلين من الشعراء فى المدح والهجو ولغلوّهم فى ذلك وكذبهم ولانحطاطهم من أعين العظماء خصوصاً غير العرب الذين لا يقع من نفوسهم الشعر الجيد موقعه من نفس العربى

وقد زاد المولدون أوزاناً للنظم كالموشح والسلسلة والدوبيت وتفننوا فى النظم فخمّسوا وشطّروا وتصرفوا فيه تصرفاً كثيراً

وفحول شعراء المولدين والمجيدون من كتابهم كثيرون فمن الفريق الأول بعد بشار بن بُرد مسلم بن الوليد وأبو نُواس وأبو العتاهية وأبو تمّام والبُحْتُرِىّ وابن المُعْتَزّ وابن الرُّومىّ والمتنبّى والشريف الرَّضى وأبو العلاء المعَرّى وأبو فِراس والحَسَن بن هانئ الاندلسى وابن خفاجة والطُغْرائى

ومن الفريق الثانى بعد عبد الحميد بن يحيى ابراهيم الصُّولى والحسن بن وهب والجاحظ وابن العَميد والصابئ وابن عَبّاد والخُوارزمى والبديع

والحريرى والقاضى الفاضل وعبد اللطيف البغدادى

﴿ الخط العربى فى عهد الدولة العباسية ﴾

فى عصر العباسيين توجهت العناية الى تجويد الخط وتحسينه وخالفت أوضاعه فى بغداد أوضاعه فى الكوفة فى الميل الى اجادة الرسوم وجمال الشكل . واخترعت الأقلام المختلفة فظهر قلم الثلث والثلثين والنصف نظراً لاستقامة ثلث الحروف أو ثلثها أو نصفها وغير ذلك من الأقلام الأخرى واستمر الخط آخذاً فى الارتقاء والجودة حتى ظهر ببغداد الوزير الكاتب أبو علىّ محمد بن علىّ بن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ واخترع نوعاً من الخط سمى بالخط البديع . وقد اشتهر بين الكتاب أن هذا الخط البديع هو خط النسخ الشائع اليوم نقله ابن مقلة عن الخط الكوفى . ونفى ذلك بعض الباحثين مستدلين بوجود خط النسخ قبل زمن ابن مقلة كما شاهدوا ذلك فى بعض الصحف والرسائل التى كتبت قبل ابن مقلة . والظاهر أن ابن مقلة لم يخترع خط النسخ اختراعاً ولكنه تصرف فيه تصرفاً بديعاً ونقله الى صورة امتاز بها عن أصله فى الجودة والحسن . وهذا مقام لايزال محتاجاً الى البحث والتحقيق . وكان ابن مقلة يضرب به المثل فى حسن الخط وتلاه فى ذلك أبو الحسن علىّ بن هلال الكاتب الشهير المتوفى سنة ٤٢٣ وقد أقر له أهل زمنه بالسابقة وعدم المشاركة فى حسن الخط وهو الذى هذّب الخط العربى ونقّحه بعد ابن مقلة

ثم ان الخط الكوفى أهمل بتوالى الايام وحل محلّه خط النسخ . وقد تفنن الترك فى تحسين الخط وتنويعه فاخترعوا خط التعليق والرقعة وأوصلوا

النسخ والثلث الى أقصى درجات الحسن والاتقان كما هو مشاهد الآن

والخط العربى منتشر فى البلاد الاسلامية كلها تُكتَبُ به العربية والتركية والفارسية والافغانية ولسان أرد وبالهند ولسان الملايو بجزيرة جاوة وما حولها

﴿ العلوم والمعارف فى عهد الدولة العباسية ﴾

قد اعتنى الخلفاء والعلماء فى عصر الدولة العباسية بتدوين العلوم الاسلامية فوضعوا أصول الفقه وصنفوا فى فروعه واستنبطوا أحكامه ودوّنوا الاحاديث النبوية وتفسير القرآن الكريم وعلوم العربية واستخرجت علوم البلاغة ووضعت لها القوانين والشواهد ووَضَعُ العَروض وحصرت أوزان الشعر العربية فى دوائرها الخمس . وألّفوا وترجموا كتبا فى الطب والهيئة والهندسة وسائر العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية وتقويم البلدان والتاريخ العام وتاريخ الاشخاص . واعتنوا باللغة وضبطها وتصرفوا فيما ترجموه فنقحوا وهذبوا وزادوا واستنبطوا وأصلحوا كثيراً من أغلاطه . وقد وسعت اللغة العربية كل العلوم التى أُلفت بها أو نقلت اليها ولم يدخل من الالفاظ الاعجمية الا شئ يسير وأكثر ما وقع فى الكتب التى عرّبها بعض من لا يحسنون العربية وتفصيل الكلام على هذه العلوم واشتغال المسلمين بها وعنايتهم بتهذيب ما ترجموه منها وجعله صالحا لأن ينتفع به كل ذلك يحتاج الى تأليف الأسفار الكبار ليوفى حقه من البحث والشرح . غير أنا ذاكرون مختصرا وجيزا مناسبا للمقام مقتطفا مما كتبه كبار مؤرخى المسلمين ومحققوا المؤرخين من الافرنج المنصفين وأفاضل الكتاب المعاصرين فى مآثر العرب وعلومهم ومعارفهم ومالهم من

الفضل على العالم كله فى ذلك كله مازجين أحيانا كلامهم بعضه ببعض أو مصرّحين بنسبة القول الى قائله حسب اقتضاء المقام ذلك فنقول

أوّل من اعتنى بالعلوم وتدوينها من الخلفاء العباسيين أبو جعفر المنصور وقد أخذ فى انشاء المدارس للطب والشريعة وكان مع براعه فى الفقه وفرط شغفه به قد جعل جزأ من زمنه خاصا بتعلم العلوم الفلكية وترجم فى زمنه كتاب أُوقليدس فى الهندسة والهيئة والحساب

وأكمل حفيده الرشيد ما شرع فيه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة لتعليم العلوم بأنواعها . وكان باذلا جهده فى احياء العلوم والآداب ونشرها وكتب فى أيامه مصنفات كثيرة فى العلوم الاسلامية وغيرها مما ترجم عن اليونانية ومن ذلك كتاب المَجَسْطى الذى ألفه بَطْلِيموس فى الرياضة السماوية وقيل ان هذا الكتاب تُرْجم فى زمن المأمون بأمره وكان المترجمون قوما من السريان غير مسلمين وقد أحسن الخلفاء صلتهم وأفاضوا عليهم النِّعَم وكان أكثرهم غير متمكن من العلوم التى نقلوها الى العربية فوقع فيها الغلط الكثير فصححه بعد ذلك الراسخون فى العلم من العرب فى عصر المأمون وما بعده كما صححوا كثيرا من غلط اليونانيين أنفسهم وكان اشتغال العرب بالعلم للعمل به فتناولوا الكتب التى ترجموها من قوم كان حظهم منها حفظها على أنها من نفائس الذخائر ومآثر الجيل الغابر وقد ظهر أثرُ العمل فى عصر الرشيد ومن ذلك الساعة الدقاقة المتحركة بالماء التى أرسلها الى شرلمان ملك فرنسا وعظيم أوربا لعهده ففزع الأوربيون منها لذلك العهد وتوهموا انها آلة سحرية قد كمنت فيها الشياطين وان ملك العرب ما أرسلها اليهم الا لتغتالهم وتوقع بهم

شر ايقاع . وقد اجتمع فى حضرة الرشيد كثير من أكابر العلماء وكان يأتى بهم ويرفع منزلتهم وكلما سافر لحج بيت الله الحرام استصحب معه مائة من العلماء

ولما أفضت الخلافة الى المأمون وجه عنايته الى العلوم والآداب وشُغِف بالعلم كل حياته ولم يكن يجالس الا العلماء وقد جمع وترجم كثيراً من كتب الفرس واليونان فى الهيئة والطبيعيات وتخطيط الأراضى والموسيقا . وغرس للعلم والأدب جِناناً ناضرة فزكا نَبْتُها وتفتّح نَوْرُها وطاب ثمرها ووصلت به دولة العلم الى أوج قوتها ونالت به أكبر ثروتها . وكانت بغداد فى عهده مدرسة علمية كما كانت دار خلافة . وكان من شروط صلحه مع ميشل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الاستانة وقد فعل . وقد ألف علماء العرب فى زمنه أرصاداً وأزياجاً فلكية وحسبوا الكسوف والخسوف وذوات الأذناب وغيرها ورصدوا الاعتدال الربيعى والخريفى وقدّروا ميل منطقة فلك البروج وقاسوا الدرجة الأرضية وأصلحوا بأمره غلط بعض الكتب التى ترجمت قبل زمنه

وجاء الواثق بعد المأمون وحذا حذوه فى الاشتغال بالعلوم واقتدى بالخلفاء الوزراء والأمراء فى زمنهم وبعده وأخذوا جميعاً بناصر العلماء وشدّوا أزرهم ورفعوا منزلتهم

فأخذ العلماء فى الاشتغال بكل علم وكل فنّ أمكن الاشتغال به فى ذلك العصر وبنوا علومهم على التجربة والمشاهدة . قال أحد فلاسفة الاوربيين ان القاعدة عند العرب هى « جرّب وشاهد ولاحظ تكن عارفاً » وعند

الاوربى الى ما بعد القرن العاشر من التاريخ المسيحى « اقرأ فى الكتب وكرّر ما يقول الأساتذة تكن عالماً » اه فانظر الفرق وقارنه بما تجده الآن من فرط عنايتهم بالبحث وما ينجم عنه من اصلاحهم الخطأ فيما لايحصى مما كانوا أثبتوه حتى انّ فطاحل منصفيهم لم يجدوا بدًّا من الاعتراف بامكان أن يثبت لهم غدا ضد ما أثبتوه اليوم كما ثبت لهم اليوم ضد ما أثبتوه أمس ولا من الاقرار بعدم الوقوف على كنه الكثير من ظواهر الكون التى ينتفعون بخواصها

ومن العلوم التى كان للعرب فيها اليد البيضاء علم الهيئة والهندسة وسائر العلوم الرياضية فان مازادوه عليها من مخترعاتهم وما أصلحوه من اغلاط اليونانيين قبلهم جعل لهم الحظ الأوفر فى هذه العلوم . قال دِيلامبر فى تاريخ علم الهيئة اذا عددت فى اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين أمكنك أن تعدّ من العرب عدداً كبيراً غير محصور . وعن العرب أخذ الافرنج الأرقام الحسابية وعلم الجبر والمقابلة الذى هو من وضع العرب أخذوه باسمه ومسماه . وقال بعض المؤرخين انّ ديوفنتوس الاسكندرى من أهل القرن الرابع للميلاد هو أول من ألف فى الجبر وكتبه لاتزال موجودة الى الآن والحق ان هذه الكتب ليس فيها الا قواعد استخراج القوى وحل بعض المسائل وليس فيها أصول الفن وقواعده الأساسية التى امتاز بها وصار فنًّا مستقلا . ونظير ذلك علوم البلاغة قالوا ان مؤسسها وواضعها هو الامام عبد القاهر الجرجانى مع أن العلماء قد سبقوه الى الكلام فى بعض مسائلها ولكنهم لم يبلغوا بذلك أن جعلوها علماً ذا أصول وقواعد كما جعلها

وقد اكتشف العرب قوانين لثقل الاجسام مائعها وجامدها ووضعوا

لها جداول فى غاية الدقة والصحة . واخترعوا البندول للساعة . اخترعه ابن يونس المصرى . والبوصلة البحرية واخترعوا بيت الابرة أيضاً . وهم أوّل من استعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن وأوّل من أتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض

ومن علومهم التى وضعوها ولم يُسبقوا اليها علم الكيميا الحقيقية فهى من اكتشاف العرب دون سواهم وعنهم أخذها الاوربيون وانك لا تستطيع أن تعدّ مجرّباً واحداً عند اليونانيين ولكنك تعدّ من المجرّبين مئين عند العرب

وقد اشتغلوا بالطب والصيدلة ولهم فى ذلك المؤلفات العديدة النافعة ومُركّبات الادوية الصالحة . وهم أوّل من استحضر المياه والزيوت بالتقطير والتصعيد وأوّل من استعمل السكر فى الأدوية وكان غيرهم يستعمل العسل وكان حكام الاندلس يعتنون بادارة الصيدليات فيفحصون أدويتها ازالة للغش ويُسعّرونها رِفقاً بالفقير وفضلُهم فى الطب على أوربا لا ينكر . وقد برعوا فى الجراحة وكان النساء بالاندلس يباشرن كثيراً من العمليات الجراحية بغيرهنّ من الاناث وذلك ما يَحُثُّ عليه أهل أوربا وأمريكا اليوم . ولهم فى هذه الفنون مؤلفون يعدّون فى الطبقة الأُولى من علماء العالم فى العلوم التى اشتغلوا بها ولا تزال مؤلفات كثير منهم باقية الى اليوم كقانون ابن سينا ومفردات ابن البيطار واذا رجحت القول بأن يونان أخو قحطان غاضبه فرحل من اليمن ونزل ما بين الافرنجة والروم فاختلط نَسَبُه بهم كانت تلك الكتب اليونانية انما هى بضاعة العرب ردّت اليهم

ولم يكن اشتغالهم بالجغرافية والتاريخ العام وتاريخ الاشخاص أقل من

اشتغالهم بالعلوم السابقة فلهم السياحات العديدة حول أفريقية وآسية وجانب من أوربا وقدرسموا ما اكتشفوه رسما حسنا ولهم فى تقويم البلدان مؤلفات عديدة بعضها مطبوع وبعضها غير مطبوع فمن الاول تقويم البلدان لأبى الفداء ومعجم ياقوت طبعا فى أوربا ومن الثانى نزهة المشتاق للشريف الادريسى محمد بن محمد الصقلى كان فى القرن السادس الهجرى وهو الذى صنع لرجار الفرنجى ملك صقلية سنة ١١٥٣ أول كرة أرضية عرفت فى التاريخ زنتها من الفضة ١٤٤ أقة رسم فيها جميع انحاء الارض فى زمانه رسما غائرا مشروحا بالاستيفاء وصنف له أيضا كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق مرتبا على الاقاليم السبعة وصف فيه البلاد والممالك مستوفاة مع ذكر المسافات بالميل والفرسخ . ومؤلفاتهم فى التاريخ تفوق الحصر . والفضل الاول فى الاشتغال بهذه العلوم يرجع الى مدرسة بغداد التى كانت ينبوعا أصليا استمدت منه سائر المدارس الاسلامية . قال بعض مؤرخى الافرنج ان العرب استقاموا عدة قرون على الطريقة التى وضعها علماء مدرسة بغداد واتبعوا قواعدهم وهى الانتقال من النظر فى المسببات الى اجتلاء الاسباب لا يعولون الا على ما اتضحت صحته وعرفت حقيقته

وقد انشئت المدارس العديدة تباعا وجمعت اليها العلماء ولم يخل منها قطر من الاقطار الاسلامية . وازدانت بهذه المدارس بغداد والبصرة والكوفة وبُخارَى وسَمَرْقَنْد وبَلْخ وأصفهان ودمشق وحلب فى قارة آسية والاسكندرية والقاهرة ومراكش وفاس وسبتة والقيروان فى قارة أفريقية وأشبيلية وقرطبة وغَرْناطة وغيرها من مدن الأَنْدَلُس العديدة فى قارة أوربا . وكان بالقاهرة

وحدها عشرون مدرسة فى القرن الرابع وفى قرطبة وحدها من بلاد الاندلس ثمانون مدرسة فى مدة الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر المتوفى سنة ٣٦٦

وأصبحت الاندلس بعد ذلك فى أواخر القرن الخامس غاصة بالمكاتب والمدارس الجامعة ولم تخل مدينة من مدنها من مدارس متعددة . قال جيون فى كلامه على حماية المسلمين للعلم فى الشرق والغرب ان ولاة الاقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء فى اعلاء مقام العلم والعلماء وبسط اليد فى الانفاق على اقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه . وكان عن ذلك أن ذَوْق العلم ووجدان اللذة فى تحصيله انتشرا فى نفوس الناس من سَمَرْقَنْد وبُخارَى الى فاس وقرطبة . أنفق وزير واحد لأحد السلاطين (هو نظام الملك) مائتى ألف دينار على بناء مدرسة فى بغداد وجعل لها خمسة عشر ألف دينار تصرف فى شؤونها كل سنة . وكان الذين يُغَذُّون بالمعارف فيهما ستة آلاف تلميذ فيهم ابن أعظم العظماء فى المملكة وابن أفقر الصناع فيها . غير أن الفقير يُنفَق عليه من الرَّيع المخصَّص للمدرسة وابن الغنى يكتفى بمال أبيه والمعلمون كانوا يُنقَدون أجورا وافرة اه

وجميع المدارس الطبية فى البلاد الاسلامية أخذت نظام امتحانها عن مدرسة الطب فى القاهرة وكان من أشد النظامات وأدقها . ولم يكن لطبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن تكون بعد شهادة بأنه فاز فى الامتحان على شدته . وأوّل مدرسة طِبّية أنشئت فى قارة أوربا على هذا النظام المحكم هى التى أنشأها العرب فى سالرت من بلاد ايطاليا . وأوّل مرصد فلكى أقيم فى أوربا هو الذى أقامه العرب فى أشبيلية من بلاد الاندلس

وقد تعددت المراصد الفلكية فى البلاد الاسلامية شرقاً وغرباً ومن أشهرها مرصد بغداد المنشأ على قنطرتها وقد رصدت به عدة أرصاد وصححت جملة أزياج . ومرصد المراغة الذى أنشأه نصير الدين الطوسى بأمر هولاكو خان ولما أتم كو بلاى خان أخو هولاكو فتح الصين نقل مؤلفات علماء بغداد اليها ومرصد سمرقند الذى أنشأه تيمورلنك . ومرصد دمشق الذى أنشأه الوغ بك مرزا محمد حفيد تيمورلنك وكان من أعلم علماء الفلك وله زيج مشهور معتبر الى هذا العصر . وكان بمصر مرصد جبل المقطم أنشأه ابن يونس الفلكى الشهير صاحب الزيج الحاكمى

وأما دور الكتب فلم تكن عناية الدول الاسلامية بها أقل من عنايتهم بالمدارس فقد كان فى القاهرة فى أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوى على مائة ألف مجلد منها ستة آلاف فى الطب والفلك لا غير [1] ومكتبة الخلفاء فى

(١) ولقد أحرق أهل اسبانيا من الكتب الاسلامية بعد جلاء المسلمين عنها ما يدهش لبيان عدده السامع ويحار المتأمل ويتوقف قلم الكاتب جاء فى المجلد الثالث من المقتطف وجه ٧ ما نصه ليقل لنا أهل اسبانيا أين الثمانون ألف كتاب التى أمر كردينالهم شيمنز بحرقها فى ساحات غرناطة بعيد استظهارهم عليها فأحرقوها وهم لا يعلمون مايعملون حتى أفتوا على ما قال مؤرخهم ربلس ألف ألف وخمسة آلاف مجلد كلها خطها أقلام العرب وليتهم يخبرون كم من كتاب لعبت به نيرانهم بعد ذلك حتى لم يبقوا من معارف العرب ولم يذروا . وما يقولون عن السفن الثلاث التى ظفروا بها مشحونة بالمجلدات العربية الضخمة وطالبة ديار سلطان مراكش فسلبوها وألقوا كتبها فى قصر الاسكوريال سنة ١٦٧١ ميلاديه (الموافقة سنة ١٠٨٢ هجرية) حتى لعبت بها النيران فأكلت ثلاثة أرباعها ولم يستخلصوا منها الا الربع الاخير . حينئذ استفاقوا من غفلتهم وعلموا كبر جهالتهم فقوضوا الي ميخائيل القصيري الطربلسي الماروني ترتيبها وكتابة اسمائها فكتب لهم أسماء ١٨٥١ كتابا منها فعلى ما فى هذه الكتب وما بقى فى أفريقية والمشرق قصر أهل هذه الايام

الاندلس بلغ مافيها ستمائة ألف مجلد وكان فهرسها أربعة وأربعين مجلداً . وقد حققوا أنه كان ببلاد الاندلس وحدها سبعون مكتبة عمومية وكان فى هذه المكاتب مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة . وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويجعلون ديارهم معاهد دراسة لما تحتوى عليه وأما ضخامة تآليفهم فما لايحصره العدّ وحسبك فى المشرق كتاب قَيْد الأَوابد للامام البَنجَذيهى المتوفى سنة ٥٥٩ من قرى خراسان فى ٤٠٠ مجلّد وفى الاندلس لأحمد بن أبان كتاب العالم نحو ١٠٠ سفر بدأ فيه بالفلك وختم بالذرّة والأعجب الأغرب كتاب فلك الأدب الذى تعاقب على تأليفه من جهابذة

معارف العرب وحتى هذه لم يستوعبوا جميع مافيها اه وأما مكاتب بغداد فانه لما فاجأها التتار بالهجوم بعد قتل الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين جعلوا دأبهم السلب والنهب وأخذوا كتب العلم التى كانت فى خزائنها وألقوها بدجلة فعبرت عليها جنودهم . فأضف هذه النفائس الى ما أحرقه أهل اسبانيا وتصور مقدار ذلك كله ثم أنسب ما بقي من الكتب الاسلامية الى ما أتلف منها وتفكر بعد ذلك فى ان هذه الملايين من الكتب انما خطت بالقلم قبل أن تعرف المطبعة واحكم بعد ذلك وأنت منصف فى حكمك بأن العرب لم تسبقهم أمة اعتنت بالعلم اعتناءهم واهتمت به اهتمامهم وتتميما للفائدة تذكر ما ورد فى مجلة المقتطف فى سنتها الثالثة فى صفحة ٩١و٩٢ تحت عنوان فضل العرب وهو خاتمة مقال نشر فى تلك السنة فى بيان مآثر العرب وعلومهم وبعض علمائهم وقد اقتطفنا من هذا المقال الجامع شذرات ضمناها مقالنا السابع وهاهو ما ذكر تحت هذا العنوان فى القرون الوسطي قصد أهل أوربا مدارس الاندلسيين وكانت على غاية الاتقان وقرؤا العلم فيها ثم تزودوه منها الى بلادهم . ففى سنة ٨٧٣ للمسيح أمر هرتموت رئيس دير ماري غالن جماعة من رهبانه يدرس اللغة العربية لتحصيل معارفها . وكان الرهبان البندكتيون يطلبون العلوم العربية بشوق لامزيد عليه وأشهر من تعلم العلم من العرب البابا سلفستر الثانى وأصله رجل فرنسى يسمى جربرت طاف على قسم كبير من أوربا طالبا المعارف حتى دبت قدمه فى الاندلس فرتع فى مدارس اشبيليه وقرطبة وصرف الى

الاندلسيين ٦ فى ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥ هـ

أما تاريخ العلوم والآداب العربية من ابتداء الدولة العباسية الى الآن فانه ينقسم الى أربع مدد كبيرة

المدة الأولى تبتدى بخلافة أبى جعفر المنصور وتنتهى بمنتصف القرن الرابع تقريباً فهى نحو ٢٠٠ سنة وهى المدة التى صعدت فيها العلوم والآداب الى ذروة مجدها وأوج عزها وفاضت فيها ينابيع المعارف على جميع البلاد الاسلامية فأينعت جنانها ودنت للقاطفين أفنانها . وفيها أشرقت شموس الأئمة المجتهدين وأجلاء المحدثين وكبار علماء الدين وأئمة العربية وفحول

العلوم رغبته فلما ساغها هنيئا عاد الى دياره وما زال يسمو على اقرانه حتى تنصب بابا فشاد للعلم مدرستين الاولى فى ايطاليا والاخرى فى ريمز وأدخل الى أوربا معارف العرب والارقام الهندية التى نقلها عنهم . ثم ثارت الحمية فى أهل ايطاليا وفرنسا وجرمانيا وانجلترا فطلبوا الاندلس من كل فج عميق وتناولوا المعارف من أهلها . قال مونتكلا فى تاريخ العلوم الرياضية ولم يقم من الافرنج عالم بالرياضيات الا كان علمه من العرب مدة قرون عديدة . فمن جملة من نقل عنهم المعارف من أهل ايطاليا دوكريمونا قرأ علم الهيئة والطب والفلسفة بطليطلة وترجم عنهم المجسطي وكتب الرازي والشيخ الرئيس الى اللاتينية وليوندار البيزي نقل عنهم الحساب والجبر وأرنولد الفيلانوفى نقل عنهم الهيئة والطبيعيات والطب . وممن نقل عنهم من الانجليز راهب اسمه بلارد وآخر اسمه مورلي وآخر اسمه سكوت وكذلك روجربا كون الشهير فان ما حصله من المعارف في الكيميا والفلسفة والرياضيات انما استخلصه من كتبهم وقد اقتبس من أقوال الحسن فى البصريات ومثله فيتليوا الذي اشتهر بالبصريات فانه أخذ كثيرا عن الحسن . ولما عرف ملوك الأفرنج قيمة معارف العرب أمروا بترجمة كتبهم ومنهم نقل شارلمان فردريك الثاني الجرماني والفونس الثانى القسطلى . والخلاصة أن الأفرنج نقلوا عن العرب مما نقله العرب عن غيرهم أو استنبطوه بأنفسهم الفلسفة والهيئة والطبيعيات والرياضيات والبصريات والكيمياء والطب والصيدلة والجغرافية والزراعة والفراسة وأخذوا عنهم عمل الورق والبارود

الشعراء وأعاظم الكتاب ورجال الآداب وغيرهم من أساطين العلماء

المدة الثانية تتلاقى مع المدة الأولى فى نهايتها وتنتهى بسقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦ وفى هذه المدة ضعف أمر الخلافة العباسية باستيلاء الديلم والسلجيوقيين على السلطة ولم يكن هؤلاء الأعاجم يعرفون من قدر العلم كما كان يعرف الخلفاء من العرب ففترت الهمم بعض الفتور واقتصر كثير من أهل العلم على النظر فى كتب من قبلهم ووشوها بالحواشى . غير أنه نبغ فى هذه المدة عدد كبير فى كل علم وفن لاسيما العلوم الرياضية والفلسفية وكان ذلك من أثر تلك الجذوة التى اشتعلت فى المدة الأولى ولم يخمدها ضعف الخلفاء

والسكر والخزف وتركيب الاودية ونسج كثير من المنسوجات وأدخلوا منهم الى بلادهم دود القز وكثيرا من الحبوب والاشجار كالارز وقصب السكر والزعفران والقطن والسبانخ والرمان والتين ونقلوا عنهم دبغ الاديم وتجفيفه وقد استرد الانجليز هذه الصناعة بعد فقدها من الاندلس بجلاء العرب عنها ولا يزالون يسمون الجلود المدبوغه بها (موركو وكردوفان) نسبة الى مراكش وقرطبة ولا تزال الالفاظ العربية مستعملة فى أكثر مباحث الافرنج الطبيعيه كالسمت والنظير والسموت والمقنطرات واسماء النجوم والكحول والقلى والجبر والقطن والشراب والكيمياء وغيرها . ولولا لغة العرب لبقيت لغة أهل اسبانيا قاصرة كما كانت فأسماء أوزانهم وأقيستهم أكثرها عربى محرف كالقنطار والربع والشبر وكذلك أسماء قطع الماء ونحوها كالبحيرة والبركة والجب والكهف وغيرها كثير فالمولدون كانوا فى زمانهم حلقة من سلسله العلوم اتصلت بها علوم الاولين بالمتأخرين ولولاهم لفقد أكثر المعارف ان لم نقل كلها وما أحسن قول جريدة مدرسة ادنبرج الكلية فى هذا المعنى (انا لمدينون للعرب كثيرا ولو قال غيرنا خلاف ذلك فانهم الحلقة التى وصلت مدنية أوربا قديما بمدنيتها حديثا وبنجاحهم وسمو همتهم تحرك أهل أوربا الى أحراز المعارف واستفاقوا من نومهم العميق فى الاعصار المظلمة . ونحن لهم مدينون أيضاً بترقيه العلوم الطبيعية والفنون الصادقة النافعة وكثير من المصنوعات والمخترعات التى نفعت أوربا كثيرا علما ومدنية) اه

بل بتيت بعدهم زمناً يقتبس منها المقتبس حتى أطفأها التتار فى بغداد والبلاد التى استولوا عليها من آسية ثم دخلوا فى الاسلام فتألق بعض وميضها كما سبق

المدة الثالثة تبتدئ بسقوط الدولة العباسية وتنتهى باستيلاء محمد علىّ باشا على مصر سنة ١٢٢٠ وفى أول هذه المدة أعدمت المعارف العربية فى بلاد فارس وما وراء النهر وبقيت زاهية فى مصر قليلا بفضل الجامع الازهر كل هذه المدة وكذلك فى بلاد المغرب فى دولة السعديين والاشراف بعدهم وفى أواخر هذه المدة كانت العلوم العربية فى آخر رمق من حياتها . ولكن كان يلوح فى أثناء ذلك الزمن بصيص من نور العلم والعرفان . ثم يختفى فقد ظهر من أكابر العلماء أبو الفداء وابن خلدون والمقريزى وابن حجر والسيوطى وابن منظور صاحب لسان العرب والمجد صاحب القاموس وابن الوردى الفقيه

المدة الرابعة تبتدئ باستيلاء محمد علىّ باشا على مصر وفى هذه المدة أخذت المعارف والآداب تدب فيها الحياة وتنمو فى مصر والشام بفضل ماطبع وألف من الكتب المختلفة النافعة . . . ولنذكر لك المختار من شعر فحول الشعراء وأئمة البلاغة وأمراء الكلام فى عدة أبواب فنقول

الباب الاول فى المديح

(من قصيدة لامية بن أبى الصلت [1] فى الخالق سبحانه وتعالى)

إلٰه العالمين وكلّ أرض ... ورَبُّ الراسيات من الجبال

بناها وابتنى سبعاً شداداً ... بلا عمَد يرين ولا رجال

(١) هو أبو القاسم أمية بن عبدالله أبى الصلت الثقفى من أهل الطائف ومن شعراء الطبقة الاولى توفى سنة ٢ هجرية

وسوّاها وزيّنها بنور ... من الشمس المضيئةِ والهلال
ومن شُهبٍ تَلأْلأَ فى دُجاها ... مَراميها أشدُّ من النّصال
وشقَّ الأرضَ فانبجستْ عيونا ... وأنهاراً من العذب الزُّلال
وبارك فى نواحيها وزكّى ... بها ما كان من حَرثٍ ومال
فكلُّ مُعمّرٍ لابدَّ يوما ... وذى دُنيا يصيرُ الى زوال
ويَفنَى بعد جدَّته ويَبلى ... سِوَى الباقى المقدَّس ذى الجلال[1]
وسِيقَ المجرمون وهم عُراة ... الى ذات المقامع والنَّكال[2]
فنادَوا ويلنا ويلاً طويلا ... وعُجوا فى سلاسلها الطوال[3]
فليسوا مَيّتين فيستريحوا ... وكلُّهم بحَرّ النارِ صالى
وحلَّ المتقون بدار صِدقٍ ... وعيشٍ ناعمٍ تحت الظلال
لهم مايَشتهون وما تمنَّوا ... من الأفراح فيها والكمال

﴿ وقال الكميت[4] فى النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

سَلِّ الهمومَ لقلبٍ غير متبول ... ولا رَهينٍ لدى بيضاءَ عُطبول[5]
ولا تَقِفْ بديارِ الحىِّ تَسألُها ... تَبكى معارفها ضلاً بتضليل[6]
ما أنتَ والدارَ اذ صارت معارفُها ... لِلرِّيح مَلعبةً ذاتِ الغرابيلِ

---

(١) الجدة بالكسر ضد البلى (٢) المقامع جمع مقمعة وزن مكنسه خشبة يضرب بها الانسان على رأسه ليذل ويهان والنكال بالفتح النازلة (٣) زجروا (٤) هو الكميت بن زيد الكوفى الاسدى ولد سنة ٦٠ وتوفى سنة ١٢٦ (٥) المتبول الذى تبله الحب واسقمه والبيضاء الحسناء والعطبول من النساء التامة الخلق (٦) الضل والتضليل كلاهما من الضلال

تسدى الرياحُ به نَسجاً وتُلحمه ذَيّانِ من مُعصِفٍ منها ومَشمول[1]
نفسى فداه رسول الله قلّ له منّى ومن بعدهم أدنى لتقليل
نفسى فداه الذى لا الغدر شيمتُه ولا المعاذير من بُخل وتقليل
الحازم الرأى والمحمود سيرته والمستضاء به والصادق القيل

﴿ وقال الفرزدق[2] فى مدح الامام زين العابدين[3] ﴾

هذا الذى تعرف البطحاء وَطأتَهُ والبيتُ يَعرفُهُ والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عباد الله كُلّهم هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلَم
إذا رأتهُ قُريشٌ قال قائلها الى مكارمِ هذا ينتهى الكرمُ
يُنمى الى ذُروةِ العزّ التى قَصُرت عن نيلها عَرَبُ الاسلام والعجَمُ
يَكادُ يُمسكهُ عِرفانَ راحتهِ رُكنُ الحَطيمِ إذا ما جاء يَستلم
فى كفّه خَيزرانٌ رِيحه عَبِقٌ من كفّ أروعَ فى عِرنينه شَمَمُ[4]
يُغضى حياءً ويُغضَى من مهابته فما يُكلَّمُ الا حينَ يبتسمُ
يَنشقُّ نورُ الهدَى من نور غُرّته كالشمس ينجاب عن اشراقها القَتَمُ[5]
مُشتقّةٌ من كِرام القوم نبعتُه طابت عناصِرُه والخيمُ والشّيَمُ[6]
هذا ابنُ فاطمةٍ ان كنتَ جاهله بجدّه أنبياء اللهِ قد ختموا

---

(١) تسدي وتلحم من السدى واللحمة للثوب والمعصف الريح الشديدة والمشمول ريح الشمال (٢) تقدم تاريخه فى (٣) هو أبو الحسن على بن الحسين بن على بن أبي طالب القرشى الهاشمى رضى الله عنه ولد سنة ٣٨ وتوفى سنة ٩٤ (٤) الاروع الشجاع ذكي القلب والعرنين بكسر العين أول الانف تحت مجتمع الحاجبين حيث يكون فيه الشمم وهو ارتفاع قصبة الانف مع استواء أعلاها (٥) ينجاب ينكشف (٦) النبعة الشجرة والخيم بكسر الخاء الطبيعة

الله شرفه قدراً وعظمه ... جرى بذاك له فى لوحه القلم
من جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمته دانت له الأمم
وليس قولك من هذا بضائره ... ألعرب تعرف من أنكرت والعجم (١)
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... تستوكفان ولا يعروهما عدم (٢)
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حمال أثقال أقوام اذا اقترضوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم
ما قال (لا) قط الا فى تشهده ... لولا التشهد كانت لاءه نعم
عم البرية بالإحسان فانقشعت (٣) ... عنها الغياهب والإملاق والظلم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما أزمة أزمت ... والاسد اسد الشرى والبأس محتدم (٤)
لا ينقص العسر بسطاً من أكفهم ... سيان ذلك إن أثروا وان عدموا

(١) يخاطب هشام بن عبد الملك وذلك أنه لما حج هشام وطاف بالبيت أراد استلام الحجر فلم يقدر لكثرة الناس فنصب له منبر فجلس عليه فبينا هو كذلك اذ أقبل زين العابدين رضي الله عنه فى ازار ورداء وكان أحسن الناس وجهاً وأعطرهم رائحة وطاف بالبيت وأتى ليستلم الحجر فتنحى له الناس هيبة واجلالا فغاظ ذلك هشاماً فقال رجل من قومه من الذى أكرمه الناس هذا الاكرام وعظموه هذا الاعظام فقال هشام لا أعرفه فقال الفرزدق وكان حاضراً هذا الذى الخ القصيدة فأمر هشام بحبس الفرزدق
(٢) تستوكفان يستقطر ان ويطلب منهما الماء والمراد الاحسان (٣) انكشفت والعياهب الظلمات والاملاق الفقر والحاجة (٤) الشري جبل بتهامة كثير السباع واحتدم اشتد

مقدَّم بعدَ ذكر الله ذكرهمُ ... فى كلّ بدء ومختومٌ به الكلِم
يأبى لهم أن يحلّ الذمّ ساحتهم ... خُلق كريم وأيدٍ بالندى هُضُم
أىُّ الخلائق ليست فى رقابهمُ ... لأوّليّة هذا أوله نعم
مَن يعرفِ الله يعرف أوّليّة ذا ... فالدّين من بيتِ هذا ناله الأمم

(من قصيدة لجرير (١) يمدح بها هشام بن عبد الملك (٢))

وأنت اذا نظرتَ إلى هشامٍ ... عرفتَ نِجارَ منتخبٍ كريم (٣)
يرى للعالمين عليه حقًّا ... كفعل الوالدِ البرّ الرّحيم
إذا بعضُ السّنين تعرّقتنا ... كفى الأيتامَ فقدَ أبى اليتيم
امير المؤمنين على صراطٍ ... إذا اعوجّ الموارد مُستقيم
لكَ الغرُّ السّوابقُ من قريشٍ ... فقد عُرِفَ الأغرُّ من البهيم
فما الامُّ التى ولدتْ قريشاً ... بمقرفةِ النّجار ولا عقيم (٤)
وما فحلٌ بأنجبَ من أبيكم ... ولا خالٌ بأكرمَ من تميم
سما أولادُ بكرةَ بنت مُرٍّ ... الى العلياء فى الحسبِ العظيم

﴿ قال زهير بن أبى سلمى (٥) يمدح هرم بن سنان (٦) ﴾

انّ الخليطَ أجدّ البينَ فانفرقا ... وعلّق القلبُ من أسماء ماعلقا (٧)

---

(١) تقدم تاريخه (٢) ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أحد ملوك بنى امية توفي سنة ١٢٥ (٣) النجار بضم النون وكسرها الاصل (٤) بمقرفة مستحدثة (٥) هو ربيعة بن رياح بن العرام بن قرط بن الحارث ينتهى نسبة الى أدين طابخة من شعراء الجاهلية (٦) ابن أبي حارثة المرى من بنى مرة بن عوف بن سعد بن ديثار صاحب زهير (٧) الخليط الشريك والزوج وابن العم والقوم الذين أمرهم واحد

وأخلفتك ابنة البكرى ماوعدت ... فأصبح الحبل منها واهنا خلقا (١)

وفارقتك برهن لا فكاك له ... يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا (٢)

قامت تراءى بذى ضال لتحزننى ... ولا محالة أن يشتاق من عشقا

بجيد مغزلة أدماء خاذلة ... من الظباء تراعى شادناً خرقا (٣)

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت ... من طيب الراح لما يعد أن عتقا (٤)

شج السقاة على ناجودها شبماً ... من ماء لينة لا طرقا ولا رنقا (٥)

ما زلت أرمقهم حتى اذا هبطت ... أيدى الركاب بهم من راكس فلقا (٦)

دانية من شروري أوقفا أدم ... تسعى الحداة على آثارهم حزقا (٧)

كأن عينى فى غربى مقتلة ... من النواضح تسقى جنة سحقا (٨)

تمطو الرشاء فتجرى فى ثنايتها ... من المحالة قباً رائداً قلقا (٩)

لها متاع وأعوان غدون به ... قتب وغرب اذا ما فرغ انسحقا (١٠)

---

(١) الحبل العهد (٢) برهن أي بقلب وغلق الرهن كفرح استحقه المرتهن اذا لم يفتكك فى الوقت المشروط (٣) مغزلة ظبية ذات غزال وادماء من الادمة في الظباء وهو لون مشرب بياضا وخاذلة من خذلت الظبية اذا تخلفت عن صواحبها أو أقامت على ولدها (٤) اغتبق شرب الغبوق لما يعد لم يجز ان صار عتيقا (٥) شج الشراب مزجه والناجود الخمر واناؤها والشبم الماء البارد ولينة موضع والطرق الماء الذي طرقته الابل وبالت فيه وبعرت والرنق الكدر (٦) الراكس واد والفلق المطمئن من الارض (٧) شروري وادم موضعان والحزق الجماعات واحدتها حزقة (٨) الغرب الدلو العظيمة والمقتلة المجربة والنواضح من الابل التى يستقى عليها واحدها ناضح والجنة البستان والسحق النخل الطويل واحدته سحوق (٩) الرشاء الحبل والثناية حبل يشد طرفاه فى قتب الناضح ويشد طرف الرشاء فى مثناته ومعنى (فى ثنايتها) أى وعليها حبلها والمحالة البكرة والقب الثقب يجرى فيه المحور من المحالة والرائد القذي الذى يجول فى العين (١٠) القتب ما استدار من البطن والغرب مقدم العين ومؤخرها

وخلفها سائق يحدو اذا خشيت ... منه اللحاق تمدُّ الصلبَ والعنقا
وقابلٌ يتغنَّى كلما قدرت ... على العراقى يداه قائماً دفقا (١)
يُخيلُ فى جدول تحبو ضفادعه ... حبوَ الجوارى ترى فى مائه نطقا (٢)
يخرُجْنَ من شربات ماؤها طحلٌ ... على الجذوع يخفْنَ الغمَّ والغرقا (٣)
بل أذكرن خير قيس كلها حسبا ... وخيرها نائلا وخيرها خلقا
القائدَ الخيلِ منكوباً دوائرُها ... قد أحكمت حكمات القدّ والأُبقا (٤)
غزَت سماناً فآبت ضُمَّراً خدُجاً ... من بعد ما جنبوها بُدَّناً عفقا (٥)
حتى يؤوبَ بها عُوجاً مُعطّلةً ... تشكو الدوابرَ والأنساء والصفقا (٦)
يطلبُ شأْوَ امرأَيْن قدَّما حسناً ... نالا الملوكَ وبُذَّا هذه السُوقا
هو الجوادُ فان يلحق بشأوهما ... على تكاليفه فمثلُه لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مَهَلٍ ... فمثل ما قدّما من صالحٍ سبقا
أشمُّ أبيضُ فيّاض يفكّك عن ... أيدى العُناةِ وعن أعناقها الرِّبقا

(١) القابل الذى يأخذ الدلو من الساقي والعراق يريد العرقوتين وهما خشبتان يعرضان على الدلو كالصليب (٢) النطق جمع نطاق وهو ما يشد به الوسط والمراد بها هنا نفاخات ودارات على الماء (٣) الشربات جمع شربة بالتحريك وهى حويض حول النخلة يسع ريها والطحل الماء المطحلب وهوخضرة تعلو الماء المزمن (٤) المنكوب الذي اصابت الحجارة رجليه وحكمات جمع حكمة بالتحريك حديدة فى اللجام تكون على أنف الفرس ومعنى أحكمت قلدت والقد السير يقد من جلد غير مدبوغ والابق من الحبل القنب (٥) الخدج التى تلقى أولادها لغير تمام جمع خدوج والبدن جمع بادن وهى الضخمة السمينة والعقق جمع عقوق وهى التى استبان حملها جنبوها قادوها (٦) يؤوب يرجع والدوابر جمع دابرة وهى ما حاذي مؤخر الرسغ من الحافر الانساء عروق الفخذين جمع نسا والصفق جمع صفاق وهو الجلد الذي دون الجلد الاعلى مما يلى البطن

وذاك أحزمهم رأياً اذا نبأ ... من الحوادث غادى الناس أو طرقا
فضل الجياد على الخيل البطاء فلا ... يعطى بذلك ممنوناً ولا نزقا (١)
قد جعل المبتغون الخير فى هرم ... والسائلون الى أبوابه طرقا
ان تلق يوماً على علاته هرماً ... تلق السماحة منه والندى خلقا
وليس مانع ذى قربى وذى رحم ... يوماً ولا معدماً من خابط ورقا (٢)
ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ... ما كذب الليث عن أقرانه صدقا (٣)
يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا ... ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا
هذا وليس كمن يعيا بخطبته ... وسط الندى اذا ما ناطق نطقا
لو نال حى من الدنيا بمنزلة ... وسط السماء لنالت كفه الأفقا

﴿ وقال الشاعر المخضرم وهو الحطيئة (٤) يمدح آل لأى ﴾

ألا هبت أمامة بعد هدء ... تعاتبنى وما قضت كراها
فقلت لها أمام ذرى عتابى ... فان النفس مبدية ثناها
وليس لها من الحدثان بد ... اذا ما الدهر من كثب رماها (٥)
فهل أبصرت أو خبرت نفساً ... أتاها فى تمنيها مناها

(١) أي فضل الناس فضل الجياد على البطاء من الخيل والممنون المقطوع والنزق السريع في أول ما يجري ثم ينقطع مثل البرذون أى الممدوح فى الناس مثل الجواد فى الخيل يعطيك ما عنده من الجري دون أن يقطع جريه أو يبطى بعد السرعة (٢) خابط ورقا أى سائل معروفا وهو مستعار من خبط ورق الشجر ليتناثر وتأكله الماشية (٣) عثر اسم موضع (٤) هو أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك ينتهى نسبه الى غطفان اسلم ثم ارتد ومات سنة ٣٠ ولأي تصغيره لؤى وآل لأي مراده آل لؤي بن غالب بن فهر (٥) من كثب محركا أي من قرب

كأنى ساورتنى ذاتُ سُمٍّ ... نقيعٍ لا يُلائمها رُقاها
لعَمرُ الراقصاتِ بكلِّ فجٍّ ... من الركبان مَوعدُها مناها
لقد شدّت حبائلُ آلِ لأْىٍ ... حبالى بعد ماضعُفت قُواها
فما تتأمُ جارةُ آلِ لأْىٍ ... ولكن يَضمنون لها قِراها(١)
لَعمرُك ما يُضيّعُ آلُ لأْىٍ ... وثيقاتِ الأمور الى عُراها
وما تركت حفائظُها لأمرٍ ... ألمّ بها وما صغُرت لُهاها
ومن يَطلب مساعىَ آلِ لأْىٍ ... تُصعّدُه الأمورُ الى عُلاها
كِرامٌ يفضلون قُرومَ سَعدٍ ... أُولى أحسابها وأُولى نُهاها
وهم فَرعُ الذُّرا من آلِ سعدٍ ... اذا ماعُدَّ من سعدٍ ذُراها
وخُطّةُ ماجدٍ فى آلِ لأْىٍ ... اذا ماقام قائلُها قضاها
اذا اعوجّت قناةُ الأمرِ يوماً ... أقاموها لتَبلُغَ مُنتهاها
ويَبنى المجدَ راحلُ آلِ لأْىٍ ... على العَوجاء مضطَرِماً حُشاها(٢)
وتَسعَى للسياسةِ آلُ لأْىٍ ... فتُدرِكها وما اتصلت لِحاها(٣)
لَعمرُك انّ جارةَ آلِ لأْىٍ ... لَعفٌّ جيبُها حَسَنٌ ثناها

﴿ وقال الاخطل يمدح الحجاج بنه يوسف (٤) ﴾

صرمتْ حِبالك زينبٌ وقُدورُ ... وحِبالُهنَّ اذا عُقِدنَ غرور

(١) انام افتعل من الانيام وهو ذبح التيمة أي الشاة يقول ان جارتهم لا تحتاج ان تذبح شاتها لانهم يضمنون لها كفايتها من القرى (٢) العوجاء اسم جبل والمضطرم المنفعم (٣) اللحاء قشر الشجرة (٤) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل ينتهى نسبه الى ثقيف قبيلة بالطائف توفى سنة ٩٥

يرمين بالحدق المراض قلوبنا فعويهن مكلف مضرور
وزعمن انى قد ذهلت عن الصبا ومضى لذلك أعصر ودهور
واذا أقول صحوت من ادوائها هاج الفؤاد دمى أوانس حور (١)
واذا نصبن قرونهن لغدرة فكأنما حلت لهن نذور
ولقد اصيد الوحش فى أوطانها فيذل بعد شماسه اليعفور
أحيا الإله لنا الأمام فانه خير البرية للذنوب غفور
نور أضاء لنا البلاد وقد دجت ظلم تكاد بها الهداة تجور
الفاخرون بكل يوم صالح وأخو المكارم بالفعال فخور
فعليك بالحجاج لا تعدل به أحداً اذا نزلت عليك أمور

وقال أبو تمام (٢) فى المعتصم بالله

إلى قطب الدنيا الذى لو بفضله مدحت بنى الدنيا كفتهم فضائله
من الباس والمعروف والجود والتقى عيال عليه رزقهن شمائله
هو البحر من أى النواحى أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن فى كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

وله فيه أيضا

السيف أصدق إنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى متونهن جلاء الشك والريب

(١) الدمى جمع دمية الصورة المنقشة المزينة فيها حمرة كالدم يضرب بها المثل فى الحسن يقال أحسن من دمية (٢) تقدم تاريخه

فتحٌ تفتّحُ أبوابُ السماء له ... وتبرُزُ الأرضُ فى أثوابها القُشُب (١)
غادرتَ فيهم بهيمَ الليلِ وهو ضُحًى ... يُقِلُّهُ وسطَها صبحٌ من اللَّهَب (٢)
حتى كأنّ جلابيبَ الدُّجَى رَغِبتْ ... عن لونِها وكأنّ الشمسَ لم تَغِبِ
أجبتَهُ مُعلِناً بالسيفِ مُنصلِتاً ... ولو أجبتَ بغيرِ السيف لم تُجِبِ

(وله)

مازلتَ ترغبُ فى النّدَى حتى بدتْ ... للراغبين زَهادةٌ فى المَسجدِ
فاذا ابْتَنيتَ بجودِ يومِكَ مَفخراً ... عصفَتْ بهِ أرواحُ جودكَ فى غدِ
فلوَيتَ بالموعودِ أعناقَ المُنَى ... وحطمْتَ بالإنجازِ ظهرَ الموعد
وطلعتَ فى درَجِ العُلَى حتى اذا ... جئتَ النجومَ نزلتَ فوقَ الفرقد
انّ الخلافةَ لو جزتْكَ بموقفٍ ... جعلتْ مثالكَ قِبلةً للمسجد

﴿ وقال محمد بن هانئ فى جعفر بن على بن غلبون ﴾

فتقتْ لكم ريحُ الجلادِ بعنبرٍ ... وأمدّكم فلقَ الصباحِ المُسفرِ (٣)
وجنيتمُ ثمرَ الوقائعِ يانعاً ... بالنصرِ من ورقِ الحديدِ الأخضرِ
وضربتمُ هامَ الكُماةِ ورُعتمُ ... بيضَ الخدورِ بكلّ ليثٍ مُخدرِ (٤)
أبنى العوالى السمهريّةِ والسُّيو ... فِ المشرفيّةِ والعديدِ الأكثرِ (٥)
مَن منكمُ الملكُ المطاعُ كأنّه ... تحتَ السوابغِ تُبّعٌ فى حِميرِ (٦)

---

(١) القشب الجدد (٢) غادرت تركت وبهيم الليل سواده (٣) الجلاد النخل الكبار الصلاب (٤) الهام جمع هامة الرأس والكماة جمع كمي الشجاع وبيض الخدور النساء المخدرات (٥) العوالي الرماح والسمهرية الصلبة (٦) السوابغ الدروع وتبع أحد ملوك حمير

أَلقائدُ الخيلِ العِتاقِ شَوازِباً ... خُزْراً الى لحظِ السِّنانِ الأخزرِ (١)
شُعثَ النَّواصى حشرةً آذانُها ... قُبَّ الأياطلِ دامياتِ الأنسرِ (٢)
تَنبُو سنابكُهنَّ عن عَفَرِ الثَّرى ... فَيَطانَ فى خدِّ العزيزِ الأصعرِ
فى فِتيةٍ صَدأُ الدروعِ عَبيرُهم ... وخُلوقُهم علقُ النَّجيعِ الأحمرِ
لايأكلُ السِّرحانُ شِلْوَ طَعينِهم ... مما عليه من القَنا المتكسرِ
أنِسُوا بِهجرانِ الأنيسِ كأنهم ... فى عَبقريِّ البيدِ جِنَّةُ عبقرِ
ومشوا على قِطَعِ النفوسِ كأنما ... تَمشى سنابكُ خيلِهم فى مَرمرِ (٣)
قومٌ يبيتُ على الحشايا غيرهم ... ومبيتُهم فوقَ الجيادِ الضُّمَّرِ
وتَظَلُّ تسبحُ فى الدماءِ قِبابُهم ... فكأنهنَّ سفائنٌ فى أبحرِ
فَحياضُهم من كلِّ مهجةِ ضالعٍ ... وخيامُهم من كلِّ لِبدةِ قَسورِ
وكفاكَ من حبِّ السماحةِ أنها ... منهم بموضعِ مُقلةٍ من محجرِ

وقال المتنبى فى بدر بن عمار

أَرِجَ الطريقُ فما مررتَ بموضعٍ ... إلاَّ أقامَ به الشَّذا مُستوطنا
لو تَعقلُ الشجرَ التى قابلتَها ... مدَّت مُحيِّيةً إليكَ الأغصنا
أقبلتَ تبسمُ والجيادُ عوابسٌ ... يخبِّبنَ بالحلقِ المضاعفِ والقنا
عقدَت سنابكُها عليها عِثيرًا ... لو تبتغى عنقاً عليه لأمكنا
والأمرُ أمرُكَ والقلوبُ خوافقٌ ... فى موقفٍ بين المنيةِ والمنى
فعجبتُ حتى ما عجبتُ من الظُّبى ... ورأيتُ حتى ما رأيتُ من السنى

(١) الشوازب الضوامر والخزر جمع خزراء العين الضيقة (٢) شعث النواصي مغبرات الرؤس (٣) سنابك جمع سنبك طرف الحافر

(وله)

دَخلتها وشعاع الشمس مُتَّقِدٌ ... ونور وجهك بين الخلق باهرُهُ
فى فيلقٍ من حديد لو قذفت به ... صَرْفَ الزَّمانِ لما دارت دوائرُه
تمضى الموا كِبُ والأبصار شاخصة ... منها الى الملك الميمون طائرُه
قد حرْنَ فى بَشَرٍ فى تاجه قمر ... فى درعه أسدٌ تدْمَى أظافرُه
حلوٌ خلائقه شوس حقائقه ... تُحْصَى الحصى قبل أن تحصى مآثره
تضيقُ عن جيشه الدنيا ولو رحُبَتْ ... كصدره لم تبنْ فيها عساكرُه
يا من ألوذ به فيما أؤمِّلُهُ ... ومن أعوذ به مما أحاذرُه
ومن توهَّمتُ أنّ البحر راحته ... جوداً وأنَّ عطاياه جواهرُه
لا يجبُرُ الناسُ عَظماً أنت كاسرُه ... ولا يهيضون عظما أنت جابرُه

وقال أبو بكر بن عمار فى المعتضد بالله

ملكٌ إذا ازدحم الملوك بمورِد ... ونحاه لا يردون حتى يَصدُرَا
أندى على الأكبادِ من قطر الندى ... وألذُّ فى الأجفانِ من سِنَةِ الكرى
يختار إذ يهب الخريدةَ كاعباً ... والطِّرْفَ أجرد والحُسامَ مُجوْهَرا
قدَّاحُ زَنْدِ المجدِ لا ينفكُّ عن ... نارِ الوَغَى إلاَّ الى نارِ القِرَى
لا خَلْقَ أقرأُ من شِفارِ حُسامه ... ان كنت شبَّهتَ المواكبَ أسطُرَا
أيقنتُ أنى من نداه بجنة ... لما سقانى من نَداه الكوْثرَا
وعلمت حقاً أنّ ربعى مُخصِبٌ ... لما سألت به الغمام المُمطِرَا
ملك يَروقك خَلْقُهُ أو خُلْقُهُ ... كالروض يحسُن منظراً أو مَخبَرَا
أقسمتُ باسمِ الفضلِ حتى شِمْتُه ... فرأيته فى بُردَتيهِ مُصوَّرا

وجهلت معنى الجود حتى زرته فقرأته فى راحيته مفسرا
فاح الثرى متعطراً بثنائه حتى حسبنا كل ترب عنبرا
وتتوجت بالزهر صلع هضابه حتى ظننا كل هضب قيصرا
هصرت يدى غصن الندى من كفه وجنت به روض السرور منورا

وقال البحترى فى المتوكل على الله

بالبر صمت وأنت أفضل صائم وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بيوم الفطر عيناً انه يوم أغر من الزمان مشهر
أظهرت عز الملك فيه بجحفل لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت عدداً يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعى والبيض تلمع والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تميد بثقلها والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس طالعة توقد فى الضحى طور او يطفئها العجاج الأكدر
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلى ذاك الدجى وانجاب ذاك العثير
فافتن فيك الناظرون فإصبع يومى اليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التى فازوا بها من أنعم الله التى لا تكفر
ذكروا بطلعتك النبى فهللوا لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت الى المصلى لابساً نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع لله لا يزهى ولا يتكبر
فلو أن مشتاقا تكلف فوق ما فى وسعه لمشى اليك المنبر
أبديت من فصل الخطاب بحكمة تنبى عن الحق المبين وتخبر

ووقفت فى بُردِ النبىّ مذكّراً بالله تُنذِرُ تارةً وتبشّرُ

وقال أبو الشيص الخزاعى

عشقَ المكارم فهو مُشتغلٌ بها والمكرُماتُ قليلةُ العُشّاقِ
وأقام سوقاً للثناء ولم تكن سوق الثناء تُعَدُّ فى الأسواقِ
بَثَّ الصنائع فى البلاد فأصبحت تُجبى اليه محامد الآفاق

وقال أبو موسى

قوم اذا اقتحموا العَجاج رأيتهم أُسُداً وخلتَ وجوههم أقمارا
لا يعدلون برِفدِهِمْ عن سائل عَدلَ الزمان عليهمُ أو جارا
واذا الصريخ دعاهمُ لِمُلمّةٍ بذلوا النفوس وفارقوا الأعمارا
وإذا زِنادُ الحربِ أخمدَ نارها قدحوا بأطراف الأسنّة نارا

وقال مروان بن أبى حفصة فى معن بن زائدة

تجنّبَ (لا) فى القول حتى كأنه حرام عليه قول (لا) حين يُسألُ
تشابه يوماه علينا فأشكلا فلم نكُ نَدرى أىُّ يوميه أفضلُ
أيوم نَداهُ الغَمر أم يوم بأسه وما منهما إلاّ أغرُّ مُحجّلُ
بهاليل فى الاسلام سادوا ولم يكن كأولهم فى الجاهلية أول
همُ القوم ان قالوا أصابوا وان دُعوا أجابوا وإن أعطَوْا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم وان أحسنوا فى النائباتِ وأجملوا

وقال المتنبى فى سيف الدولة

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملِك مِلْءُ الزمان وملءُ السّهل والجبل

فنحن فى جذل والروم فى وجل ... والبرُّ فى شغل والبحر فى خجل
ليت المدائحَ تستوفى مناقبه ... فما كُليبٌ وأهل الأعصر الأُول
خذ ماتراه ودَع شيئاً سمعت به ... فى طلعة البدر ما يُغنيك عن زُحل
وقد وجدتَ مكان القول ذا سعة ... فان وجدتَ لساناً قائلا فقل
انّ الامام الذى نخر الأنام به ... خير السيوف بكفَّىْ خيرة الدُّوَل
تُمسى الأمانىَ صرعَى دون مبلغه ... فما يقول لشىء ليت ذاك لى

وقال أبو العلاء المعرى

اليك تناهى كلُّ فخر وسُؤدد ... فأنْلِ الليالى والأنام وجدِّدِ
لجدِّك كان المجد ثمَّ حويته ... ولابنك يُبنَى منه أشرفُ مقعَدِ
ثلاثة أيامٍ هى الدهرُ كله ... وماهنَّ غيرُ الأمس واليوم والغد
وما البدر إلاّ واحد غير أنه ... يغيب ويأتى بالضياء المجدّد
فلا تحسب الأقمار خلقاً كثيرة ... فجملتها من نيّر مُتردّد
وللحسَن الحُسنى وان جاد غيره ... فذلك جود ليس بالمتعمَّد
١ له الجوهر السارى يؤمّم شخصه ... يجوب اليه محتداً بعد محتِد
٢ ولو كتموا أنسابهم لعَرَفتهُمُ ... وجوهٌ وفعل شاهد كل مُشهد
وقد يُجتدَى فضل الغمام وانما ... من البحر فيما يزعم الناس يجتدِى
ويهدى الدليلُ القومَ والليل مظلم ... ولكنه بالنجم يهدى ويهتدى

(١) أى جوهره يؤمم أي يقصد ويجوب اليه أصلا بعد أصل حتى يكون هو من ذلك الجوهر (٢) المعنى ان ما يشاهد فى هؤلاء من الكرم انما استفادوه من شرف محتد آبائهم وراثة فالفرع يتبع الاصل

فيا أحلم السادات من غير ذلّة ... ويا أجودَ الأجوادِ من غير مَوعد

١ وطئتَ صروف الدهر وطأة ثائر ... فأتلفتَ منها نفس مالم تُصفّد

ودانت لك الأيام بالرغم وانضوت ... اليك الليالى فارْم مَنْ شئتَ تقْصِد

٢ بسبع إماء من زَغاوَةَ زُوّجَتْ ... من الروم فى نَعماك سبعة أعبُد

٣ ولولاك لم تسلم أقامية الردى ... وقد أبصرت من مثلها مَصْرَع الردى

٤ فأنقذتَ منها مَعْقِلاً هَضَباته ... تلفّعُ من نسج السحاب وترتدى

٥ وحيداً بثغر المسلمين كأنه ... بفيه مُبَقّى من نواجذ إدرَد

٦ بأخضرَ مثل البحر ليس اخضراره ... من الماء لكنْ من حديد مُسَرَّد

٧ كأن الأنوق الخُرس فوق غُباره ... طوالع شَيْب فى مفارق أسود

٨ وليس قضيب الهند الا كنابت ... من القضب فى كفّ الهِدَانِ المعرّد

---

(١) يريد أذلت صروف الدهر منها ما صفدته أي أثقلته بالقيود وما لم تقيده أهلكته (٢) أى ارم من شئت بسبع اماء من زغاوة وهى قبيلة من السودان يريد سبع ليالى أتبكحت من سبعة اعبد من الروم يريد سبعة ايام اى ان الايام والليالى عبيدك واماؤك والدهر كله مبنى من سبعة ايام وسبع ليالى (٣) اقامية حصن سلم بالممدوح من الهلاك ولولاه لالتحقت بمثلها (٤) اي خلصت من اقامية معقلا كأن هضباته تتخذ السحاب دراء وقال بعضهم

سقى الله من أعلام بغداد قلعة ... يحوم بها نسر السماء على وكر

نسر السماء هو السماك (٥) أي بقى هذا الحصن وحيداً بالثغر وهو الذى بين دار الاسلام والكفر كأن هذا الحصن الفرد بفيه أي بقى الثغر ناجذ واحد بقى فى فم ادرد (٦) أي بجيش أخضر يريد من كثرة السلاح يرى كأنه أخضر (٧) الانوق الرخم وهى توصف بقلة الصوت شبه الرخم البيض الطائرة فوق الغبار الاسود بالشعرات البيض في مفارق رجل أسود قد شاب مفرق رأسه (٨) الهدان الجبان . والقضب هو القت نبت معلوم

١ متى أنافى ركب يؤمّون منزلا توحّد من شخص الشريف بأوحد
٢ على شدفيّات كأنّ حُداتها اذا عرّس الرّكبان شُرّاب مُرقِد
تُلاحظ أعلام الفلا بنواظر كُحلنَ من الليل التّمام بإثمِد
٣ يُخلنَ سَمَاماً فى السماء اذا بدت لهنّ على أين سماوة مَورد
٤ تَظُنّ به ذَوبَ اللُّجَين فان بدت له الشمس أجرت فوقه ذوب عسجد
تبيت النجوم الزُّهر فى حُجُراته شوارعَ مثل اللؤلؤ المتبدّد
٥ فأطمعنَ فى أشباحهنّ سواقطا على الماء حتى كِدنَ يُلقطنَ باليد
٦ مُدَّت الى مثل السماء رِقابها وعبّت قليلا بين نَسر وفرقد
٧ وذُكّرن من نيل الشريف مواردا ثمانلن منه غير شرب مُصرّد
ولاحت لها نار يُشبّ وقودها لأضيافه فى كل غور وفدفد
٨ بخرق يُطيل الجُنح فيه سجودُه وللأرض زِيُّ الراهب المتعبّد
٩ فمرّت اذا غنى الرديف وقد ونت بذكراه زفّت كالنعام المُطرّد
يُحاذرن وطء البيد حتى كأنما يطأن برأس الحزن هامة أصيد

(١) توحد أى تميز عن سائر المنازل وصار أوحدها لما كان صاحبه أوحد الناس
(٢) المرقد دواء يشرب ليرقد صاحبه (٣) السمام ضرب من الطير (٤) أي تظن أنت
(٥) أي ظهرت النجوم فى الماء حتى اطمعت من رآها وقال العجاج

باتت تظن الكوكب السيارا لؤلؤة في الماء او مسمارا

(٦) اي وردت الابل الماء ومدت اعناقها للشرب الى مورد مثل السماء لما يري فيه من النجوم فشربت ماء قليلا بين هذين الكوكبين (٧) المصرد المقلل يقول لما وردت الابل الماء ناهلة ذكرت انها قاصدة هذا الممدوح وهى ترد منهلا من نيله فقلت شرب الماء اتصيب رياً من موارد نيله وعطائه (٨) الخرق الفلاة . والجنح الليل ويطيل سجوده أى يطول لبثه (٩) زلت النعامة اذا مشيت مشياً سريعاً

١ وينفرن فى الظلماء عن كلّ جدول نفار جبان عن حسام مجرّد
تطاول عهد الواردين بمائه وعُطّل حتى صار كالصارم الصدى
٢ الى بردى حتى تظلّ كأنها وقد كرعت فيه لواثم مبرد

﴿ وقال أبو الطيب يمدح أبا شجاع ﴾

لاخيلَ عندك تُهديها ولا مالُ فليُسعِد النُطقُ ان لم تُسعد الحالُ
واجزِ الاميرَ الذى نُعماهُ فاجئةٌ بغير قول ونُعمَى الناسِ أقوالُ
فربما جزَت الاحسانَ مُوليه خَريدةٌ من عذارى الحَيّ مكسالُ
وان تكن محكماتُ الشكل تمنعنى ظهورَ جَرْيٍ فلى فيهنّ تصهال
وما شكَرْتُ لأنّ المالَ فرّحنى سيّان عندىَ اكثارٌ وإقلال
لكن رأيتُ قبيحاً أن يُجادَلنا وأنّا بقضاء الحق بخّال
فكنتُ مُنبتَ رَوْضِ الحزْنِ باكرَه غيثٌ بغير سباخ الارض هطّال
غيثٌ يُبيّن للنُظّار موقعُه أنّ الغُيوثَ بما تأتيه جُهّال
لا يُدرك المجدَ الاّ سيّد فطنٌ لما يشقُّ على السادات فعّال
لا وارثٌ جهلتْ يُمناه ما وهبتْ ولا كسوبٌ بغير السيف سَئّال
قال الزمانُ له قولا فأفهمه أنّ الزمان على الامساك عذّال
تدرى القناةُ اذا اهتزّت براحتِه أنّ الشقىّ بها خيلٌ وأبطال
كفاتك ودُخول الكاف منقصةٌ كالشمس قُلتُ ومالِلشمس أمثال
القائدُ الأسدَ غذّتها براثنُه بمثلها من عِداهُ وهى أشبال

(١) اي ان هذا الجدول لم يرده الواردون وعلاماءه الطحلب (٢) يقول ينفرن فى الظلماء عن كل جدول رغبة عنه سائرة الى بردي لتشرب منها وبردي نهر معروف

القاتل السيفَ فى جسم القتيل به ... وللسيوف كما للناس آجالُ
تغير عنه على الغارات هيبته ... وما أَهُ بأقاصى البرّ اهمال
له من الوحش ما اختارت أسنّته ... عيرٌ وهيقٌ وخنساءٌ وذيّال
تمسى الضيوف مشهاةً بعقوته ... كأن أوقاتها فى الطيب آصال
لو اشتهت لحمَ قارِيها لبادرها ... خراذلٌ منه فى الشيزى وأوصال
لا يعرف الرزءَ فى مالٍ ولا ولدٍ ... الا اذا احتفز الضيفانَ ترحال
يروى صدَى الأرض من فضلات ما شربوا ... محضُ اللقاح وصافى اللون سلسال
تقرى صوارمه الساعات عبطَ دمٍ ... كأنما الساعُ نزّال وقفّال
تجرى النفوس حواليه مخالطة ... منها عداةٌ وأغنامٌ وآبالُ
لا يحزم البعدُ أهلَ البعد نائله ... وغيرُ عاجزة عنه الأطيفال
أمضى الفريقين فى أقرانه ظُبةً ... والبيضُ هاديةٌ والسُّمْرُ ضلاّل
يريك مخبرُه أضعافَ منظره ... بين الرجال وفيها الماء والآل
وقد يلقبه المجنونَ حاسدُه ... اذا اختلطنَ وبعضُ العقل عُقّال
يرمى بها الجيشَ لا بُدّ له ولها ... من شقه ولو انّ الجيشَ أجبال
اذا العدَى نشبت فيهم مخالبُه ... لم يجتمع لهمُ حامٌ وريبال
يروعهم منه دهرٌ صرفُه أبداً ... مجاهرٌ وصروف الدهر تغتال
أنا له الشرفَ الأعلى تقدّمه ... فما الذى بتوقّى ما أتى نالوا
اذا الملوك تحلّت كان حليته ... مهنّدٌ وأصمُّ الكعب عسّال
أبو شجاع أبو الشجعان قاطبةً ... هوْلٌ نمته من الهيجاء أهوال
تملك الحمدَ حتى ما لمفتخرٍ ... فى الحمد حاءٌ ولا ميمٌ ولا دال

عليه منه سرابيلٌ مضاعفةٌ ... وقد كفاه من المـاذىّ سربال
وكيف أسترُ ما أوليتَ من حسَنٍ ... وقد غمرتَ نوالا أيُّها النَّال
لطَّفتَ رأيَك فى برّى وتكرمتى ... انّ الكريم على العلّياء يحتال
حتى غدوتَ وللأخبار تجوال ... وللكواكب فى كفّيك آمال
وقد أطالَ ثنائى طولُ لابسه ... انّ الثناء على التنبال تنبال
ان كنتَ تكبُرُ أن تختال فى بشرٍ ... فانّ قـدرك فى الأقدار يختال
كأنّ نفسـك لا ترضاك صاحبها ... الا وأنتَ على المفضال مفضال
ولا تعُدّك صـوّانا لمهجتها ... الا وأنت لها فى الرّوع بذّال
لولا المشـقّة ساد الناسُ كلُّهم ... الجودُ يُفقر والإقـدام قتّال
وانما يبلغ الانسانُ طاقته ... ما كلُّ ماشيةٍ بالرّحل شملال
انا لفى زمنٍ تركُ القبيح به ... من أكثر الناس احسان واجمال
ذِكرُ الفتى عمرُه الثانى وحاجته ... ما فاتَهُ وفضولُ العيش أشغال

﴿ وله يمدح سيف الدولة ويذكر بناء قلعة الحدث ﴾

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ... وتأتى على قدر الكرام المكارم
ويعظُم فى عين الصغير صغارُها ... وتصغُر فى عين العظيم العظائم
يكلّف سيفُ الدولة الجيشَ همَّه ... وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه ... وذلك ما لا تدّعيه الضّراغم
يُفدّى أتمُّ الطّير عُمْراً سلاحه ... نُسورُ الملا أحداثُها والقشاعم
وما ضرّها خلقٌ بغير مخالبٍ ... وقد خُلقت أسيافه والقوائم
هل الحدَث الحمراء تعرف لونَها ... وتعلَم أىَّ الساقيين الغمائم

سقتها الغمام الغرّ قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا تقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم
طريدة دهر ساقها فردّدتها على الدين بالخطّى والدهر راغم
تفيت الليالى كلّ شىء أخذته وهنّ لما يأخذن منك غوارم
وكيف ترجّى الروم والروس هدمها وذا الطعن آساس لها ودعائم
وقد حاكموها والمنايا حواكم فما مات مظلوم ولا عاش ظالم
أتوك يجرّون الحديد كأنهم سروا بجياد ما لهنّ قوائم
اذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم
خميس بشرق الارض والغرب زحفه وفى أذن الجوزاء منه زمازم
تجمّع فيه كلّ لسن وأمّة فما تفهم الحدّاث الا التراجم
فلله وقت ذوب الغشّ ناره فلم يبق الا صارم أو ضبارم
تقطّع مالا يقطع الدرع والقنا وفرّ من الابطال من لا يصادم
وقفت وما فى الموت شكّ لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمرّ بك الابطال كلمى هزيمة ووجهك وضّاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى الى قول قوم أنت بالغيب عالم
ضمّمت جناحيهم على القلب ضمّة تموت الخوافى تحتها والقوادم
بضرب أتى الهامات والنصر غائب وصار الى اللبّات والنصر قادم
حقرت الرّدينيات حتى طرحتها وحتى كأنّ السيف للرمح شاتم
ومن طلب الفتح الجليل فانما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

نثرتهم فوق الاحيدب نثرة ... كما نثرت فوق العروس الدراهم
تدوس بك الخيل الوكور على الذرا ... وقد كثرت حول الوكور المطاعم
تظن فراخ الفتخ أنك زرتها ... بأمّاتها وهى العتاق الصلادم
اذا زلقت مشيتها ببطونها ... كما تمشى فى الصعيد الأراقم
أفى كل يوم ذا الدمستق مقدم ... قفاه على الاقدام للوجه لائم
أينكر ريح الليث حتى يذوقه ... وقد عرفت ريح الليوث البهائم
وقد خجعته بابنه وابن صهره ... وبالصهر حملات الأمير الغواشم
مضى يشكر الاصحاب فى فوزته الظبا ... بما شغلتها هامهم والمعاصم
ويفهم صوت المشرفية فيهم ... على أن أصوات السيوف أعاجم
يسر بما أعطاك لا عن جهالة ... ولكن مغنوما نجا منك غانم
لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه ... فانك معطيه وأنى ناظم
وانى لتعدوبى عطاياك فى الوغى ... فلا أنا مذموم ولا أنت نادم
على كل طيار اليها برجله ... اذا وقعت فى مسمعيه الغماغم

(قال جرير [1] يمدح عمر بن عبد العزيز [2])

(١) هو أبو حرزة بن عطية التميمى المشهور قد اعترف له بطول الباع فى فنون الشعر وسرعة الخاطر . مدح خلفاء عصره وأمراءه بقصائد تشهد له بالفضل . وكان بينه وبين معاصريه من الشعراء مهاجات شديدة اللهجة استغرقت مدة طويلة من حياته فهجاهم وهجوه وأقلهم وأقلقوه توفى باليمامة سنة ٧٣٢ وعمره ٦٨ سنة (٢) هو أبو حفص الاشج سابع خلفاء بنى أمية . ولد بالمدينة وتأدب فيها ونبغ فى العلوم حتى قيل ان علماء زمانه كانوا كتلاميذ له . استوزره ابن عمه سليمان بن عبد الملك وأطلق يده فى امور الخلافة فقام باعبائها خير قيام . ثم لما مات سليمان المذكور خلفه عمر بعهد منه فحذا حذو الخلفاء الراشدين وابطل سب الامام على وآل بيته من على المنابر وأبدله بالاية الآتية إن الله

إنا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر (١)

نال الخلافة إذ كانت له قدرا ... كما أتى ربَّهُ موسى على قدر (٢)

أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت ... أم تكتفى بالذى بُلِّغت من خبرى

ما زلتُ بعدك فى دار تغصّنى ... قد طال بعدك إصعادى ومُنحَدَرى

لا ينفع الحاضرَ المجهودَ باديَنا ... ولا يجود لنا بادٍ على حضر (٣)

كم بالمواسم من شعثاء أرملةٍ ... ومن يتيم ضعيف الصوت والبصر (٤)

يدعوك دعوة ملهوف كأن به ... مسًّا من الجن أو رزءا من البشر (٥)

ممَّن يعدّك تكفى فقدَ والده ... كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر (٦)

(وقال الاخطل (٧) يمدح الحجاج)

أحيا الإله لنا الإمام فانه ... خير البرية للذنوب غفور

يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون . كان اليه المنتهى في التدين والتآلف ونشر العدل ورد المظالم . مات مسموما سنة ٧٢٠ وعمره ٤٥ سنة (١) أخلفنا الغيث اى المطر اطمعنا فى النزول ولم ينزل (٢) إذ تعليليه اى لانها كانت مقدرة له من الله كما كان إتيان موسى الى طور سينا لمناجاة ربه مقدرا (٣) الحاضر ساكن المدن والبادى المقيم بالبادية يريد ان الموسرين من اهل البدو لا يجودون على المعسرين من ساكنى الحضر والعكس (٤) كم خبرية في محل رفع مبتدا وبالمواسم يتعلق بها ومن شعثاء تمييزها مجرور بمن ويدعوك فى البيت بعده خبر عنها (٥) مسا حنونا ورزء امصيبة (٦) ممن متعلق بمحذوف حال من فاعل يدعوك في البيت قبله (٧) هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي كان رقيق الشعر صحيحه . أجمع العلماء على أن هو والفرزدق وجرير من مجيدى شعراء الاسلام . دخل يوما على عبد الملك فمدحه بقصيدته التى مطلعها (خف القطين فراحوا منك أو بكروا) فاعجب بها عبد الملك وقال له ويحك يا أخطل اتريد ان اكتب الى الآفاق أنك أشعر العرب . فقال اكتفى بقول امير المؤمنين فخلع عليه وامر بجفنه كانت بين يديه فملئت له دراهم ثم ارسل معه غلاما فخرج به وهو يقول هذا شاعر أمير المؤمنين هذا أشعر العرب . مات سنة ٧١٢

نورٌ أضاء لنا البلاد وقد دجت ... ظُلَمٌ تكاد بها الهداة تجور (١)
الفاخرون بكل فعل صالح ... وأخو المكارم بالفعال فخور (٢)
فعليك بالحجاج لا تعدل به ... أحداً اذا نزلت عليك أمور (٣)
ولقد علمتَ وأنت أعلمنا به ... ان ابن يوسف حازم منصور
وأخو الصناء فما تزال غنيمة ... منه يجىء بها اليك بشير (٤)
وترى الرواسمَ يختلفن وفوقها ... صنع العراق سبائكٌ وحرير
والخيل يُتعبها على عِلاّتها ... لله منتصب الفؤاد شكور (٥)
ولقد علمتَ بلاءه فى معشر ... يغلى خفىٌّ صدورهم ويفور (٦)
والقوم زأرُهمُ وأعلى صوتهم ... تحت السيوف غمائمٌ وهَرير (٧)
فأباد جمعَهمُ حميداً وانثنى ... وله لوقعة آخرين زئير (٨)

الباب الثانى فى الفخر والحماسة

(نخبة من معلقة طرفة بن العبد البكرى)

أنا الرجل الضربُ الذى تعرفونهُ ... خَشاشٌ كرأس الحيَّة المتوقِّد
وآليتُ لا ينفكُّ كشحى بِطانةً ... لعَضْبٍ رقيق الشفرتين مُهنَّد

(١) تجور تميل عن القصد (٢) الفاخرون صفة للهداة أو خبر لمبتدا محذوف تقديره هم (٣) فى هذا البيت وما بعده تجريد جرد من نفسه شخصا وخاطبه (٤) أخو معطوف على حازم فى البيت قبله أو خبر لمبتدا محذوف (٥) العلات الحالات المختلفة ولله متعلق بشكور ومنتصب الفؤاد خبر لمبتدا محذوف تقديره هو وشكور خبر ثان له (٦) يشير بذلك الى إيقاعه بالازارقة وهم فرقة من الخوارج أصحاب نافع بن الازرق خرجوا على عبدالملك ابن مروان (٧) الغمائم جمع غمغمة وهى صوت الابطال عند القتال وهرير صوت الكلب بغير نباح (٨) الاوفق اعراب حميدا حالا من فاعل انثنى مقدم عليه

حُسَام اذا ما قُمتُ منتصراً به ... كفى العودَ منه البدء ليس بمِعضَد
أخى ثِقةٍ لا ينثنى عن ضريبةٍ ... اذا قيل مهلا قال حاجزُهُ قَدِى
اذا ابتدر القوم السلاح وجدتنى ... منيعاً اذا بأت بقائمه يَدِى
وبَرك هُجُود قد أثارت مخافتى ... بوادِيها أمشى بعضب مُجَرَّد
فمرّت كهاة ذات خيف جُلالة ... عقيلة شيخ كالوبيل يَلَنْدَد
يقول وقد تَرَّ الوظيفُ وساقُها ... ألستَ ترى أن قد أتيتُ بمُؤيِد
وقال ألا ماذا ترون بشارب ... شديد علينا بَيْنُه مُتعمّد
فقال ذروه إنما نفعها له ... وإلا تكفّوا قاصىَ البَرك يَزدَد
فظلّ الإماء يَمتلِلْن حُوارَها ... وتسعى علينا بالسَّديف المُسَرهد
فان مُتُّ فانعينى بما أنا اهله ... وشُقّى علىَّ الجيب يا ابنةَ مَعبَد
ولا تجعلينى كامرئ ليس همُّهُ ... كهمّى ولا يُغنى غَنائى ومَشهَدِى
بَطِئ عن الجُلّى سريع الى الخنا ... ذلول بأجماع الرجال مُلهَّد
فلو كنت وغلاً فى الرجال لَضرَّنى ... عداوةُ ذى الأصحاب والمتوحّد
ولكن نفى عنّى الرجال جَراءتى ... عليهم واقدامى وصدقى ومحتِدِى
لَعَمرك ما أمرى علىَّ بغُمَّة ... نهارى ولا ليلى علىَّ بِسَرمد
ويوم حبست النفس عند عِراكها ... حفاظاً على عوراته والتهدُّد
على موطن يخشى الفتى عنده الردى ... متى تعترك فيه الفرائص تُرعد
وأصفر مضبوح نظرتُ حِوارَهُ ... على النار واستودعته كف مُجمِد
ستُبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار مَن لم تزوّد
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له ... بتاتاً ولم تضرب له وقت مَوعد

وقال السموءل (١) فى الفخر

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها ... فليس الى حسن الثناء سبيل

تعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها إن الكرام قليل

وما قل من كانت بقاياه مثلنا ... شباب تسامى للعلى وكهول

وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليل

لنا جبل يحتله من نجيره ... منيع يرد الطرف وهو كليل

رسا أصله تحت الثرى وسما به ... الى النجم فرع لا ينال طويل

هو الأبلق الفرد الذى شاع ذكره ... يعز على من رامه ويطول

وانا لقوم لا نرى القتل سبة ... اذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا سيد حتف أنفه ... ولا طل يوماً حيث كان قتيل

تسيل على حد الظبات نفوسنا ... وليست على غير الظبات تسيل

صفونا ولم نكدر وأخلص سرنا ... اناث أطابت حملنا وفحول

علونا الى خير الظهور وحطنا ... لوقت الى خير البطون نزول

فنحن كماء المزن ما فى نصابنا ... كهام ولا فينا يعد بخيل

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول

---

(١) هو بن غريض بن عادى الاوس من أهل برية الحجاز ومن فحول شعراء الطبقة الثانية فى الجاهلية كان من اشراف يهود يثرب وكان مشهورا بالوفاء وكرم الاخلاق توفى سنة ٥٦٠ ميلادية

اذا سيدٌ منا خلا قام سيد قؤولٌ لما قال الكرام فعول
وما أخمدت نار لنا دون طارق ولا ذمنا فى النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة فى عدوّنا لها غررٌ معلومة وحجول
وأسيافنا فى كل شرق ومغرب بها من قراع الدارعين فلول
معوّدة أن لا تسلّ نصالها فتغمدُ حتى يُستباحَ قتيل
سلى إن جهلت الناس عنّا وعنهمُ فليس سواء عالم وجهول
فإنّ بنى الدّيّان قُطبٌ لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجول

وقال عنترة العبسى (١)

لعمرك إنّ المجد والفخر والعلى ونيلَ الامانى وارتفاعَ المراتب
لِمَنْ يلتقى أبطالها وسراتها بقلب صبور عند وقع المضارب
ويبنى بحدّ السيف مجداً مشيّدًا على فلك العلياء فوق الكواكب
ومن لم يروّ رمحه من دم العدى اذا اشتبكت سمر القنا بالقواضب
ويُعطى القنا الخطىّ فى الحرب حقه ويَبرى بحد السيف عرض المناكب
يعيش كما عاش الذليل بغصّة وان مات لا يجرى دموع النوادب
فضائل عزم لا تباع لضارع وأسرار حزم لا تُذاع لعائب
برزتُ بها دهرا على كل حادث ولا كحلَ الامن غبار الكتائب
اذا كذب البرق اللّموع لشائم فبرق حُسامى صادقٌ غير كاذب

وقال أيضا فى الحماسة والفخر

(١) هو أبو المغلس عنترة بن شداد العبسى من أهل نجد من شعراء الطبقة الاولى توفى سنة ٧ قبل الهجرة

سكتُ فغرّ أعدائى السكوتُ وظنّونى لاهلى قد نسيتُ
وكيف أنام عن سادات قوم أنا فى فضل نعمتهم رُبيت
وإن دارت بهم خيل الأعادى ونادَونى أجبت متى دُعيت
بسيف حدّه موج المنايا ورُمح صدره الحتف المميت
خُلقتُ من الحديد أشدّ قلباً وقد بُلىَ الحديدُ وما بُليت
وإنى قد شربت دم الأعادى بأقحاف الرؤس وما رُويت
وفى الحرب العوان ولدت طفلا ومن لبن المعامع قد سُقيت
فما للرمح فى جسمى نصيب ولا للسيف فى أعضاىَ قوت
ولى بيت علا فلك الثريا تخرّ لعظم هيبته البيوت

﴿ وقال أيضا فى الحماسة والفخر بيوم المصانع ﴾

إذا كشف الزمان لك القناعا ومد اليك صرف الدهر باعا
فلا تخش المنيّة والتقيها ودافعْ ما استطعت لها دِفاعا
ولا تختر فراشاً من حرير ولا تبك المنازل والبقاعا
وحولك نسوة ينْدُبن حزناً ويهتكن البراقع واللّفاعا
يقول لك الطبيب دواك عندى اذا ماجسّ كفك والذّراعا
ولو عرف الطبيب دواء داء يردُّ الموت ماقاسى النّزاعا
وفى يوم المصانع قد تركنا لنا بفعالنا خبراً مشاعا
أقمنا بالذوابل سوق حرب وصيّرنا النفوس لها متاعا
حصانى كان دلاّل المنايا فخاض غبارها وشرى وباعا
وسيفى كان فى الهيجا طبيباً يُداوى رأس مَن يشكو الصُّداعا

أنا العبد الذى خُبِّرْت عنه وقد عاينتنى فدَعِ السماعا
ولو أرسلت رمحى مع جبان لكان بهيبتى يلقى السباعا
ملأت الارض خوفا من حسامى وخصمى لم يجد فيها اتساعا
اذا الابطال فرّت خوف بأسى ترى الأقطار باعا أو ذراعا

﴿ وقال أيضا فى الفخر والحماسة ﴾

أعادى صرف دهر لا يُعادَى وأحتمل القطيعة والبعادا
وأُظهر نصح قوم ضيعونى وإن خانت قلوبهمُ الودادا
أُعلِّلُ بالمنى قلباً عليلا وبالصبر الجميل وإن تمادا
تُعيِّرُنى العدا بسواد جلدى وبيض خصائلى يمحو السوادا
ورَدتُ الحرب والابطال حولى تهزّ أكُفُّها السُّمُر الصعادا
وخضتُ بمهجتى بحر المنايا ونارُ الحرب تتّقد اتقادا
وعُدت مخضّباً بدم الاعادى وكرب الركض قد خضب الجوادا
وسيفى مُرهَفُ الحدّين ماضٍ تَقُدُّ شفاره الصخر الجمادا
ورمحى ما طعنت به طعينا فعاد بعينه نظر الرشادا
ولولا صارمى وسنان رمحى لما رفعت بنو عبس عمادا

(وقال يتوعد النعمان بن المنذر ملك العرب ويفتخر بقومه)

لا يحملُ الحقد من تعلو به الرُّتب ولا ينال العلى مَن طبعه الغضبُ
لله دَرُّ بنى عبس لقد نسلوا من الأكارم ما قد تَنسُل العرب
قد كنت فيما مضى أرعى جمالهمُ واليوم أحمى حماهم كلّما نُكِبوا

لئن يعيبوا سوادى فهو لى نسبٌ يوم النزال إذا ما فاتنى النسب
إن كنت تعلم يانعمان أنّ يدى قصيرة عنك فالأيام تنقلب
انّ الأفاعى وان لانت ملامسها عند التقلّب فى أنيابها العطب
اليوم تعلم يا نُعمان أىُّ فتى يلقى أخاك الذى قد غرّهُ العُصُب
فتى يخوضُ غبار الحرب مبتسما ويثنى وسنان الرّمح مُختضب
ان سلّ صارمه سالت مضاربه وأشرق الجوُّ وانشقّت له الحُجُب
والخيل تشهد لى أنى اُكفكفها والطّعنُ مثل شرار النار يلتهب
اذا التقيتُ الأعادى يوم معركةٍ تركت جمعهمُ المغرور يُنتهب
لِىَ النفوس وللطير اللحوم وللـ ـوحش العظامُ وللخيّالة السّلب
لا أبعد الله عن عينى غطارفةً إنساً اذا نزلوا جناً اذا ركبُوا
اسود غاب ولكن لاثيوب لهم الاّ الأسنّة والهنديّة القُضُب
تعدو بهم أعوجيّاتٌ مضمّرةٌ مثل السّراحين فى أعناقها القَبَب
مازلت ألقى صدور الخيل مندفقاً بالطعن حتى يضجّ السّرج واللّبب
فالعُمى لو كان فى أجفانهم نظروا والخُرس لو كان فى أفواههم خطبوا
والنّقع يوم طراد الخيل يشهد لى والضرب والطعن والأقلام والكتب

﴿ وقال فى اغارته على بنى حريقة ﴾

حكّم سيوفك فى رقاب العُذّل واذا نزلت بدار ذلّ فارحل
واذا الجبان نهاك يوم كريهة خوفاً عليك من ازدحام الجحفل
فاعصِ مقالته ولا تحفل بها واقدم اذا حقّ اللقا فى الأول
واختر لنفسك منزلا تعلو به أومُت كريماً تحت ظلّ القسطل

إن كنت فى عدد العبيد فهمّتى ... فوق الثُّرَيَّا والسِّماك الأعزل
أو أنكرت فرسان عبس نسبتى ... فسنان رمحى والحسام يُقِرُّ لى
وبذابلى ومهنّدى نِلت العلى ... لا بالقرابة والعديد الأجزل
ورميت رُمحى فى العَجاج فخاضه ... والنار تُقدَح من شِنار الأنصُل
خاضَ العَجاجَ مُحجّلاً حتى اذا ... شهد الوقيعة عاد غير مُحجَّل
ولقد نكبْتُ بنى حريقة نكبة ... لما طعنت صميم قلب الأخيَل
وقتلت فارسهم ربيعة عُنوَةً ... والهَيْذبانَ وجابر بن مُهلهِل
لا تسقنى ماء الحياة بذِلّة ... بل فاسقنى بالعزّ كاس الحنظَل
ماء الحياة بذِلّة كجهنم ... وجهنمٌ بالعزّ أطيبُ منزل

﴿ وقال ابن ثناء الملك ﴾

سِوى يَهاب الموت أو يرهب الرَّدَى ... وغيرىَ يهوى أن يعيش مُخلَّدا
ولكننّى لا أرهب الدهر ان سَطا ... ولا أحذر الموت الزُّؤامَ اذا عدا
ولو مدَّ نحوى حادث الدهر كفَّه ... لحدَّثت نفسى أن أُمدَّ له يدا
تَوقّدُ عزمى يترك الماء جمرةً ... وحيلةُ حلمى تترك السيف مِبْرَدا
وفرط احتقارى للأنام لاننى ... أرَى كل عارٍ من حِلى سُؤْدُدِى سُدَى
ويأبى إبائى أن يرانى قاعداً ... وأنى أرى كلّ البريّة مقعَدا
وأظمأ إن أبدَى لىَ الماء مِنَّةً ... ولو كان لى نهر المجرَّة مَوردا
ولو كان إدراك الهدى بتذلُّلٍ ... رأيت الهدى أن لا أميل الى الهدى
وقِدماً بغيرى أصبح الدهر أشيباً ... وبى وبفضلى أصبح الدهر أمْرَدا
وإنك عبدى يا زمان وإننى ... على الرَّغم منى أن أرى لك سيّدا

وما أنا راض أننى واطئ الثرى ... ولى همة لا ترتضى الأفق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتى ... لخرت جميعاً نحو وجهى سجدا
أرى الخلق دونى اذ أرانى فوقهم ... ذكاء وعلماً واعتلاء وسؤددا
وبذل نوالى زاد حتى لقد غدا ... من الغيظ منه ساكن البحر مزبدا
ولى قلم فى أنملى إن هززته ... فما ضرنى أن لا أهز المهندا
اذا صال فوق الطرس وقع صريره ... فإنى صليل المشرفى له صدى

وقال أبو الطحان القينى

وانى من القوم الذين هم هم ... اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب ... بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كانوا مسود ... تسير المنايا حيث سارت كتائبه

وقال حسان بن ثابت الانصارى (١)

لعمر أبيك الخير يا شعث مانيا ... على لسانى فى الخطوب ولا يدى
لسانى وسيفى صارمان كلاهما ... ويبلغ مالا يبلغ السيف مذودى
وان أك ذا مال كثير أجد به ... وان يقتصر عودى على الجهد يحمد
فلا المال يُنسينى حيائى وعفتى ... ولا واقعات الدهر يفللن مبردى
وأكرم أهلى من عيال سواهم ... وأطوى على الماء القراح المبرد

(١) هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر من أهل يثرب من فحول شعراء الطبقة الثانية وكان شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وقد عاش ٦٠ سنة فى الجاهلية و٦٠ فى الاسلام وتوفى بالمدينة سنة ٥٤ هجرية

وانى لمُعطٍ ما وَجَدتُ وقائلٌ لموقد نارى ليلة الريح أوقد
وانى لقوّالٌ لدى البَثِّ مرحباً وأهلا اذا ماجاء من غيرِ مُرصَد
وانّى لَيدعونى النّدا فأُجيبه وأضرِبُ بيض العارضِ المتوقّد
وانّى لَحلوٌ تعترينى مرارةٌ وانّى لمرّاكٌ لما لم أُعوّد
وانّى لَمزّجٍ للمطىّ على الوَجى وانّى لمرّاك الفراشِ المُمهّد
فلا تعجلان ياقيسُ واربع فانما قصاراك أن تلقى بكلّ مُهنّد
حسام وأرماح بأيدى أعزّةٍ متى ترهم يا ابن الخطيم تبلّد
لُيوثٌ لها الأشبالُ تحمى عرينها مداعيس بالخطّىّ فى كل مشهد
فقد لاقتِ الأوسُ القتالَ وأُطردت وأنت لدى الكبّات فى كل مطرد
نفتكم عن العلياء أمٌّ لئيمةٌ وزَندٌ متى تقدَح به النارُ يَصلَد

﴿ وقال همام الفرزدق بن غالب التميمى (١) ﴾

لنا العزّةُ القعساء والعدد الذى عليه اذا عُدَّ الحصى يتخلّفُ
لنا حيث آفاقُ البريّةِ تلتقى عديدُ الحصى والقسورُ المتخندف
ومنّا الذى لا تنطقُ الناس عنده ولكن هو المستأذنُ المتصرّف
تراهم قعودا حوله وعيونهم مُكسّرةٌ أبصارها ماتطرّف
وبُنيانُ بيتِ اللهِ نحن ولانُهُ وبيتٌ بأعلى الرّامتين مُشرّف
ترى الناس ما سِرْنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا الى الناس وقّفوا
ولا عِزَّ إلّا عِزُّنا قاهرٌ له ويسألنا النّصفَ الذّليلُ فننصِفُ

(١) هو شاعر درامى تخافه الشعراء ولد سنة ٣٨ هجرية وتوفى بالبصرة سنة ١١٠ هجرية

وما قام منّا قائم فى نديّنا ... فينطق إلا بالتى هى أعرف
وانّى لمن قوم بهم يُتّقى الرّدَى ... ورأب الثّأى والجانبُ المتخوّف
وأضيافِ ليلٍ قد نقلنا قِراهُمُ ... الينا فأتلفنا المنايا وأتلفوا
وكنّا اذا ما استكره الضيف بالقِرَى ... أتته العوالى وهى بالسّمّ رُعّفُ
وكل قرَى الأضيافِ نقرى من القنَا ... ومُعْتبطاً منه السّنامُ المسدّف
وجدنا أعزّ الناس أكثرهم حصى ... وأكرمهم من بالمكارم يُعرف
وكلتاهما فينا لنا حين نلتقى ... عصائبَ لاقى بينهنّ المُعرّف
منازيلُ عن ظهرِ القليلِ كثيرُنا ... اذا مادعا ذو الثّورةِ المتردّف
فلقنا الحصى عنه الذى فوق ظهرِه ... بأحلام جُهّال اذا ما تعطّفوا
وجهل بحلم قد دفعنا جنونه ... وما كاد لولا عزّنا يتزحلف
زجَجْنا بهم حتى استبانوا حلومَهم ... بنا بعد ماكاد القنَا يتقصّفُ

﴿ وقال أبو عبد الله بن الفخار المالقى ﴾

بأىّ حُسامٍ أم بأىّ سِنانِ ... أُنازلُ ذاك القِرنَ حين دعانى
لئن عُرّىَ اليوم الجوادُ لعلّة ... فبالأمس شدّوا سرجَهُ لطعانِ
وإن عُطّلَ السهم الذى كنت رائشاً ... ففيه دمُ الأعداء أحمرُ قانِ
ألا إنّ درعى نثرةٌ تُبّعيّةٌ ... وسيفى صدق إن هززتُ يمانى
وما قصبات السبقِ إلاّ لأدهمى ... اذا الخيل جالت فى مجال رِهانِ
تمنى لقائى من حلمتُ وثاقَهُ ... وأعطى غداةَ المنّ ذلّة عانِ
وقد علِم الأقوامُ من صحّ ودُّهُ ... ومن كان منّا دائمَ الشنآنِ
وما يزدهينى قول كلّ ممَوّهٍ ... وليس له بالمعضلاتِ يدانِ

ويزعمُ أنى فى البيانِ مُقصّرُ ويأبى بنانى واقتدارَ لسانى
وإنى لنهّاضٌ بكل عظيمة يضيقُ عليها ذرعُ كلّ جَنان

﴿ وقال الطغرائى [1] يفتخر ﴾

أبى اللهُ أن أسمو بغير فضائلى اذا ما سما بالمالِ كلّ مسوّدِ
وان كرُمتْ قبلى أوائل أسرتى فانى بحمد اللهِ مبدأُ سؤدُدى
يذمُّ لاجلى المهرُ إن يكُبُ مرّةً بجدّى وان ينهض بجدّىَ يُحمَد
وما منصبٌ الاّ وقدرىَ فوقه ولو حطّ رحلى بين نسْرٍ وفرقد
اذا شرُفتْ نفس الفتى زادقدره على كلّ أسنى منه ذِكراً وأمجَد
كذاك حديد السيف إن يصف جوهرا فقيمته أضعافه وزن عسجَد
تكاد ترى من لا يُقاسُ نجادُه بِشِسْعِى اذا ما ضمّنا صدر مشهد
وما المال الا عارة مستردّةٌ فهلاّ بفضلى كاثرونى ومجدِى
اذا لم يكن لى فى الولاية بسطةٌ يطول بها باعى وتسطوبها يدى
ولاكان لى حكمٌ مطاعٌ أجيزُهُ فأرغمَ أعدائى وأكبتَ حسّدِى
فأعذر إن قصرت فى حق مُجتدٍ وآمَنُ أن يعتادنى كيدُ معتد
أأكفى ولاأكفى وتلك غضاضةٌ أرى دونها وقع الحسام المهنّد
ولولا تكاليف العلى ومغارمٌ ثقال وأعقاب الأحاديث فى غَد
لأعطيتُ نفسى فى التخلّى مرادها فذاك مرادى مذنشأتُ ومقصَدى

(١) هو مؤيد الدين الحسن بن على الاصفهانى الطغرائى نسبة الى الطغراء كلمة أعجمية معناها الطرة التى يكتب فيها لقب الملك اتخذه السلطان مسعود بن محمد السلجوقى بالموصل وزيراً لديوان الطغراء وقتل أسراً سنة ٥١٥

مِن الحزم أن لا يضجر المرء بالذى ... يعانيه من مكروهةٍ فكأن قد
اذا جلدى فى الأمر خان ولم يُعن ... مريرة عزمى ناب عنه تجلُّدِى
ومن يستعن بالصبر نال مراده ... ولو بعد حين إنّهُ غيرُ مُسعَدِ

﴿ وقال أبو تمام يفتخر بقومه ﴾

أنا ابن الذين استرضع الجود فيهم ... وقد ساد فيهم وهو كهلٌ ويافعُ
نجومٌ طواليع جبالٌ فوارع ... غيوثٌ هواميعٌ سيولٌ دوافعُ
مضوا وكأنَّ المكرُمات لديهم ... لكثرة ما أُوصوا بهنّ شرائع
فأىُّ يدٍ فى المَحل مدّت فلم يكن ... لها راحة من جودهم وأصابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا ... فضاع وما ضاعت لدينا الودائع
بَهاليلُ لو عاينت فيض أكفِّهم ... لأيقنت أنّ الرِّزق فى الارض واسع
اذا خفقت بالبذل أرواح جودهم ... حداها النّدى واستنشقتها المطامع
رياح كريح العنبر الغض فى النّدى ... ولكنّها يوم اللقاء زعازع
هى السَّمُّ ماتنفكُّ فى كل بلدةٍ ... تسيل به أرماحهم وهو ناقع
أصارت لهم أرض العدُوِ قطائعاً ... نفوس لحدّ المرهفات قطائع
بكل فتى ماشاب من روع وقعةٍ ... ولكنه قد شِبن منه الوقائع
إذا ما أغاروا فاحتَوَوْا مال معشرٍ ... أغارت عليهم فاحتَوَتْه الصَّنائع
فتعطى الذى تعطيهم الخيل والقنا ... أكُفٌّ لإرث المكرمات موانع

﴿ وقال أبو فراس الحمدانى [1] يفتخر ﴾

(١) هو أبو فراس الحارث بن أبى العلاء سعيد بن حمدان بن عم سيف الدولة الحمدانى توفى سنة ٣٥٧ هجرية

ووالله ماقصّرتُ فى طلبِ العلى ... ولكن كأنّ الدهرَ أعمى غافل
مواعيدُ آمالٍ متى ماأنتجعتُها ... حلبتُ بكيّاتٍ وهنّ حوافل
تدافعُنى الأيام عمّا أريدُهُ ... كما دفع الدينَ الغريمُ المماطل
فمثلى مَن نال الأعادى بسيفه ... وياربّما غالتْهُ عنها الغوائل
وما لىَ لا تُمسى وتصبحُ فى يدى ... كرائمَ أموالى الرجال العقائل
أحكّمُ فى الأعداء عنها صوارما ... أُحكّمُها فيها إذا ضاق نازل
وما زال محميُّ الحمائلِ عنوةً ... سوى ماأقامت فى الجفون الحمائل
ينالُ اختيار الصفح عن كل مذنب ... له عندنا مالاتنالُ الوسائل
لنا عقبُ الأمر الذى فى صدوره ... تطاولُ أعناقُ العدَى والكواهل
أصاغرُنا فى المكرُماتِ أكابرٌ ... وآخرُنا فى المأثُراتِ أوائل
اذا صلْتُ صَولاً لم أجد لى مُصاولاً ... وإن قلت قولا لم أجد من يُقاول

﴿ وقال أيضا ﴾

غيرى يُغيّرُهُ الفعالُ الجافى ... ويحول عن شيم الكريم الوافى
لا أرتضى ودًّا اذا هو لم يدم ... عند الوفاءِ وقلّةِ الانصاف
تعِسَ الحريص وقلّ مايأتى به ... عوضاً من الإلحاح والإلحاف
إنّ الغنىَّ هو الغنىُّ بنفسه ... ولو انّه عارى المناكب جافِ
ماكل مافوق البسيطة كافياً ... فاذا اقتنعت فكل شئ كافِ
ويَعافُ لى طبعُ الحريص أُبُوّتى ... ومُرُوءتى وقناعتى وعفافى
ما كثرة الخيل الجياد برائد ... شرفاً ولا عدوَ السّوام الصافى
ومكارمى عدد النجوم ومنزلى ... بيت الكرام ومنزل الأضياف

لا أقتنى لصروف دهرى عُدَّةً حتى كأنّ صروفه أحلافى
خيلى وإن قلّت كثيرٌ نفعها بين الصوارم والقنا الرّعّاف
شيمٌ عُرفتُ بهنّ مذ أنا يافع ولقد عرفت بمثلها أسلافى

﴿ وقال أيضا ﴾

إنّا اذا اشتدّ الزما ن ونابَ خطب وادلهم
ألفيتَ حول بيوتنا عَدَد الشجاعة والكرم
لِلقا العِدى بيضُ السيو ف وللندى حُمُرُ النّعم (١)

﴿ وقال أبو الطيب المتنبى ﴾

أُطاعِن خيلا من فوارسها الدّهر وحيداً وما قولى كذا ومعى الصّبر
وأشجع منى كل يوم سلامتى وما ثبتت الاّ وفى نفسها أمر
تمرُّ بالآفات حتى تركتها تقول أماتَ الموتُ أم ذُعِرَ الذعرُ
وأقدَمتُ اقدامَ الأتىّ كأن لى سوى مهجتى أو كان لى عندها وِتْرُ
ذَرِ النّفس تأخذ وُسعَها قبل بينها فمفترقٌ جارانِ دارها العُمرُ
ولا تحسبَنّ المجد زِقّاً وقَينةً فما المجدالا السيف والفتكةُ البكر
وتضريبُ أعناق الملوكِ وأن تُرَى لك الهِبَواتُ السودُ والعسكرُ المجر
وتركُك فى الدنيا دَوِيّاً كأنما تداوَل سمع المرء أنمُلُه العشر
علىّ لأهل الجور كل طِمِرّةٍ عليها غلام مِلء حَيزومه غِمر
يُديرُ بأطراف الرّماح عليهمِ كؤوس المنايا حيث لاتُشتَهى الخمر

(١) حمر النعم الجمال الحمر وهى عندهم شرف الاموال

﴿ وقال أيضا ﴾

اذا شدَّ زَنْدِى حُسْنَ رأيك فيهمِ ضربت بسيف يقطع الهامَ مُعْمَدا
وما أنا الاَّ سَمهَرِىٌّ حملتهُ فزيّن معروضاً وراع مُسدّدا
وما الدَّهر الاّ من رُواةِ قصائدى اذا قلت شعراً أصبح الدهر مُنشدا
فسار به من لا يسيرُ مُشمّراً وغنى به من لا يُغنى مُغرّدا
أجزنى اذا أنشدت شعراً فانما بشعرى أتاك المادحون مُردّدا
ودع كل صوت غير صوتى فانني أنا الطَّائرُ المحكىُّ والآخرُ الصدى

﴿ وقال أيضا ﴾

سيعلم الجمع ممّن ضمّ مجلسنا بأننى خير من تسعى به قدمُ
أنا الذى نظر الأعمى الى أدبى وأسمعت كلماتى مَن به صمم
الخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرُّمح والقرطاس والقلم

﴿ وقال الاعشى ميمون بن قيس بن جندل (١) ﴾

وبلدةٍ مثلِ ظهرِ التُّرس موحشةٍ للجنّ بالليلِ فى حافاتها زجلُ (٢)
لا يتمنّى لها بالقيظِ يَركبُها الاّ الذين لهم فيما أتوا مَهَل (٣)
قطعتُها بطليحٍ حُرَّةٍ سُرُحٍ فى مِرفقيها اذا استعرضتها فتل (٤)

(١) هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل الاسدي الشاعر العربي من أهل الحجاز من شعراء الطبقة الثانية له ديوان شعر جيد مات سنة ٧ هجرية (٢) الزجل محركة لجلبة والتطريب ورفع الصوت (٣) تمي البازى ارتفع من موضعه الى موضع آخر والقيظ صميم الصيف (٤) فرس طليح متعبة من السير وسرح بضمتين سريع والمرفق كمنبر ومجلس موصل الذراع فى العضد والفتل بالتحريك اندماج فى المرفق

بل هل ترى عارضاً قد بتُّ أرمقه ... كأنما البرق فى حافاته الشُّعل (١)
له ردافٌ وجوزٌ مُفأمٌ عَمِلٌ ... مُكلَّلٌ بسجال الماء مُتَّصل (٢)
لم يُلهنى اللَّهو عنه حين أرقبه ... ولا اللَّذاذة من كأسٍ ولا شُغل
فقلت للشَّرب فى دُرْنا وقد ثملوا ... شيموا فكيف يشيم الشارب الثَّمِل (٣)
قالوا نِمارٌ فبطن الخال جادهما ... فالعسجديّة فالابلاء فالرَّجل (٤)
فالسَّفح يجرى وخنزيرٌ وبُرقته ... حتى تدافع منه الرَّبو والجبل (٥)
حتى تحمَّل منه الماء تكلفةً ... روض القطا فكثيب الغينة السَّهل (٦)
يسقى ديارا لنا قد أصبحت عَرَضاً ... زَوراً تجانف عنها القَوْدُ والرَّسَل (٧)
أبلغ يزيدَ بنى شيبان مألُكة ... أبا ثُبَيتٍ أما تنفكّ تأتكل (٨)
ألستَ مُنتهياً عن نحت أثلتنا ... ولستَ ضائرها ما أطّت الابل (٩)
تغرى بنا رَهْط مسعود وإخوته ... يوم اللقاء فتُردِى ثم تعتزل (١٠)

(١) عارضاً السحاب المعترض فى الأفق وأرمقه ألحظ لحظاً خفيفاً (٢) ردافه أي توابع وجوز وسط ومفأم كمكرم مملوء من الماء وعمل البرق فهو عمل دام ومسجال جمع سجل الدلو العظيمة مملوءة (٣) الشرب بالفتح القوم يشربون ودرنا اسم قرية باليمن يقال ان بها قبر الأعشى وثملوا سكروا وشام البرق نظر اليه أين يقصد وأين يمطر (٤) نمار وبطن الخال والعسجديه والابلاء والرجل والسفح وخنزير وبرقة والقطا والغينة فى الابيات الاتية أسماء امكنة وجادها أتاها بالجود وهو المطر الغزير (٥) الربو ما ارتفع من الأرض (٦) الكثيب التل من الرمل والسهل ككتف الليل (٧) عرضا أى فجأة وعلى بغتة والزوراء البعيدة من الأراضي ونجانف عنها أى مل عنها ويمد والقود مطاق الخيل أو التى تقاد بمقاودها ولا تركب والرسل بفتح الراء والسين الابل أو القطيع منها (٨) يزيد اسم علم وبنى شيبان اسم قبيلة والمألكة بضم اللام وقد تفتح الرسالة وتثكل توهج من الغضب (٩) الاثلة الاصل ونحت أثلته ونحت فى أثلته طعن فى حسبه وصاره يضوره ويضيره ضورا وضيرا فهو ضائر ضره وأطت الابل أنت تعباً أو حنيناً (١٠) تغرى بنا تسلط علينا وتولع

كناطح صخرة يوماً ليفلقها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل (١)

لا أعرفنك إن جدت عداوتنا ... والتمس النصر منكم عوض تحتمل

تلحم أبناء ذى الجدين ان غضبوا ... أرماحنا ثم تلقاهم وتعتزل (٢)

لا تقعدن وقد أكلنها حطباً ... تعوذ من شرها يوماً وتبتهل (٣)

سائل بنى أسد عنا فقد علموا ... أن سوف يأتيك من أبنائنا شكل

واسأل قشيرا وعبد الله كلهم ... واسأل ربيعة عنا كيف نقتتل (٤)

انا نقاتلهم حتى نقتلهم ... عند اللقاء وان جاروا وان جهلوا (٥)

قد كان فى آل كهف ان هم احتربوا ... والجاشرية من يسعى وينتضل (٦)

انى لعمر الذى خطت مناسمها ... تخدى وسيق اليه الباقر الغيل (٧)

لئن قتلتم عميداً لم يكن صدداً ... لنقتلن مثله منكم فنمتثل (٨)

وان منيت بنا فى ظل معركة ... لا تلفنا من دماء القوم ننتقل (٩)

لا تنتهون ولن ينهى ذوى شطط ... كالطعن يهلك فيه الزيت والفتل (١٠)

حتى يظل عميد القوم مرتفقاً ... يدفع بالراح عنه نسوة عجل (١١)

بنا والرهط القوم وأرداه أهلكه (١) أوهى أضعف والوعل بفتح الواو وسكون العين وكسرها تيس الجبل (٢) تلحم أبناء ذي الجدين أرماحنا أى تمكن رماحنا منهم تعمل فيهم (٣) أكلتها حطباً أى أكلت الحرب حطباً تعنى أسعرتها (٤) أى كيف نصنع فى الحرب (٥) فى نسخة وان عدلوا (٦) احتربوا أرادوا الحرب والجاشرية أي وقبيلة الجاشرية وينتضل أي يسمي لهم ويدافع عنهم (٧) مناسمها جمع منسم وهو خف البعير ومفعول خطت محذوف أي التراب وتخدى أى تسير سيراً سريعاً وعائد الذي محذوف دل عليه ما مده أي اليه والباقر اسم جمع للبقر وبقر غيل بضمتين كثيرة أو سمان (٨) عميداً أى رئيساً من رؤسائنا لم يكن متعرضاً لحربكم فنمتثل أي نطلب الأمثل (٩) منيت بليت (١٠) شطط جور ويهلك أى يذهب فيه الزيت والفتائل لسعته (١١) المرتفق الواقف الثابت الدائم والراح جمع راحة وهى باطن الكف

أصابه هندوانىّ فأقصده ... أوذابل من رماح الخط معتدل[1]
كلا زعمتم بأنا لا نقاتلكم ... انا لأمثالكم يا قومنا قتل
نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية ... جنبى فطيمة لا ميل ولا عزل[2]
قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا ... أو تنزلون فانا معشر نزل[3]
قد نخضب العير من مكنون فائله ... وقد يشيط على أرماحنا البطل[4]

وقال عبيد بن الأبرص الأسدى

ولا أبتغى ودّ امرئ قلّ خيره ... وما أنا عن وصل الصديق بأصيد
وإنى لأطفى الحرب بعد شبوبها ... وقد أوقدت للنىّ فى كلّ موقد
وانّى لذو رأى يعاش بفضله ... وما أنا من علم الأمور بمبتدى
اذا أنت حمّلت الخؤون أمانة ... فإنّك قد أسندتها شرّ مسند
وجدت خؤون القوم كالغرّ يتّقى ... وما خلت عمّ الجار الاّ بمعهد
ولا تظهرنّ ودّ امرئ قبل خبره ... وبعد بلاء المرء فاذمم أو احمد
ولا تتبعنّ الرأى منه تقصّه ... ولكن برأى المرء ذى اللبّ فاقتد
ولا ترهدن فى وصل أهل قرابة ... لذخر وفى وصل الأباعد فازهد
وإن أنت فى مجد أصبت غنيمة ... فعد للذى صادفت من ذاك وازدد

---

(١) أقصد فلا ناطعنه فلم يخطئه وقنى ذابل رقيق لاصق بالليط جمعه ككتب وركع
(٢) يوم الحنو يوم من أيام العرب انتصرت فيه بكر على تغلب وضاحية معرضة لحر الشمس وفطيمة اسم امرأة ولا ميل جمع أميل وهو الذى يميل على السرج فى جانب والجبان والعزل جمع اعزل وهو الذي لاسلاح معه وحرك هنا لضرورة الشعر (٣) الطراد كالمطاردة حمل الاقرن بعضهم على بعض (٤) العير السيد والملك وفائل لحم الورك أو عرق فيه ويشيط أي يذهب دمه هدرا

تزوّد من الدنيا متاعا فانّه ... على كلّ حال خيرُ زادٍ المزوّد
تمنّى مُرَىٌّ القيسِ موتى وان أمت ... فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحد
لعلّ الذى يرجو ردائ وميتتى ... سقاهاً وجُبناً أن يكون هو الرّدى
فما عيش من يرجو خلافى بضائرى ... ولا موت من قدمات قبلى بمُخلدى
وللمرء أيّامٌ تُعدُّ وقد دعت ... حِبالُ المنايا للفتى كلّ مرصد
فمن لم يمُت فى اليوم لا بدّ أنه ... سيعلقه حبل المنيّة فى غدِ
فقُل للذى يبغى خلافَ الذى مضى ... تهيّأ لأخرى مثلها فكأن قد

﴿ وقال صفى الدين الحلى [1] ﴾

سل الرّماحَ العوالى عن معالينا ... واستشهد البيضَ هل خابَ الرّجافينا
وسائلْ العُربَ والأتراكَ مافعلتْ ... فى أرضِ قبرٍ عُبيد اللهِ أيدينا
لمّا سعينا فما رقّت عزائمُنا ... عمّا نروم ولا خابت مساعينا
يايوم وقعةِ زوراءِ العراقِ وقد ... دِنّا الأعادى كما كانوا يَدينُونا
بضُمَّرٍ مارِبَطْناها مُسوَّمةً ... الا لنغزُوَ بها مَن باتَ يَغزُونا
وفتيةٍ ان نقُلْ أصغَوا مَسامعهم ... لقولنا أو دَعَوْناهم أجابونا
قوم اذا استُخصِمُوا كانوا فَراعنةً ... يوماً وان حُكّموا كانوا موازينا
تدرّعوا العقل جِلباباً فان حَميَت ... نارُ الوَغى خِلْتَهُم فيها مَجانينا
اذا ادّعَوا جاءت الدّنيا مُصدّقةً ... وان دَعَوا قالت الايامُ آمينا
انّ الزرازيرَ لما قامَ قائمُها ... توَهّمتْ أنها صارَت شواهينا
ظنّت تأنّى البُزاةِ الشُّهبِ عن جزَعٍ ... وما دَرَت أنه قد كان تهوينا

(١) هو عبد العزيز بن سرايا بن على الشهير بصفى الدين الحلى توفى سنة ٧٤٠ هجرية

ذلوا بأسيافنا طول الزمان فقد ... تحكموا أظهروا أحقادهم فينا
لم يغنهم ما لنا عن نهب أنفسنا ... كأنهم فى أمان من تقاضينا
أخلوا مساجد من أشياخنا وبغوا ... حتى حملنا فأخلينا الدواوينا
ثم انثنينا وقد ظلت صوارمنا ... تميس عجبا وتهتز القنا لينا
وللدماء على أثوابنا عبق ... بنشره عن عبير المسك يغنينا
انا لقوم أبت أخلاقنا شرفا ... أن نبتدى بالأذى من ليس يؤذينا
بيض صنائعنا سود وقائعنا ... خضر مرابعنا حمر مواضينا
لا يظهر العجز منادون نيل منى ... ولو رأينا المنايا فى أمانينا

﴿ وقال أبو العلاء المعرى ﴾

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل ... عفاف وإقدام وحزم ونائل (١)
أعندى وقد مارست كل خفية ... يصدق واش أو يخيب سائل (٢)
تعد ذنوبى عند قوم كثيرة ... ولا ذنب لى إلا العلى والفضائل (٣)
كأنى إذا طلت الزمان وأهله ... رجعت وعندى للأنام طوائل (٤)
وقد سار ذكرى فى البلاد فمن لهم ... بإخفاء شمس ضوءها متكامل (٥)

---

(١) أى قد جمعت العفة والشجاعة والحزم والجود . وسلوك هذا الطريق هو المجد أى أفعالى كلها واقعة فى سبيل المجد ثم فصل أفعاله وعددها وكانت كلها من خلال المجد (٢) أى بعد ان جربت الامور التى تخفى وعرفتها أصدق الساعى بينى وبين اخوانى بالافساد واخيب من يرجو معروفى ويطلب نائلى أى لا أفعل ذلك استفهام بمعنى الانكار (٣) أى ذنوبى كثيرة عند من لا يناسبه حالى وذلك لقصوره ونقصه ولا ذنب لى الا فضائلى وعلو شانى (٤) الطوائل جمع طائلة وهى الترة يقول متى فقت أهل العصر بالفضائل أبغضونى وعادونى وصرت كأنى وترت الناس وان عندى لهم ترات وذحولا يطالبونى بها (٥) أى يجتهد

يُهِمُّ اللياليَ بعضَ ما أنا مُضمِرٌ ... ويُثقِلُ رَضوَى دُونَ ما أنا حامِلُ (١)

وإنّى وإنْ كُنتُ الأخيرَ زَمانُهُ ... لآتٍ بما لم تَستَطِعهُ الأوائلُ (٢)

وأغدُو ولَو أنَّ الصباحَ صوارمٌ ... وأسْرِى ولو أنَّ الظلامَ حَجافِلُ (٣)

وإنّى جَوادٌ لم يُحَلَّ لجامُهُ ... ونَصْلٌ يَمانٍ أغفلَتهُ الصَّياقِلُ (٤)

فإنْ كانَ فى لبسِ الفتى شرفٌ له ... فما السيفُ إلاَّ غِمْدُهُ والحمائلُ (٥)

ولى منطِقٌ لم يرضَ لى كُنهَ مَنزِلى ... على أنّنى بينَ السِّماكَينِ نازلُ (٦)

حسادى فى ستر حالى واخفاء أمرى وكيف يمكنهم ذلك وقد سار صيتى فى البلاد مسير الشمس ومن يضمن للحسادا خفاء شمس قد تكامل ضوؤها وشعاعها أي ولا يضمن ذلك أحد لانه غير ممكن فكذلك اخفاء ذكرى غير ممكن (١) الليالي في موضع نصب لانه مفعول يهم وسكن لضرورة الشعر أي يهم بعض ما أضمره من الهموم الليالى يعنى أن الايام لا تطيق ما أطيقه وكذلك لا يستطيع جبل رضوى حمل ما أحمله من مثقلات الخطوب (٢) أي انى وان كنت الذي آخر زمانه أفعل من الامور العجيبة ما عجزت الاولون زماناعن أمثاله أى سبقت الاوائل فى المساعي وان تأخر زمانى (٣) أي لا يصرفنى عن همى أمر من الامور بل أغدو أول النهار لحاجاتي ولو كان الصباح سيوفا لم يثنى عن قصدي والصبح يشبه بالسيف لبياضه وهيئته وأسرى فى الليل الظلم لما يهمنى ولا تمنعنى ظلمة الليل عن همي ولو كان الظلام حجافل وهى جمع حجفل وهو الجيش العظيم والظلام يشبه بالجيش والجيش بالظلام أيضاً (٤) يصف اعتزاله الامور وايثاره ملازمة الحمول والتنزه عن الاعمال مع استعداده للانتهاض الى معالى الامور مشبها حاله بحال جواد عطل عن تحلية لجامه وبسيف يمنى قد صدئ لطول عهده بالصقل أي كما ان تعطل الجواد عن تحلية لجامه وطول عهد السيف بالصقل لا يزرى بعتق الجواد وجوهر السيف فكذلك ايثاره العزلة والتنزه عن الاعمال لا يزرى بمنصبه ومكانه (٥) أي ليس الشرف فى ملابسة الاعمال وليس الفاخر من اللباس ولو كان كذلك لكان قيمة السيف بحسب نفاسة غمده وحمائله ليس كذلك انما قيمة السيف بجوهره وكذلك شرف ذات الفتى بالتحلى بأوصاف الشرف ومعالى المجد (٦) أي منطق لا يرضى لى بغاية منزلتى هذه مع ارتفاعها وعلوها فانها قد بلغت السماكين بل يقتضي أعلى واشرف منها

لدى موطن يشتاقه كل سيد ... ويقصر عن إدراكه المتناول (١)

ولما رأيت الجهل فى الناس فاشياً ... تجاهلت حتى ظن أنى جاهل (٢)

فواعجبا كم يدعى الفضل ناقص ... ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل (٣)

وكيف تنام الطير فى وكناتها ... وقد نصبت للفرقدين الحبائل (٤)

ينافس يومى فىّ أمسى تشرفاً ... وتحسد أسحارى على الأصائل (٥)

وطال اعترافى بالزمان وصرفه ... فلست أبالى من تغول الغوائل (٦)

فلو بان عنقى ما تأسفت منكبى ... ولو مات زندى ما بكته الأنامل (٧)

---

(١) أى منزلى عند محل يتمنى كل سيد ان يبلغه ويرقى الى حده ويتقاصر من يريد تناوله عن الوصول اليه (٢) اي لما كثر الجهل فى الناس وعز العلم والفضل وجهل قدره تكلفت الجهل وسترت فضلى تشبها بأهل زمانى حتى ظن بى أنى جاهل مثلهم (٣) يتعجب من ادعاء الناقص التحلي بالفضل زورا ويتأسف من اظهاره النقص مع فضله تشبها بالجاهلين فى زمانه (٤) الوكنات جمع وكنة وهو الموضع الذى ينام فيه الطير والحبائل جمع حبالة وهى الشبكة التى ينصبها الصائد للصيد ضرب لنفسه مثلا بالفرقدين علوا ولغيره بالطير في اوكارها أي متى كادنى الحساد بمكيدة الحسد مع فضلي وارتفاع مكانى وحالهم فى كيدي انهم ينصبون الشباك لصيد الفرقدين كيف يسلم من دونى من مكايدهم (٥) ينافس يعاءل من قولهم نفست بالشئ أنفس اذا ضننت به اي ان الوقت الذي اكون فيه تشرف بى فسائر الاوقات يحسد الوقت الذي اكون فيه فصار امسى المنقضى يحسد يومي لكونى فيه وكذلك تحسد الاصائل مع اعتدالها واضاءتها الاسحار التى أكون فيها مع بردها وظلمتها والاصائل جمع جمع الجمع فلواحد أصيل ثم أصل ثم آصال ثم اصائل (٦) أي طال ما عرفت الزمان وأحواله ونال منى حوادثه وصرفه وتمرنت نفسى على نوائبه فصرت لا أجزع على المصائب ولا أبالى بمن تنزل نوازل الدهر وغاله يقوله أى أهلكه والغوائل جمع غائلة (٧) يهون على نفسه خطوب الزمان بعد معرفته بصروفه حتى لو أصيب عضده وبان لم يتأسف أى لم يجزع منكبه عليه ولو مات زنده لم تبكي أنامله عليه مع ان الكف لا تبطش الا بواسطة قوة الزند وماداته

اذا وصف الطائىَّ بالبخل مادر ... وعيَّر قسًّا بالفهاهة باقلُ (١)

وقال السُّهَى للشمس أنت ضئيلةٌ ... وقال الدُّجى للصُّبح لونُك حائل (٢)

وطاولت الارضُ السماءَ سفاهةً ... وفاخرت الشِّهبَ الحصى والجنادل (٣)

فيامَوتُ زُر إنَّ الحياة ذميمة ... ويانفس جدّى انَّ سبقك هازل (٤)

﴿ وقال السيد عبد الله نديم من قصيدة له فى الفخر ﴾

أنحسبنا إذا قلنا بلينا ... بلينا أو يروم القلب لينا

نعم للمجد نقتحم الدَّواهى ... فيحسب خامل أنّا دُهينا

تناوشنا فنقهرها خطوب ... ترى ليث العرين لها قرينا

سواءٌ حربها والسِّلم إنا ... أُناسٌ قبل هُدنتها هُدينا

سررنا بالصلى والبشر بادٍ ... وكمْ السر يستدعى الأنينا

ومرضعنا تغذينا بصبر ... مرير حين مازجنا حلينا

فُطمنا بالظماء على ثبات ... فصُمْنا عن شراب الجاز عينا

(١) يعنى بالطائى حاتما الطائى وقد سار به المثل فى الجود ومادر رجل من بنى هلال ابن عامر بن صعصعة يضرب به المثل في البخل وانما قيل له مادر لانه سقى ابله من بعض حياض العرب فلما شربت ابله وصدرت عن الماء سلح فى الحوض ومدر الحوض به أي الطخه لئلا يشرب غيره فسمى مادرا وقيل أبخل من مادر (٢) السهى كوكب خفى تمتحن به الابصار أي وحين ينعكس الامر بان يصف السهى الشمس بالخفاء مع بهائها ويصف الدجا الصبح بانه حائل اللون أي متغير (٣) أي اذا كانت الارض تباهى السماء من جهلها وتفاخر الحصى والحجارة الكواكب فى العلو (٤) أي اذا كانت الامور معكوسة كما وصف لم تبق رغبة فى الحياة وصارت مذمومة وكان الموت بحيث يتمنى المامه ليقطع الحياة الذميمة التى لا يحمدها صاحبها لما يرى من الامر المحال ويأمر الحازم نفسه بالجد فيما يعنيها غير معرجة على شيمة الدهر فى تلونه وعدم ثباته

إذا ما الدهرُ صافانا مرضنا ... فان عُدنا الى خطب شفينا
لنا جلد على جَلَد يَقينا ... فان زادَ البلاَ زدنا يقينا
أَلِفنا كلَّ مكروه تُفدّى ... له فرسانه بالراجلينا
فأعيا الخطب ما يلقاه منا ... ولكنّا صِحاحٌ ما عُيينا
صَلِينا يا خطوب فقد عُرفنا ... بأنا الصلب صانا أو صُلينا
وقرّى فوق عاتقنا وقولى ... نزلتُ اليومَ أعلى طور سينا
علينا للعُلاَ دَيْن وضمنا ... عليه الرُّوحَ لا الدنيا رهينا
فهل يمسى رهين فى سرور ... وهل تَلقى بلا كَدَر مدينا
اذا ما المجدُ نادانا أجَبنا ... فيظهر حين ينظرنا حَنينا
ولسنا الساخطين اذا رُزِينا ... نَعَم يَلقى القضا قلباً رَزينا
فانا فى عداد الناس قوم ... بما يَرضَى الإلَهُ لنا رَضينا
اذا طاش الزمان بنا حَلِمنا ... ولكنّا نهينا أن نَهينا
وانّا والورى قسمان لكن ... اذا ماتُوا بنازلة حُيينا
وان لاذُوا بعترتنا ضُعفنا ... فان رَفعوا أنوفهمُ قوينا
وان شئنا نثرنا القولَ دُرًّا ... وان شئنا نظمناه ثمينا
وان شئنا سلبنا كل لُبّ ... وان شئنا سَحرنا المُنشئينا
سَلوا عنّا منابرنا فانّا ... تركنا فى منصّتها فطينا

وقال محمود أفندى صفوت (١)

رَقّت لِرِقّة حالتى الأهواء ... وحنتْ علىّ البانة الهيفاء

(١) هو المشهور بالساعاتى ولد بالقاهرة سنة ١٢٤١ وتوفى بها

وبكى الغمام علىَّ من أسف وقد كادت تمزّق طوقها الورقاء
ما ذا تريد الحادثات من امرئ من جنده الشعراء والامراء
دعها تمدّ كما تريد شباكها فلربما علقت بها العنقاء
أنا ذلك الصلّ الذى عن نابه تلوى المنون وتاتوى الرّقطاء
وفى هوالقوس الأرن ومقولى الـ ـوتر الشديد وأسهمى الانشاء
فكر ينظّم فى البديع فرائدا من دونها ما يلفظ الدأماء
لو لم يكن حظّى أضاع فضائلى لتضوّعت بأريجها الأرجاء
ولعَ الزمان وأهله بعداوتى ان الكرام لها اللئام عداء
أتحطّ قدرى الحادثات وهمّتى من دونها المرّيخ والجوزاء
هيهات تهضم جانبى وعزائمى مثل البواتر دأبها الامضاء
صبراً على كيد الزمان فانما يبدو الصّباح وتنجلى الظلماء
أنا والمعالى عاشقان وطالما وعدا الحبيب فعاقه الرّقباء
لو كانت الأقدار يوماً ساعدت مثلى لخافت سطوتى الخلفاء
وأثرت بالخيل السّوابق عثيرا تعمى اذا اكتحلت به الزّرقاء
ثم انتضيت من البروق صوارما فرقا تراها المقلة العمياء
وهززت للموت الزّؤام عواملا صُما لموقع طعنها إصغاء
ورميت أكباد الملوك بأسهم مثل الأراقم مالهنّ رقاء
أوكنت من أهل الثراء غدت يدى بالجود وهى سحابة وطفاء
وأمال لى المالُ الذّرا فسموتها واذا بخلت فانّنى المعطاء
واذا جبُنت فانّنى ليث الثرى أو فُهتُ قالوا هكذا البُلغاء

وأتى الزمان مُسالماً فصروفه وبنوه عندى والعبيد سواء
واذا الإله أراد خيرا بامرئ ألقت أزمتها له النعماء
ولقد بلوت العالمين فلم أجد ذا ثروة يوماً وفيه رجاء
ولئن قصدت كريمهم بقصيدة يوماً فمدح المدح منه عطاء
أفنيت عمرى فى طلاب أولى الندى متعللاً بعسى يجاب نداء
وأضلنى داعى الشبيبة والصبا ان الشبيبة فتنة صمّاء
غضت عن العلياء طرفى برهة ثم انجلت عن ناظرى الأقذاء

﴿ وقال سعادة محمود باشا سامى البارودى من قصيدة فى الفخر ﴾

ولى شيمةٌ تأبى الدنايا وعزمة ترد لهام الجيش وهو يمور
اذا سرتُ فالأرض التى نحن فوقها مراد لمهرى والمعاقل دور
فلا عجب ان لم يصرنى منزل فليس لعقبان الهواء وُكور
همامة نفس ليس ينفى ركابها رواح على طول المدى وبُكور
معوّدة أن لا تكفّ عنانها عن الجدّ الا أن تتم أمور
لها من وراء الغيب أذنٌ سميعة وعين ترى مالا يراه بصير
وفيت بما ظن الكرام فراسةً بأمرى ومثلى بالوفاء جدير
وأصبحت محسودَ الجلال كانني على كل نفس فى الزمان أمير
اذا صلت كفّ الدهر من غلوائه وان قلت غصت بالقلوب صدور
ملكتُ مقاليد الكلام وحكمةً لها كوكبٌ نجم الضياء مُنير

﴿ وقالت السيدة عائشة التيمورية (١) ﴾

(١) هى كريمة المرحوم اسماعيل باشا تيمور المتوفية سنة ١٣٢٠ هجرية

بيد العفاف أصون عزّ حجابى وبعصمتى أسمو على أترابى
وبفكرة وقّادة وقريحة نقّادة قد كمّلت آدابى
ماضرّنى أدبى وحسن تعلمى إلا بكونى زهرة الألباب
ماعاقنى خجلى عن العليا ولا سدل الخمار بلثّتى ونقابى
عن طىّ مضمار الرهان اذا اشتكت صعب السباق مطامح الركاب
بل صولتى فى راحتى وتفرسى فى حسن ماأسعى لخير مآب
فأثرت مصباح اليراعة وهى لى منح الإله مواهب الوهاب

﴿ الباب الثالث فى شكوى الزمان والحال ﴾

﴿ قال الشنفرى (١) ﴾

أقيموا بنى أمّى صدور مطيّكم فانى الى قوم سواكم لأميل (٢)
فقد حمّت الحاجات والليل مقمر وشدّت لطيات مطايا وأرحل (٣)

(١) هو ثابت بن أوس الازدي الشاعر المشهور من أهل ليمن من شعراء الطبقة الثانية ومن جيد شعره هذه القصيدة المشهورة بلامية العرب مات سنة ٥١٠ ميلاديه والشنفرى هو العظيم الشفتين . وهو شاعر من الازد من العدائين . وكان في العرب من العدائين من لا تلحقه الخيل منهم هذا وسليك بن سلكة وعمرو بن براق وأسير بن جابر وتأبط شرا وكان الشنفرى حلف امتنان من بنى سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين وكان اذا وجد الرجل منهم يقول له الشنفري اطرفك ثم يرميه فيصيب عينيه فاحتالوا عليه فأمسكوه وكان الذي أمسكه اسير بن جابر احد العدائين رصده حتى نزل فى مضيق ليشرب الماء فوقف له فيه فأمسكه ليلا ثم قتلوه فر رجل منهم بجمجمته فضربها برجله فدخلت فيها شظية من الجمجمة فمات منها فتمت القتلى مائة والله اعلم بذلك (٢) مطا جد فى السير والمطية الدابة تمطو فى سيرها جمعها مطايا ومطي (المعنى) يخاطب قومه ويقول لهم تهيّؤا للرحيل فانى كاره ما انتم عليه من البقاء وشديد الرغبة فى الالتحاء الى قوم غيركم (٣) احم الامر حما قضي والطيات جمع طية وهى النية (المعنى) عجلوا بالرحيل فقد قضيت الحاجات وتمهد

وفى الارض منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القلى متعزّل (١)

لعمرك ما بالارض ضيق على امرئ ... سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل (٢)

ولى دونكم أهلون سيد عملس ... وأرقط زهلول وعرفاء جيأل (٣)

هم الاهل لا مستودع السر ذائع ... لديهم ولا الجانى بما جر يخذل (٤)

وكل أبى باسل غير أننى ... اذا عرضت أولى الطرائد أبسل (٥)

وان مدت الأيدى الى الزاد لم أكن ... بأعجلهم اذ أجشع القوم أعجل (٦)

وما ذاك الا بسطة عن تفضل ... عليهم وكان الأفضل المتفضل (٧)

الاسباب وتم الاستعداد لقضاء الأغراض (١) نأي عنه بعد والقلى بكسر القاف شدة الكراهة وتنزل عنه تنحى (المعنى) لما ذا المكث مع من يبغضونكم ويبغون اساءتكم مع ان فى الارض سعة للكرماء ليتباعدوا عمن يريدهم بالأذي وينتحوا عمن يناوونهم بالكراهة (٢) (المعنى) وحياتك ان الارض لاتضيق على الانسان العاقل الذي يستعمل عقله فى درك المرغوب وترك المرهوب (٣) السيد بالكسر الاسد والذئب و لعلس بفتح العين واللام المشددة القوي على السير السريع والذئب الخبيث والارقط النمر والزهلول كعصفور الاملس والعرفاء الضبع لكثرة شعر رقبتها الذى هو بمنزلة عرف الفرس وجيأل وجيأل ممنوعتان وجيل بلا همز الضبع (المعنى) اني افضل عليكم معشر القاعدين معاشرة الوحوش العادية من السباع والذئاب والنمر والضباع (٤) حر على نفسه وغيره حريرة اى ذنبا والجريرة الذنب والخيانة (المعنى) فهؤلاء حقيقة هم الاهل على الاسرار مأمونون وعن جرائر الجاني منهم محامون (٥) الابي كعلى من يكره الدنايا ولا يحتمل الضيم والباسل الاسد الشجاع والطريدة ما طردته وابعدته من ناحية وضممته اليك من الصيد والفرسان (المعنى) جميعهم يعافون الدنايا ولا يبالون بالمنايا لكني أنا اشجع الاقران فى ملتقي الطعان (٦) الجشع بالتحريك شدة الحرص واسوأه واخذ الانسان نصيبه والطمع فى غيره (المعنى) ولى خصلة اخرى هى بالعفيف احرى وهي تأخر يدي عن الطعام عند تقدم ايدى الاقوام (٧) (المعنى) وما دعاني الى ذلك الا توسمي بالفواضل اليهم لان افضل القوم هو المتفضل عليهم

وأنى كفانى فقدَ مَن لستُ جازياً ... بحسنى ولا فى قربه مُتعلّلُ (١)
ثلاثةُ أصحاب فؤادٌ مُشيَّعٌ ... وأبيضُ إصليت وصفراءُ عَيْطَلُ
هتوفٌ من الملس المتون يَزينُها ... رصائعُ قد نِيطت اليها ومَحمَلُ (٢)
اذا زلّ عنها السهمُ حنّت كأنّها ... مُرزَّأةٌ ثكلى ترِنّ وتُعوِل
ولستُ بمِهياف يُعَشّى سوامَه ... مُجذَّعةً سُقبانُها وهى بُهّل (٣)
ولا جبأءُ أكهى مُرِبّ بعرسه ... يُطالعُها فى شأنه كيف يفعلُ (٤)
ولا خرقٍ هَيقٍ كأنّ فؤادَه ... يَظلّ به المُكّاءُ يعلو ويسفُلُ (٥)

(١) تعلل بالامر تشاغل وشيء فلانا شجعه ويأتى ايضاً بمعنى خرج معه ليودعه والاصليت السيف الصقيل الماضى والعيطل الفوس الطويلة العنق القويمة المتن (المعني) مادام لى ثلاثة اصحاب القلب الجريء والسيف الماضى والقوس المتينة فلا أبالى بضياع من لا يثمر فيهم الجميل ولا ترجى منهم فائدة (٢) قوس هتوف ذات صوت والملس الناعمات والمتون جمع متن بمعني الصلب والرصائع جمع رصيعة حلية السيف المستديرة أو كل حلقه مستديرة فى سيف أو سرج أو غيره ونيطت اليها علقت بها وزل السهم عن القوس خرج منها بسرعة والمرزاة المصابة بالرزايا والثكلى الفاقدة أو لادها وأعول رفع صوته بالبكاء والصياح (المعني) قوس طنانة رنانة من نبات النبع مزينة بالحلى والحمائل ترن عند خروج السهم منها بحنين كأنها امرأة عاجلها فقد ابنها الغالي فهى تبكي وتعول لفقده (٣) المهياف السريع العطش والسوام الابل الراعية وناقة باهل بينة البهل لاصرار عليها ولا خطام أو لا سمة لها (يقال بهلت الناقة حل صرارها او مجذعة محبوسة على غير علف وسقبان جمع سقب وهو ولد الناقة (المعني) ولست من الناس الذين لا يتحملون العطش فيروحوا لي نوقهم ويحبسوا اولادها عنها جائعة ويتمتعوا هم بدرها من غير مانع (٤) الجبأ كسكر الجبان والاكهى الجبان الضعيف ورب يربه أى زوجته لزمها وقعد معها كأرب (المعني) ولست بالجبان الضعيف الذي يلازم قرينته ويطاوعها على أمره ويأخذ برأيها فيه (٥) الخرق ككتف الذي يندهش ويبهت لأقل شيء والهيق الواحد من النعام ويسمى بالظليم والمكاء كرمان نوع من الطير (المعني) ولست من الذين يطيشون بادنى الأمور مثل النعام وترتجف قلوبهم كأن المكاء يطير بها الي فوق والى تحت

ولا خالفٍ دارِيّة متغزّلٍ يَرُوحُ ويغدُو داهناً يتكحّل (١)
ولستُ بعلّ شرُّه دُونَ خيرِه ألفُّ اذا مارُعته اهتاجَ أعزَل (٢)
ولستُ بمحيارِ الظلام اذا انتحت هُدَى الهوجل العسّيفِ يهماءَ هوجل (٣)
اذا الأمعزَ الصوّان لاقَى مناسِمى تطايَر منه قادحٌ ومُفلّلُ (٤)

(١) يقال فلان خالفة أهل بيته وخالفهم بمعنى أنه غير نجيب لاخير فيه اذ انه يقعد بعدهم ويأتى خالفة وخالف بمعنى أحمق والدارية الملازم لبيته (المعنى) ولست من خلف السوء الملازمين للبيوت الذين لاهم لهم فى غدوّهم ورواحهم الا التغزل بالنساء والتزين لهنّ بالتدهن والتكحل (٢) العل الصغير الجسم الضعيف والالف الرجل الثقيل اللسان الى بالأمور والأعزل الخالى من السلاح (المعنى) ولست من سقط الرجال الذين يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم الذين يرتكبون فى الامور ويرتاعون لكل مروّع حيث لاسلاح لهم يقيهم من المخوف (٣) يقال نحاه وانتحاه بمعنى قصده والهوجل المفازة البعيدة لاعلم بها والناقة بها هوج من سرعتها والرجل الاهوج والدليل والعسيف صيغة مبالغة من عسف فى السير خبط فيه خبط عشواء والايهمان عند أهل البادية السيل والجمل الهائج الصؤول وعلى ذلك يمكن أن يقال ناقة يهماء (المعنى) ولست ممن تستولى عليه الحيرة فى الظلام اذا تاه دليل الابل عن الطريق وخبط فى السير خبط عشواء وتبعته الناقة اليهماء (٤) المعز الصلابة مكان أمعز صلب وأرض معزاء صلبة والصوان نوع من الحجارة شديدة الصلابة والمنسم كمجلس خف البعير والمفلل المكسر والمراد بالقادح هنا الحجر الذى يضرب بغيره فيفتته ويخرج منه الشرر (المعنى) اذا ضربت ناقتى بمناسمها حجارة الصوان فى الأرض الشديدة الصلابة نفتها فتضاربت الحجارة فمنها مايورى النار ومنها مايتفتت من شدة اصطدام الحجارة بعضها ببعض

أديمُ مِطَال الجوع حتى أُميتَه ... وأضرِبُ عنه الذكرَ صفحاً فأذهل (١)
وأستِفُ تُربَ الارض كى لا يرَى له ... علىَّ من الطَّول امرؤٌ متطوِّلُ (٢)
ولولا اجتنابُ الذام لم يُلفَ مشرَبٌ ... يُعَاشُ به الا لدَىَّ ومأكلُ (٣)
ولكنَّ نفساً حُرَّةً لا تقيم بى ... على الضَّيم الا رَيثما أتحوَّلُ (٤)
وأطوى على الخمص الحوايا كما انطوت ... خيُوطَةُ ماريٍّ تُغَارُ وتُفتَل (٥)
وأغدو على القُوتِ الزهيد كما غدا ... أزَلُّ تَهاداهُ التَّنائف أطحَل (٦)

(١) صفحا اما مصدر من صفح عنه أعرض مفعول له على معنى أصرف عنه الذكر اعراضاً عنه واما ظرف بمعنى الجانب على معنى أنحى الذكر عنه جانباً كما تقول ضعه جانباً وامش جانباً (المعنى) انى أعود نفسى على تحمل ألم الجوع دائماً حتى لا يبقى له تأثير وأصرف نفسى عنه حتى لا يخطر لى على بال (٢) الطول الفضل والانعام وتطول عليه امتن وأنعم (المعنى) وانى أفضل سف التراب على امتنان من يترفع على بالانعام (٣) الذام العيب والذم (المعنى) ولولا أن أخشى العار والمذمة التى تلحق الباذلين ماء وجوههم لاجل المآكل والمشارب لكان عندى من أشكالها وألوانها كل ما تشتهيه الانفس (٤) الضيم الهضم وريثما معناها مقدار ما (المعنى) ولكن نفسى عزيزة لا تبطئ بالاقامة على الاهتضام الا ابطاء تتأهب فيه للرحيل عنه (٥) الخمص الجوع والحوايا جمع حوية كغنية ما تحوى وانطوى بعضه على بعض من الامعاء والخيوطة جمع خيط وماري اسم صانع مشهور يفتل الخيوط وأغار شد الفتل (المعنى) وأضمر أمعائى بالجوع حتى تصير مثل الخيوط التى يشد فتلها ماري المشهور بفتل الخيوط (٦) الزهيد القليل والازل السريع والموصوف به هنا الذئب بدليل ما بعده والتنوفة المفازة والارض الواسعة البعيدة الاطراف أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس وان كانت معشبة وجمعها تنائف والطحلة بالضم لون بين

غدا طاوياً يُعارِضُ الرّيح هافيا يَخُوتُ بأذنابِ الشِّعابِ ويَعسِلُ (١)
فلمّا لَواه القُوت من حيثُ أمُّهُ دَعا فأجابتْهُ نَظائرُ نُحَّلُ (٢)
مُهلَّلةٌ شيبُ الوُجوه كأنَّها قِداحٌ بكفَّى ياسِرٍ تتقلقَلُ (٣)
أو الخَشْرَمُ المبعوثُ حثحثَ دَبرَهُ مَحابيضَ أرساهُنَّ سامٍ مُعَسِّلُ (٤)

الغبرة والسواد بياض قليل ذئب أطحل لونه الطحلة (المعنى) أدور على القوت القليل مثل مايدور عليه الذئب من فلاة الى فلاة (١) غدا طاوياً أى يكر بالضرب فى الارض جائعاً ويعارض الريح يسابقه وهافياً خفيفاً مسرعاً وخات البازى انقض على الصيد وخات الرجل اختطف وأذناب الشعاب أطراف الاراضى التى بين الجبال وعسل الذئب يعسل عسلا وعسولا وعسلاناً اشتد اهتزازة فى عدوه (المعنى) خرج الذئب من الجوع مبكراً يقطع أعماق المفاوز فى طلب القوت بعدو يبارى الريح (٢) لواه القوت فتله وضمره وأمّه قصده ونظائر نحل يعنى أمثاله الهزيمة (المعنى) فلما لم يجد فى الامكنة التى قصدها مايقتات به صاح فصاح معه أمثاله من الذئاب التى أنحلها الجوع (٣) المهللة الضامرة المنقوشة والقداح جمع قدح وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله والياسر الذى يلعب بالقداح لعبة كانت للعرب وهى حرام لما فيها من خسارة المال وتتقلقل تتحرك (المعنى) ذئاب ضامرة وخطها الشيب من يراها فى عدوها يخالها سهاماً تتحرك فى يدى ياسر (٤) الخشرم كجعفر جماعة النحل وأمير النحل ومأواها وحثحث كحث حض وحرض والدبر بفتح الدال جماعة النحل ومحابيض جمع محبض كمنبر عود يشتار به العسل أو يطرد به الدبر وهى هنا منصوبة على نزع الخافض والمعنى الى محابيض وأرسى وقف وأوقف وسام مرتفع ومعسل طالب العسل (المعنى) أو كأنها جماعة النحل حثها أميرها على الطير الى العيدان التى نصبها لها مشتار العسل فى الاماكن المرتفعة

مُهرَّتةٌ فوهٌ كأنَّ شُدُوقَها شقُوقُ العِصِىِّ كالِحاتٌ وبُسَّلُ (١)
فضجَّ وضجَّتْ بالبِراح كأنَّها وإيَّاه نُوحٌ فوقَ علياءَ ثُكَّلُ (٢)
وأغضَى وأغضَتْ واتَّسَى واتَّسَتْ به مَراميلُ عَزَّاها وعَزَّتْه مُرْمِلُ (٣)
شَكَا وشَكَتْ ثم ارْعَوَى بعدُ وارعوت وللصَّبْرُ إن لم يَنفع الشكوُ أجمَلُ (٤)
وفاءَ وفاءَت بادِراتٍ وكلُّها على نَسْكَظٍ مما يُكاتِمُ مُعْجِلُ (٥)
وتَشْرَبُ أسآرَ القَطا الكُدْرُ بعدما سرَتْ قَرَباً أحناؤُها تتصلْصَلُ (٦)

(١) المهرتة الواسعة والفوه جمع الافوه وهو الواسع الفم أو الذى تخرج أسنانه من الشفتين والشدوق أطراف الفم من باطن الخدين وكالحات شديدة العبوس وبسل كريهات المنظر (المعنى) ان أفواهها واسعة بارزة الانياب وأشداقها كانها شقوق العصى قبيحة المنظر فظيعة الرؤية (٢) البراح كسحاب المتسع من الارض لا زرع بها ولا شجر (المعنى) فصاح ذلك الذئب وصاحت معه الذئاب كأنها معه نائحات تنوح فوق ربوة عالية على فقد أولادهن (٣) أغضى على الشئ سكت واتسى اقتدى والمرمل الذى نفد زاده وعزاها سلاها على مصابها (المعنى) ثم سكت فسكتت اقتداء به وسلاها على جوعها وسلته على مخمصته (٤) الارعواء النزوع عن الجهل وحسن الرجوع عنه (المعنى) شكوا فلما لم تنفع الشكوى رجعوا عنها وصبروا على الجوع والصبر أحسن من الشكوى التى لا تفيد (٥) فاء رجع وبادرات مسرعات والنكظ محركة الجوع الشديد (المعنى) ورجعت الذئاب مسرعة وجميعها على ما به من شدة الجوع الذى يؤلمه ويكتمه راض بحالته محسن لها مستعين بالصبر على ما به من الضر (٦) أسآر جمع سؤر وهو بقية الماء بعد الشرب والقطا نوع من الطير صوته قطاقطا وهو ثلاثة أضرب كدرى وجونى وغطاط فالكدرى الغبر الألوان الرقش الظهور والبطون الصفر الحلوق وهو ألطف من الجونى • والجونى

همَمتُ وهمّت وابتدرنا وأسدلت وشمَّرَ مِنّى فارطٌ مُتمهّل (١)
فولّيتُ عنها وهى تكبُو لعُقْرِه يُباشِرُهُ منها ذقونٌ وحَوْصَل (٢)
كأنّ وَغاها حَجْرَتَيْهِ وحَولَهُ أضَاميمُ من سَفْرِ القبائلِ نُزّلُ (٣)

السود البطون والأجنحة وهو أكبر من الكدرى والغطاط كسحاب الغبر الظهور والبطون والأبدان سود بطون الأجنحة طوال الأرجل والأعناق لطاف لاتجتمع أسراباً أكثر ما يكون ثلاث واثنتان الواحدة غطاطة ويقال ان القطا يطلب الماء على بعد مراحل عديدة أبلغها بعضهم الى عشرين (المعنى) انى أسبق القطا الغبر الالوان فى السير أتركها تخرج لطلب الماء حتى اذا كانت ليلة اليوم الذى ترد الماء فيه على حين يشتد طيرانها حتى تسمع لها صلصلة عدوت فسبقتها الى الماء وشربت منه وتأتى هى بعدى فتشرب (١) سدل ثوبه وشعره وأسدله أرخاه وأرسله وفرط القوم يفرطهم فرطاً وفراطة فهو فارط تقدمهم الى الورد لاصلاح الحوض والدلاء (المعنى) ولقد خرجنا جميعاً متسابقين لورود الماء غير أنها مع اسدالها أجنحتها ومدها لها لتدرك الماء على عجل قد تعوقت عنه وشمرت عن ساعد الجد فى طلبه فتقدمتها اليه على مهل (٢) تكبو تنكب على وجهها والعقر بضم العين المراد به هنا الماء فى أقصى الحوض والذقون جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين والحوصل والحوصلة للطير كالمعدة للانسان (المعنى) وقد انصرفت عنها بعد ما رويت وتركتها تغمس بأذقانها وحواصلها فى الماء لترتوى من شدة العطش التى اصابتها من اجهادها نفسها فى الطيران (٣) الوغى كالفتى الصوت والجلبة والحجرة الناحية والاضاميم جمع اضمامة بكسر الهمزة وهى الجماعة والسفر القوم المسافرون (المعنى) كأن جلبتها بجانب الماء وحوله ضوضاء الجماعات من القبائل المسافرين عند حطهم من السفر

تَوافَيْنَ من شتَّى اليهِ فضمَّها ... كما ضمَّ أذوادَ الاصارِيمِ مَنْهَلُ (١)

فعبَّتْ غِشاشاً ثم مرَّتْ كأنَّها ... مع الصُّبحِ ركبٌ من أُحاظةَ مُجْفِلُ (٢)

وآلفُ وَجهِ الارضِ عندافتراشها ... بأهدأَ تنبيهِ سَناسِنُ قُحَّلُ (٣)

وأعدِلُ مَنحُوضاً كأنَّ فصُوصَه ... كِعابٌ دَحاها لاعِبٌ فهى مُثَّلُ (٤)

فان تَبتَئِسْ بالشَّنفَرى أُمُّ قَسْطَلٍ ... لما اغتبَطَتْ بالشنفرى قبل أطْوَلُ (٥)

(١) توافين اليه أى تلاحقن الى الماء ومن شتى أى من جهات متفرقة والاذواد جمع ذود وهو جماعة الابل والاصاريم هنا جمع صرم بكسر الصاد وهو جماعة الاعراب « المعنى » اجتمعن عليه على اختلاف الاماكن التى أتين منها كما تجتمع على المنهل أبل الاعراب المتفرقة المنازل (٢) العب جرع الماء وابتلاعه كتلة واحدة كما تفعل الحمامة فى شربها وغشاشا أى عبا قليلا عجلا غير مرئ وأحاظة كأسامة بن سعد بن عوف أبو قبيلة من حمير واليه ينسب مخلاف احاظة باليمن والمحدثون يقولون وحاظة وأجفل النعام فهو مجفل حركها وطردها « المعنى » فشربت قليلا ثم عجلت بالطيران اذا رأيتها حسبتها فرسانا تطرد النعام من بنى أحاظة المشهورين بركوب الخيل والصيد عليها (٣) الأهدأ المنكب المسترخى اللحم وتنبيه ترفعه والسناسن حروف فقار الظهر وقحل معناها مجردة من اللحم « المعنى » انى ألفت أن يكون وجه الارض هو الفراش الذى أنام عليه فأدوم على ذلك وان أصبحت ولى منكب استرخى لحمه على ظهر بان عظمه (٤) أعدل معناه هنا أسوى وأفرش لرأسى وأجعل لها وسادة ومنحوضا يعنى ساعدا قليل اللحم والفصوص المراد بها هنا الاصابع والكعاب لعب على شكل الاقماع ودحاها بمعنى بسطها ومثل معناها ماثلة وقائمة بين يدى اللاعب (المعنى) وأحب أن أتوسد ساعدا ذاهب اللحم كأن عظامه الخارجة كعاب أقامها اللاعب بين يديه (٥) تبتئس تحزن وأم قسطل الحرب

طَرِيدُ جنايات تياسَرْن لحمَه عقيرَتُهُ لأيتها جَمّ أوّل (١)
تنام اذا مانام يَقظَى عُيُونُها حِثَاثاً الى مكروهِهِ تتغلغَلُ (٢)
وإلفُ هُمومٍ ماتزال تَعُودُه عِياداً كحُمّى الرِّبْعِ أوهى أثقَلُ (٣)

واغتبطت سرت وقرت عينا ﴿ المعنى ﴾ لان تحزن الآن الحرب لأنى تركتها فلطا لما فرحت من قبل حين كنت أبعثها قدما ﴿ أسيرها وأمضى اليها مقدما ﴾ (١) كان من عادات العرب غير المحمودة اذا أرادوا أن تحصل لهم ميسرة بدون كبير كدّ ولا عظيم تعب أن يشتروا ناقة نسيئة وينحروها ويقسموا لحمها جملة أقسام ويجعلوا لها سهاما بعضها ذوات انصباء وبعضها غفل بلا نصيب ليستوفوا بيعها بقدر زهيد ثمن الناقة ثم يقترعون بالسهام فيفوز من تخرج لهم ذوات الانصباء ويحرم من تخرج لهم الغفل وهذه هى لعبة الميسر ﴿ القمار ﴾ المشهورة الفساد وحرمها الدين الحنيفى والقوم الذين يجتمعون على الميسر يقال لهم يسر والناقة التى تذبح فيه يقال لها جزور لانها تجزر ويقال لها عقيرة لانها تعقر وتنحر ويقال تياسروا أى أخذوا الانصباء من اللحم ويقال جم بمعنى دنا وقرب ﴿ المعنى ﴾ قد كثرت جناياتى فى الحروب على الناس حتى أصبحت شريدا من سعيهم ورأى للاخذ بالثار منى ومسارعتهم الى اقتسام لحمى ومسابقتهم فى أن يكون كل منهم أول من يفترسنى (٢) تنام أى الجنايات والمراد أصحابها وحثاثا سراعا وتتغلغل تدخل بشدة ﴿ المعنى ﴾ تبيت أرباب الجنايات اذا نام الشنفرى وعيونهم ساهرة على كيده يدبرون فى سرعة الوصول الى أذاه وضرره (٣) الالف الاليف الحليف المعاود والعياد العودة والرجوع مرة بعد أخرى وربعت عليه الحمى جاءت ربعا يعنى ترددت عليه فى كل أربعة أيام مرة تتركه فى الثلاثة وتأتيه فى الرابع وتسمى هذه الحمى حمى الربع ﴿ المعنى ﴾ ولم أزل حليف الهموم تعاودنى مع ثقلها معاودة الحمى الربعية بل ان تلك

اذا وردت أصدرتها ثم انها تثوب فتأتى من تحيت ومن عل (١)
فاما ترانى كابنة الرمل ضاحياً على رقة أحفى ولا أتنعل (٢)
فانى لمولى الصبر أجتاب بزه على مثل قلب السمع والحزم أفعل
واعدم أحيانا وأغنى وإنما ينال الغنى ذو البعدة المتبذل (٣)
فلا جزع من خلة متكشف ولا مرح تحت الغنى أتخيل (٤)
ولا تزدهى الأجهال حلمى ولا أرى سؤولاً بأعقاب الأقاويل أنمل (٥)

الهموم أثقل من الحمى (١) تثوب ترجع (المعنى) كلما ثارت على جيوش الهموم وأحاطت بى من كل جانب رددتها عنى بعزم ماض وصبر جميل (٢) فاما ترانى باهمال ان حملا على لو كقراءة طاحة فاما ترين بياء ساكنة ونون مفتوحة وابنة الرمل معناها الحية أو البقرة الوحشية وضاحيا بارزا للشمس وعلى ورقة معناها سوء العيش ومولى الصبر واليه واجتاب القميص لبسه والبز الثياب والسمع بالكسر ولد الذئب من الضبع يزعمون انه لايموت حتف أنفه كالحية وأنه فى عدوه أسرع من الطير ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعا (المعنى) فان ترنى كالحية عاريا حافياً معدما فان الصبر ثيابى والشجاعة حشو إهابى ولا أفعل الا ما يوجبه الحزم (٣) اعدم إعداما وعدما بالضم افتقر وذو البعدة بالضم أى صاحب الابتعاد فى الارض والمبتذل الذى لايصون نفسه (المعنى) أنى أضرب فى الارض فتارة اقتقر وطورا اغتنى ولاينال الغنى الامن باشر الاسفار ولم يتحاش بنفسه عن اقتحام الاخطار (٤) الجزع نقيض الصبر والخلة والحاجة والفقر والمرح البطر والاختيال (المعنى) الفقر لايظهر على ترحا والغنى لا يبدى منى مرحا (٥) تزدهى تستخف والاجهال جمع جهل شذوذا لان قياسه أجهل وجهول الا انه حسنه كون عينه الهاء الشبيهة بحروف اللين والباء فى بأعقاب بمعنى عن والنملة مثلثة وكسفينة النميمة وهو نمل ونامل

وليلةٍ نحسٍ يصطلى القوسَ ربُّها وأقطعُه اللاتى بها يتنبّل (١)
دَغَشتُ على غطٍّ وبغشٍ وصُحبتى سُعارٌ وإرزيزٌ ووَحرٌ وأفكلُ
فأيّمتُ نِسواناً وأيتمتُ ولدةً وعُدتُ كما أبدأتُ والليلُ أليَلُ (٢)
وأصبح عنّى بالغُميصاء جالسا فريقان مسئول وآخرُ يسأل (٣)
فقالوا لقد هرّت بليلٍ كلابُنا فقلنا أذئبٌ عسَّ أم عسَّ فرعلُ (٤)

ومنمل كمحسن ومنبر ونمال كشداد نمام وقدنمل كنصر وعلم وأنمل نم (المعنى) لا يستفز الجهل حلمى ولا تجدنى متبعاً للاقاويل الساقطة أنم بها على الناس (١) اصطلى استدفأ والا قطع جمع قطع وهو القضيب تبرى منه السهام وتنبل بالاقطع اتخذها نبلا ودغش عليه كمنع هجم وفى الظلام دخل والغطش الظلمة والبغش والمطر الخفيف والسعار بضم السين شدة الجوع والارزيز برد صغار كالبلح والوحر الحقد والغل والغيظ والافكل الرعدة (المعنى) وكم ليلة طويلة مظلمة باردة يضطر السائر فيها الى ايقاد قوسه ونبله ليتدفأ بها من شدة القرسريت فى ظلامها ومطرها وليس يصاحبنى غير الجوع والثلج والغيظ والرعدة (٢) أيمت نسوانا يعنى قتلت رجالهن فتركتهن بلا أزواج وأيتمت ولدة بكسر الواو جمع ولد يعنى قتلت آباءهم وأبدأت بدأت والليل أليل يعنى طويل شديد الظلمة (المعنى) فقتلت الرجال وتركت النساء أيامى والاولاد يتامى ورجعت كما رحت والليل باق على حاله (٣) الغميصاء موضع أوقع فيه خالد ابن الوليد رضى الله عنه ببنى جذيمة (المعنى) ولما أصبح الصباح جلس الناس بالغميصاء لشدة مادهاهم يتساءلون ويتجابون عما فعلت (٤) هر الكلب هريراً صوت صوتاً دون النباح وعس طاف بالليل والفرعل بالضم ولد الضبع والنبأة الصوت الخفى وهوم هز رأسه من النعاس والقطا جمع قطاة نوع من الطير صوته قطاقطا والأجدل الصقر وريع أخيف ولأبرح معناه لقد أتى

فلم يَكُ إلاّ نَبأةٌ ثمَّ هوَّمَتْ ... فقلنا قطاً قد رِيعَ أم رِيعَ أجدَلُ

فان يكُ من جنٍّ لا بَرْحَ طارقاً ... وان يكُ إنساً ما كها الإنسُ يَفعل

ويومٍ من الشِّعْرَى يَذوبُ لُعابُه ... أُفاعِيهِ فى رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَل (١)

نَصبتُ له وجهى ولا كِنَّ دونه ... ولا سِترَ إلاّ الأتحميّ المُرَعبَل

وَضافٍ اذا هبّتْ له الريح طيّرت ... لَبائدَ عن أعطافِهِ ما تُرجَّل

بَعيدٌ بمسِّ الدُّهنِ والفَلْىِ عَهدُهُ ... له عَبَسٌ عافٍ من الغسلِ محْوِل (٢)

بالبرح وهو الشدة والشر وها فى كها ضمير الفعلة دخلت عليه الكاف شذوذا (المعنى) فجعلوا يقولون انا لما سمعنا كلابنا تصوت بالليل حسبناها تنبح على ذئب أو ولد ضبع ولكنها لما صوتت قليلا ونامت قلنا ربما كانت نبأتها لطيران قطا ارتاعت أو لمرور صقر خاتف أمامها وما علمنا ان الطارق الذى أهرها شئ عظيم الا لما رأينا آثار فعله من القتل الذريع كل ذلك فعله فى ليلة لئن كان هذا الطارق من الجن فلقد أتى شيئاً عظيما وان كان من الانس فما يفعل الانس مثل ذلك (١) الشعرى نجم يطلع فى شدة القيظ واللعاب معناه هنا ما تراه فى شدة الحر كأنه منحدر من السماء اذا قام قائم الظهيرة ويكون على هيئة البخار أو على هيئة نسج العنكبوت ويسمى أيضاً لعاب الشمس والرمضاء الارض الشديدة الحرارة وتململ تقلب والكن الستر والاتحمى برد معروف والمرعبل الممزق وضاف صفة الشعر المحذوف ومعناها طويل ولبائد جمع لبدة وهى الشعر المتراكب واعطافه جوانبه وترجل تمشط (المعنى) وكم يوم من أيام الشعرى التى تتصاعد فيها الابخرة وتتململ فيها الافاعى من شدة الحر عرضت له وجهى بغير ستر ومشيت فيه ولا شئ على جسدى الا ثوب ممزق وشعر مسترسل اذا هبت عليه الريح لم تطير منه الا لبائد فى كل جانب منه لم تمسها الامشاط (٢) الفلى تنقية الرأس من القمل والعبس محركة ما تعلق باذناب الابل من أبوالها

وخرق كظهر الترس قفر قطعته بعاملتين ظهره ليس يعمل (١)
فألحقت أولاه باخراه موفياً على قنة أقمى مراراً وأمثل (٢)
ترود الاراوى الضخم حولى كأنها عذارى عليهن الملاء المذيل (٣)
ويركدن بالآصال حولى كأننى من العصم أدفى ينتحى الكيح أعقل (٤)

وقال محمد افندى حافظ ابراهيم

وأبعارها يجف عليها وعاف من الغسل لم يغسل والمحول الذى أتى عليه الحول (المعنى) ان هذا الشعر بقى عاما من غير أن يفلى ولا يغسل ولا يمس بدهن حتى تراكمت عليه الاوساخ وصار عليه منها مثل عبس الابل (١) الخرق الارض الواسعة تخرق فيها الرياح وقفر خالية من النبات والسكان والعاملتان الرجلان وظهره ليس يعمل أى ليس يسلك (المعنى) وكم صحراء مقفرة لم يسلكها أحد قطعتها مشياً على رجلى (٢) أوفى عليه أشرف والقنة بضم القاف قلة الجبل وأقمى فى جلوسه تساند الى ماوراءه ومثل قام منتصباً (المعنى) فعبرت تلك الصحراء من أولها الى آخرها مشرفا على قلل الجبال تارة أقعد وتارة أقوم (٣) الرود الذهاب والمجئ والاراوى جمع أروية بالضم والكسر وهى انثى الوعول والعذارى جمع عذراء وهى البكر والملاء بضم الميم نوع من الاردية والمذيل طويل الذيل (المعنى) تطوف الاراوى الضخم حولى اذا اريتها حسبتها عذارى تلفقت فى ملاء طويلات الذيول (٤) الركود السكون والثبات والآصال جمع أصيل وهو العشى والعصم جمع أعصم وهو الوعل الذى فى موضع المعصم منه بياض والادفى الذى يميل قرناه ناحيتى ظهره وينتحى يعتمد والكيح ناحية الجبل وأعقل ممتنع فى الجبل (المعنى) ويقفن حولى يحسبننى وعلا أدفى يقصد الجبل ليمتنع به

لم يبقَ شئ من الدنيا بأيدينا ... إلاّ بقيّة دمع فى مآقينا
كنا قلادة جيد الدهر وانفرطت ... وفى يمين العلا كنّا رياحينا
كانت منازلنا فى العز شامخةً ... لا تشرق الشمس إلا فى مغانينا
وكان أقصى منًى نهر المجرة لو ... من مائه مُزجت أقداح ساقينا
والشهب لو أنها كانت مسخرة ... لرجم مَن كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا ... شزراً وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاهٌ ولا نشبٌ ... ولا صديقٌ ولا خِلٌ يواسينا

وله فى شكوى الزمان

سعيت الى أن كدت أنتعل الدما ... وعدت وما أعقبت إلا التندُّما
سلام على الدنيا سلام مودع ... رأى فى ظلام القبر أنساً ومغنما
تبلغ بالصبر الجميل وبالأسى ... زماناً وجادته المنى فتأدما
أضرت به الأولى فهام بأختها ... وإن ساءت الأخرى فويلاه منهما
فهبى رياح الموت نكباء واطفئى ... سراج حياتى قبل أن يتحطما
فما عَصَمَتْنى من زمانى فضائلى ... ولكن رأيت الموت للحر أعصما

فياقلب لاتجزع إذا عضّك الاسى ... فانك بعد اليوم لن تتألما
وياعين قد آن الجمود لمدمعى ... فلا سيل دمع تسكبين ولا دما
ويايدُ ماكلفتك البسط مرة ... لذى مِنّة أولى الجميل وأنعما
فلله ما أحلاك فى أنمل البلى ... وان كنت أحلى فى الطروس وأكرما
ويافدمى ماسرت بى لمذلة ... ولم ترتق إلاّ إلى العز سُلّما
فلا تبطئى سيراً الى الموت واعلمى ... بأن كريم القوم من مات مكرما

﴿ الباب الرابع فى الخط والكتابة والبلاغة ﴾

(قال القاضى التنوخى الكبير [١])

وصحيفةٍ ألفاظها فى النظم كالدُّرِّ النثيرِ
جاءت الىَّ كأنها التوفيق فى كلّ الأمورِ
بأرقَّ من شكوى وأحسنَ من حياةٍ فى سرور
لو قابلت أعمى لأصبح وهوذو طرف بصير
وكأنّها أمل تحقّق بعد يأسٍ فى الصُّدور
أو كالفقيد إذا أتتْ بقدومه بُشرى البشير
أو كالمنام لساهرٍ أو كالغنى عند الفقير
أو كالشفاء لمُدْنفٍ أو كالأمان لمُستجير
وكأنما هىَ من وصا لٍ أو شبابٍ أو نشور
لفظٌ كأسرِ معاندٍ أو مثل إطلاق الأسير
وكأنه اذ لاح من فوق المهارق والسطور [٢]
وردُ الخدود إذا انتقلْـ ـتَ به على راح الثغور
غُرٌّ غدت وكأنها من طلعة الظّبى الغرير
من كلّ معنى كالسلا مة أو كتيسير العسير
كتبت بحبر كالنوى أوكفر نعمى من كفور [٣]

(١) هو على بن محمد المعروف بالقاضى التنوخي توفى سنة ٣٤٢ هجرية (٢) المهارق جمع مهراق بضم أوله وهو الصحيفة فارسى معرب (٣) أراد بقوله بحبر كالنوى حبر أسود كالفراق أو كجحود النعمة فى وقت السعة وموتاة الدهر

فى مثل أيام التوا صل أو كأعتاب الدهور
أهديتها ياخير مَن يختار من كرم وخير

وقال البحترى

فى نظامٍ من البلاغة ما شكّ امرؤٌ أنه نظام فريدِ
ومعانٍ لو فصّلتها القوافى عجّبت شعر جرول ولَبيد
حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنبنَ ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيد

وله أيضا

من كل معنى يكاد الميّت يفهمه حسنا ويعبده القرطاس والقلم

وله أيضا

واذا دجت أقلامه ثم انتحت برقتْ مصابيح الدُّجى فى كُتْبه
فاللفظ يقرُب فهمه فى بُعْده منّا ويبعدُ نيله فى قربه
فكأنها والسمع معقودٌ بها شخص الحبيب بدا لعين مُحبّه

وقال الوزير المهلبى (١)

ورد الكتاب مبشرا نفسى بأنواع السرور
وفضضته فوجدته ليلا على صفات نور
مثل السوالف والخدو د البيض زِينَتْ بالشعور

(١) هو أبو عبد الله الحسن بن محمد بن هرون بن المهلب بن أبى صفرة الازدى المهلبى كان وزير معز الدولة الديلمى توفى سنة ٣٥٢ هجرية

أنزلته منى بمنزلة القلوب من الصدور

ولـه أيضا

وردالكتاب فديته من وارد فيه لقلبى من حياتى مورِدُ
فرأيت درًّا عقده مُتنظم فى كل فصل منه فصل مُفرَد

ولـه أيضا

وصل الكتاب طليعة الوصل بغرائب الأفضال والفضل[1]
فشكرته شكر الفقير إذا أغناه ربّ الجود بالبذل
وحفظته حفظ الأسير وقد وَرَد الأمان له من القتل

وقال الصابى[2]

لك يدٌ غمرتْ جُوداً بنائلها ومنطق دُرّه فى الطرس ينتشرُ
فحاتمٌ كامنٌ فى بطن راحتها وفى أناملها سَحبان مُستتر

ولـه أيضا

ولقد جلَّ قدر ألفاظك الغرْ رولكنَّها دقاقُ المعانى
تتغذّى بها المسامع منّا فهى نعمَ الغذاء للابدان
وكلام كأنما فتقُ المسـك به أو تنفّسُ الريحان[3]

وقال القاضى التنوخى الكبير

خطٌّ وقرطاسٌ كأنّهما السوالف والشعورُ

---

(١) الطليعة مقدار الوصال ودليله (٢) هوأبو اسحاق ابراهيم بن هلال بن ابراهيم ابن زهرون الصابئ توفى سنة ٣٨٤ هجرية (٣) فتق المسك وتنفس الريحان رائحتهما

وبدائعٌ تدعُ القلو ب تكاد من طرب تطير
فى كل معنى كالغنى يحويه مُحتاجٌ فقير
أو كالفكاك يناله من بعدما ياس أسير (١)
وكأنها الاقبال جا ء أو الشفاء أو النشور
وكأنها شرخُ الشبا ب وعيشه الخضل النضير (٢)

وقال المتنبى

لمّا وضعتُ على عينى وقد رمدتْ من البكاء كتاباً منك أبراها
وكانت النفسُ قد ماتتْ بغصّتها فخطُّ كفّك بعدَ الله أحياها

وقال البستى

لمّا أتانى كتابٌ منك مُبتسِمٌ من كل برٍّ وفضلٍ غير محدودِ
حكَتْ معانيه فى أثناء أسطره آثارَك البيضَ فى أحوالىَ السُّود

الباب الخامس فى الوصف

(قال ابن حمديس الصقلىّ يصف داراً بناها المنصور)

أعمِرْ بقصرِ المُلْكِ ناديك الذى أضحى بمَجْدِكَ بَيْتُه معمورا
قصرٌ لو آنّكَ قد كحلْتَ بنُوره أعمَى لعادَ الى المقامِ بصيرا
واشتُقّ من معنى الجنان نسيمُه فيكادُ يُحْدِثُ بالعِظَام نُشورا
نُسِىَ الصَّبيحُ مع الفصيح بذِكْره وسما ففاق خَوَرْنقاً وسَدِيرا
أبصرته فرأيتُ أبدع منظَر ثمّ ٱنثنَيْتُ بناظرى محسُورا

(١) الفكاك الخلوص (٢) شرخ اى اول

فظننت أنى حالمٌ فى جنةٍ ... لمَّا رأيت الملكَ فيه كبيرا
لَوْ أنَّ بالإيوانِ قوبلَ حُسْنُهُ ... ما كان شيئاً عنده مذكورا
أعْيت مصانعه على الفُرْسِ الأُلى ... رفعوا البناءَ وأحكموا التَّدْبيرا
ومضت على الرُّوم الدُّهُور وما بنوا ... لملوكهم شبهاً له ونظيرا
أذْكرْتنا الفِرْدوس حين أرَيْتنا ... غُرَفاً رفعتَ بناءها وقصورا
ومُحَصَّبٍ بالدُّرِّ تحسبُ تُربَهُ ... مِسْكاً تضوَّعَ نشرهُ وعبيرا
تُسْتَخلفُ الأبصارمنه اذا أتى ... صبحاً على غَسَقِ الظَّلام مُنيرا

﴿ وقال ابن حمديس الاندلسى فى وصف بركة ﴾

﴿ عليها أشجار من ذهب وفضة وعلى حافاتها أسود قاذفة بالمياه ﴾

وضَراغِمٍ سكَنَتْ عَرِينَ رَآسَةٍ ... تَرَكَتْ خَرِير الماءِ فيه زَئيرا
فكأنما غشَّى النضارُ جُسومَها ... وأذابَ فى أفواهِها البلُّورا
أُسْدٌ كأنَّ سُكونَها مُتحَرِّك ... فى النفس لو وَجَدَتْ هناك مُثيرا
وتذَكَّرَتْ فتكاتِها فكأنما ... أقْعَتْ على أدبارِها لتثورا
وتخالُها والشمس تجلُو لونَها ... ناراً وألْسُنَها اللواحسَ نورا
فكأنما سَلَّتْ سُيوفَ جداوِلٍ ... ذابَتْ بلا نار فَعُدْنَ غَديرا
وكأنما نَسَجَ النسيمُ لمائه ... دِرْعاً فقدَّر سَرْدَها تقديرا
وبَديعة الثمَراتِ تَعْبُرُ نحوَها ... عيناىَ بحرَ عجائبٍ مَسجورا
شَجَرِيَّة ذَهَبِيَّة نزَعَتْ الى ... سِحْرٍ يُؤَثِّرُ فى النُّهَى تأثيرا
قد سُرِّجَتْ أغصانُها فكأنما ... قبضت بهنَّ من الفضاء طُيورا
وكأنما تأبَى لِوَقْعِ طَيْرُها ... أن تَسْتَقِلّ بنَهْضِها وتطيرا

من كل واقعةٍ ترى مِنقارَها ماءً كسَلسالِ اللُّجَين نميرا
خُرْسٌ تُعَدُّ من الفِصاح فان شَدَتْ جعلَتْ تُغَرِّد بالمياه صَفيرا
وكأنما فى كل غصنٍ فِضَّة لانَتْ فأرسلَ خَيْطُها مجرورا
وتُريك فى الصهريج مَوْقِعَ قَطْرِها فوق الزَّبرجد لؤلؤاً منثورا
ضحِكَت محاسِنُه اليك كأنما جُعِلَت لها زُهْرُ النجومِ ثُغورا
ومُصفَّح الأبواب تِبْراً نظَّروا بالنقش فوق شُكولِه تنظيرا
واذا نظرتَ الى غرائب سَقْفِه أبصرت روْضاً فى السماء نضيرا
وضَعَتْ به صُنّاعُها أقلامَها فأرَتْكَ كلَّ طَريدةٍ تصويرا
وكأنما للشمس فيه لِيقَةٌ مَشَقُوا بها التزويقَ والتشجيرا
وكأنما اللازَوَرْدُ فيه مُخَزَّمٌ بالخطّ فى ورق السماء سطورا

﴿ وقال المرحوم محمود باشا سامى البارودى ﴾

(يصف حرب سكان جزيرة اقريطش (كريد) حين خرجوا عن الطاعة)
(سنة ١٢٨٢ ويتشوّق الى مصر)

أخَذَ الكَرَى بمَعاقِد الأجفان وهفَا السُّرَى بأعنّة الفُرْسان
والليلُ مَنْشُورُ الذَّوائب ضارب فَوْق المتَالِع والرُّبَى بجِران
لا تستبين العَيْن فى ظَلْمائه الا اشتِعالَ أسِنّة المُرّان
تَسْرِى به مابين لُجَّة فِتْنة تَسْمُو غَوارِبُها على الطُّوفان
فى كل مَرْبَأةٍ وكل ثَنِيّةٍ تَهْدار سامِرة وعَزْف قِيان
تَسْتَنّ عادِيَةٌ ويَصْهَل أجْرَدٌ وتَصيح أجْرَاس ويَهْتِف عان
قَوْمٌ أبَى الشيْطان الاّ خُسْرَهم فتَسَلَّلُوا من طاعة السُّلطان

ملؤا الفضاء فما يبين لناظرٍ ... غير التماع البيض والخرصان
فالبدر أكدر والسماء مريضة ... والبحر أشكل والرماح دوان
والخيل واقفة على أرسانها ... لطراد يوم كريهة ورهان
وضعوا السلاح الى الصباح وأقبلوا ... يتكلمون بألسن النيران
حتى اذا ما الصبح أسفر وارتمت ... عيناى بين ربى وبين مجان
فاذا الجبال أسنة واذا الوها ... د أعنة والماء أحمر قان
فتوجست فرط الركاب ولم تكن ... لتهاب فامتنعت على الأرسان
فزعت فرجعت الحنين وانما ... تحنانها شجن من الأشجان
ذكرت مواردها بمصر وأين من ... ماء بمصر منازل الرومان
والنفس لاهية وان هى صادفت ... خلفا بأول صاحب ومكان
فسقى السماك محلة ومقامة ... فى مصر كل مرنة مرنان
حتى تعود الأرض بعد ذبولها ... شتى النماء كثيرة الألوان
بلد خلعت بها عذار شبيبتى ... وطرحت فى يمنى الغرام عنانى
فصعيدها أحوى النبات وسرحها ... ألمى الظلال وزهرها متدانى
فارقتها طلباً لما هو كائن ... والمرء طوع تقلب الأزمان
حمل الزمان على مالم أجنه ... ان الأماثل عرضة الحدثان
قوموا على وقد فتكت شجاعتى ... ان الشجاعة حلية الفتيان
فليهنأ الدهر الغيور برحلتى ... عن مصر ولتهدأ صروف زمانى
فلئن رجعت وسوف أرجع واثقا ... بالله أعلمت الزمان مكانى
صادقت بعض القوم حتى خاننى ... وحفظت منه مغيبه فرمانى

زَعَم النصيحةَ بعد أن بَلَغَتْ به ... غِشًّا وجازَى الحقَّ بالبُهْتَان
فَلْيجْرِ بعدُ كما أراد بنفسه ... انَّ الشَّقِىَّ مَطِيَّةُ الشيطان
وكذا اللئيمُ اذا أصابَ كرامة ... عادَى الصديقَ ومالَ بالاخوان
كلُّ امْرِىءٍ يَجْرِى على أعراقه ... والطبعُ ليس يحول فى الانسان
فعلَى مَ يَلْتَمِس العدوُّ مَساءَتِى ... من بعد ماعَرَف الخلائقُ شانى
أنا لا أذِلّ وانما يَزَعُ الفَتَى ... فَقْدُ الرجاء وقِلّة الاخوان
فَلْيَعْلَمَنَّ أخو الجَهالة قَصْرَه ... عَنِّى وان سَبَقَتْ به قَدمان
فَلَرُبَّمَا رَجَحَ الخسيسُ من الحصى ... بالدُّرِّ عند تَرَاجُح الميزان
شَرَفٌ خُصِصْتُ به وأخْطأ حاسِدِى ... مَسْعاتَهُ فهَذَى به وقلانى

﴿ وقال السيد عبد الله النديم يصف قطارا بخاريا ﴾

نَظَرَ الحكيم صفاته فتحيَّرا ... شكلا كطود بالبخار مُسَيَّرا
دوما يحنّ الى ديار أصوله ... بحديد قلب باللّهيب تَسعّرا
ويظَلُّ يبكى والدموع تزيده ... وجداً فيجرى فى الفضاء تَستُّرا
تلقاه حال السير أفعى تلتوى ... أوفارس الهيجا أثارَ العثيرا
أو أكرةٌ أرسلتها ترمى بها ... غرَضاً فجلّت أن ترى حال السرى
أوسبعُ غابٍ قد أحسّ بصائد ... فى غابه فعدا عليه وزمجرا
فكأنّه المديونُ جاء غريمه ... فانسلّ منه وغاب عن تلك القرى
أو أنه شُهُبٌ هوت من أفقها ... أو قبّة المنطاد تنبذ بالعرا
لاعجب للنيّران اذ يمشى بها ... فمن اللظَى تجرى الورى كى تحشرا

﴿ وقال الفاضل احمد بك شوقى ﴾

(يصف الجسر الواصل بين ضفتى البسفور)

أمير المؤمنين رأيت جسراً أمرّ على الصّراط ولا عليه
له خشب يجوع السوس فيه وتمضى الفأر لا تأوى اليه
ولا يتكلف المنشار فيه سوى مرّ الفطيم بساعديه
ويبلى نعل مَن يمشى عليه وقبل النعل يدمى أخمصيه
وكم قد جاهد الحيوان فيه وخلّف فى الهزيمة حافريه
وأسمج منه فى عينى جباة تراهم وسطه وبجانبيه
اذا لاقيت واحدهم تصدّى كعفريت يشير براحتيه
ويمشى (الصدر) فيه كلّ يوم بموكبه السنى وحارسيه
ولكن لا يمرّ عليه الاّ كما مرّت يداه بعارضيه
ومن عجب هو الجسر المعلى على (البسفور) يجمع شاطئيه
يفيد حكومة السلطان مالاً ويعطيها الغنى من معدنيه
يجود العالمون عليه هذا بعشرته وذاك بعشرتيه
وغاية أمره أنّا سمعنا لسان الحال ينشدنا لديه
(أليسَ من العجائب أن مثلى يرى ماقلّ ممتنعاً عليه)
(وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا وما من ذاك شئ فى يديه)

(وقال مغنى بك ناصف مهقصيدة فى وصف مريو عابديه)

الدّهر أقسم لا يجئ بغير ما ترضى وكم برّت له أقسامُ

فاقبل معاذير الزمان فطالما قبلت معاذيرَ المنيب كرام
واغفر جنايته على القصر الذى لم تحوِ مصر نظيره والشام
شبّت به النيران فارتاعت لها مهج الأنام وهالها استعظام
لولا الدخان أحاط حول لهيبها ما شكّ فردٌ أنها أعلام
أمرٌ به نفذ القضاء وليس فى أحكامه نقض ولا إبرام
بل حكمةٌ شاء الاله بيانها لعباده ليذيع الاستسلام
حتى يروا أن الملوك وإن علوا قدرا تسير عليهم الأحكام
فاذا اقتدى بهم الرعيةُ أحسنوا صبرا وخفّت عنهمُ الآلام
عين السماء لعابدين تطلّعت حسَدًا عليك وللعيون سِهام
وتشوّق القصر الكريم لأهله والشوق فى قلب المحبّ ضرام
لم يستطع صبراً على طول النوى والصبر فى شرع الغرام حرام
فتصعّدت زفراته وتأجّجت جمراته والصبّ كيف يلام
لولا الدموعُ من المطافى ما انقضى منه الهيام ولم يبلّ أُوام
خرقت طباق الجوّ الا أنّها بَرْدٌ قُصارَى أمرها وسلام
هذا وكم من نعمةٍ فى نقمة طُوِيَتْ فلم تفطن لها الأفهام

﴿ وقال يصف ابتهاج الأمة بالامير ﴾

طاروا سروراً من شهود أميرهم فكأنهم حول القطار حمامُ
يتسابقون الى اجتلاء سُمُوّه وبهم زفير نحوه وهيَام
لو لم تكن نارُ القطار لجرّه وَجدٌ يجيش بصدرهم وغرام
فى كل رستاق وكل مدينة شوقاً اليك تجمّعٌ وزحام

من كل فجّ ينسلون فأترعت بهم الوهاد وماجت الآكام
والنور أمسى أبحراً غرق الدجى فيها ومات بلجّها الاظلام
فكأنّ وجه الأرض وجه أبلجٌ بين الكواكب والغمام لثام
والناس من كل الجوانب هتّف عِشْ ياعزيز يحوطك الإعظام

(وقال أيضاً افندى الحداد فى غزله اصوانه ومدح الحضرة الخديوية)

أخزّانَ مصرٍ أنتَ أم هَرَما مصر أجلُّ وأسمى فى المكانة والقدر
أعدتَ لنا مجدَ القرونِ التى مضت وجدّدتَ من عهد الفراعنة الغُرّ
وهيهاتَ ما أهرامُ مصر وان سمت بأرفع راساً من حضيضك لو تدرى
وليس سنانُ بنُ المُشَلَّل خالداً بأنبهَ من عبّاسِ عصرك فى الذِّكر
وماقطراتُ السُّحبِ كالدُّرّ تنهمى بألطفَ وقعاً من عقيقك إذْ يجرى
وما أنتَ خزّانَ المياهِ وطَمِيها وإبليزها بل خازنُ الدُّرّ والتِّبر
تدفّقتَ بالخيرات من كلّ جانب وجَمّعتَ أقطارَ المنافعِ فى قَطْر
فقل للغوادى والرّوائح تنجلى وفى غير مصرٍ فلتَسِحّ على قفر
إذا ماجرت أمواهها دونَ حاجةٍ وفاضت جرت منك المياه على قدر
ضربتَ على آثار مصرَ ولم يكن ليطمسها لولا جلالك من إثر
ألا فلتَسُد مصرٌ على كلّ بُقعةٍ به وليُطاول قُطرُها مَسقطَ القطر
بناءٌ من الدّهر استعارَ بقاءهُ وأقسم ألاّ يُستردّ من الدّهر

﴿ الباب السادس فى التقاضى والاستزادة والشكر ﴾

﴿ قال أبو اسحاق الصابئ ﴾

كفاك مُذ كِرّاً وجهى بأمرى وحَسْبك أن أراك وأن ترانى
فكيف أحثُّ من يعنى بأمرى ويعرف حاجتى ويرى مكانى

﴿ وقال أبو تمام الطائى ﴾

الفطرُ والأضحى قد انسلخا ولى أملٌ ببابك صائم لم يُفطر

﴿ وقال على بن الرومى ﴾

أظلَمَ ليلى وأنت لى قمرٌ فنوّر الليل أيُّها القمرُ
أجدبَ شَرْجى (١) وأنت لى مطر فزَحْزِح الجدبَ أيها المطر
أرابَ (٢) دهرى وأنت لى وَزَرٌ فدافع الرَّيْبَ أيّها الوزر
أخطأتُ قدرى وأنت لى بصرٌ فاركبْ الى القصد أيها البصر

﴿ وقال أبو تمام الطائى ﴾

خذ بكفّى من عثرةٍ لستُ إلاّ بك أرجو من عثرةٍ انهاضى
واذا المجد كان عونى على المر ءِ تقاضيته بترك التقاضى

﴿ وقال آخر ﴾

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما نُجْحُ الأمور بقوّةِ الأسبابِ
اليوم حاجتُنا اليك وانما يُدعى الطبيبُ لشدة الأوصاب

﴿ وقال أحمد بن أبى البغل ﴾

بدأتَ بفضلٍ صار فرضا تمامُهُ وأنت بمفروضِ العوائد عائدُ
تلطف لما فيه خلاصى واتّخذْ يدا فالأيادى فى الرجال قلائدُ

(١) الشرح بفتح فسكون مسيل الماء (٢) اقلق وازعج

﴿ وقال الشريف الموسوى الرضى ﴾

القول يعرُضُ كالهلال فان مشتْ ... فيه الفعالُ فذاك بدر تمام
انى أمتُّ (١) اليك بالأدب الذى ... يقضى عليك بحرمةٍ وذمام
وقرابة الأدباء يقصُرُ دونها ... عند الأديب قرابة الأرحام

﴿ وقال البحترى ﴾

ومثلك إن أبدى الفعال أعاده ... وإن صنَعَ المعروف زاد وتمّما

﴿ وقال أيضا ﴾

ولقد غَدَوْتَ أخاً ورحتَ برأفةٍ ... وحياطةٍ حتى كأنك والدُ
وبدأتَ فى أمرٍ فعُدْ انّ الفتى ... بادٍ لما جلب الثناء وعائد
لم أنأ (٢) عما كنت فيه ولم أغِب ... عن حظّ فائدةٍ ورأيك شاهد

﴿ وقال أبو الفتح البستى ﴾

يامن تواضعهُ عونٌ وسؤدُدُهُ ... نجدٌ وهمته التفريج للكُرَب
أوصِ الزمانَ بحفظى من نوائبه ... فان احداثهنَّ السُّودَ تلعب بى

﴿ وقال أيضا ﴾

ياراغباً فى الحمد والشكر ... ومتيماً بعقيلة الذكر
قيّد ببرّك شكر ذى أملٍ ... فالبرُّ قيْدُ أوابدِ الشكرِ

﴿ وقال أيضا ﴾

(١) اتوسل (٢) اي لم ابعد عنك.

أيها الخاطبون شكراً كريماً أين أنتم عن مهر شكرٍ كريمِ
قدموا البرَّ تستفيدوا من الشكـــر كفاً لذلك التقـديم
أولم تبصِرُوا الى الأرض تُسقى ثم تهـتزُّ بالنَّباتِ العـميم

﴿ وقال أيضا ﴾

ذكّر أخاك اذا تناسى واجباً أو عنَّ فى آرائه تقصيرُ
فالرأى يصدأ كالحسام لعارضٍ يطرا عليه وصقلُه التذكيرُ

﴿ وقال البحترى ﴾

وما أنا إلا غرس نعمتك التى أفضْتَ له ماء النوال فأورقا
وقفتُ بآمالى عليك جميعها فرأيك فى امساكهنَّ موفَّقا

﴿ وقال أبو فراس الحمدانى ﴾

وانك للمولى الذى بك أقتدى وانك للنّجم الذى بك أهتدى
فأنتَ الذى بلّغتنى كلَّ رتبةٍ مشيتُ اليها فوق أعناق حُسَّدى
فيا مُلبسى النّعمى التى جلَّ قدرُها لقد أخلقتْ تلك الثيابُ لجدِّدِ

﴿ وقال محمد بهه هازم ﴾

لقد لَبَسَتْنى منك بالأمس نعمةٌ فهل لك من أُخرى عوانٍ الى بكرِ
على أنها إن أمكنت أو تعذّرت فإنك بين الشكر منّى والعُذرِ

﴿ وقال البحترى ﴾

لك النّعماء والخطرُ الجليلُ ومنك الفضلُ والنّيل الجزيلُ
أمرتَ بأن أُقيم على انتظار لرَايك انّه الرأىُ الأصيل

فراقبت الرسول فقلت يأتى بتبيانٍ فما جاء الرسول

﴿ وقال آخر ﴾

ليس فى كل ساعةٍ وأوان تَهيّأ صنائع الاحسان
فإذا أمكنت فبادر اليها حذرا من تعذُّر الامكان

﴿ وقال عبد الله بن طاهر ﴾

ماذا أقول اذا سئلت وقيل لى ماذا أصبتَ من الجواد المفضل
ان قلتُ أعطانى كذبتُ وان أقل ضنّ الأمير بمالِهِ لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فانني لابدّ أخبرهم وان لم أُسأل

﴿ وقال أمية بن أبى الصلت ﴾

أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك انّ شيمتك الحياء
اذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرُّضك الثناء

(وقال أبو العتاهية)

ولقد توسَّمتُ النجاحَ لحاجتى فاذا لها من راحتيك نسيمُ
ولربما استيأستُ ثم أقول لا انّ الذى ضمن النجاح كريم

(وقال المتنبى)

وفى النفس حاجات وفيك فطانة سكوتى بيان عندها وخطاب

﴿ وقال بشار بن برد ﴾

طال الثَّواء علىَّ تنظر حاجة شمطَت لديك فمن لها بخضابِ

تُعطى الغزيرةُ دَرَّها فاذا أبت كانت ملامتُها على الحلاَّب

وقال أبو نواس الحكمى

ولو كان يستغنى عن الشكر ماجدٌ لرفعة شأنٍ أو عُلوّ مكان
لما أمر اللهُ العبادَ بشكره فقال اشكرونى أيها الثقلان

وقال آخر

رهنت يدى بالعجز عن شكر برّهِ وما فوق شكرى للشكور مزيد

وقال أبو دهبل الجمحى

وكيف أنساك لا نُعماك واحدةٌ عندى ولا بالذى أُوليتَ من قِدَم

وقال آخر

ما زلتَ تحسنُ ثم تحسن عائداً وأعودُ شاكر نعمةٍ فتعيد
فتزيدنى نِعماً وأشكر جاهداً فكذاك أنت تزيدنى وأزيد

وقال السرى الرفاء

ألبستنى نعماً رأيت بها الدُّجى صُبحاً وكنت أُرى الصّباح بهيما
فغدوتُ يحسدُنى الصديقُ وقبلها قد كان يلقانى العدوُّ رحيما

وقال البحترى

أعطيتنى حتى حسبتُ جزيل ما أعطيتنيه وديعةً لم توهَبِ
فشبعت من برٍّ لديك ونائلٍ ورويت من أهلٍ لديك ومرحَبِ

وقال أبو تمام الطائى

فكم قد أثرنا من نوالك معدناً وكم قد بنينا فى ظلالك معقلا
ردَدْتَ المنى خُضْرًا تَثَنَّى غصونها علىَّ وأطلقتَ الرّجاء المُكبَّلا
لقدزدت أوضاحى امتداداً ولم أكنْ بهيماً ولا أرضى من الامر مَجهلا
ولكن أيادٍ صادفتنى جسامُها أغرّ فأوفتْ بى أغرّ محجّلا

(وقال على بن الرومى)

سأُثنى بنعماك التى لو جحدتها لأثنتْ بها منى شواهدُ لا تخفى

(وقال البحترى)

فلو أنّ أعضائى تحوّلنَ ألسُناً بشكر الذى أوليتَ لم توفِ حقّه

(وقال أيضا)

بالله أُقسم لو مُلِّكتُ ألسنةً تبثُّ شكرك من قرنى الى قدمى
لَمَا وفيتُ لِمَا أوليتَ من حَسَن ولا نهضتُ بما حمَّلتَ من نِعمِ
أبا علىٍّ لقد طوّقتنى مِننا طوقَ الحمامةِ لا يبلى على القِدَمِ
يازينة الدّين والدّنيا وما جمعت والأمرِ والنّهى والقرطاس والقلم
إنْ أنسأ الله فى عمرى فسوف ترى من خدمتى لك مايغنى عن الخَدمِ

(وقال أبو تمام الطائى)

لأشكرنّك إن لم أُوتَ من أجلى شكراً يوافيك عنّى آخر الأبد
وان تورّدت بى بحرَ البحور ندًى فلم أنلْ منهُ الا غرفة بيدى

(وقال البحترى)

فأحسنُ ماقال امرؤٌ فيك دعوةٌ تلاقت عليها نيّةٌ وقبولُ

وشكرٌ كأنّ الشمسَ تعنى بنشرهِ ... ففى كلّ أرضٍ مخبرٌ ورسـول
يبينان عَرف العُرف حتى كأنما ... يؤرق فى يوم الشمال شـمول
وكم لك نُعمى لو تصدّى لشكرها ... لسانٌ معـدّ لاعتراه نكول
اكلّف نفسى أن أقابل عفوها ... بجهدى وهل يجزى الكثيرَ قليل
فانْ أنا لم أصـدع بشكرك إنّنى ... وحاشاىَ من خلق البخيل بخيل

(وقال أيضا)

بى فضلهُ أن اغتدى غيرَ شاكر ... لأنعمه أو يغتدى غـيرَ منعمِ
وما استعبدَ الحرّ الكريم كنعمةٍ ... ينال بهـا عفواً ولم يتكلم
سائنى وان لم يبلغ القولُ مبلغاً ... فانّ لسان الحال ليس بأعجمِ
ولو أنشكراً مدّ صوتٍ لشاكرٍ ... لأسمعتُ مابين الحطيم وزمزمِ

(وقال أيضا)

أبلغ أبا الحسن الذى لبس النّدى ... للخاطبين فكان خـيرَ لباس
مهما نسيتَ فلستُ للحسن الذى ... أوليتَ من قِدَم الزمان بناس
ولئن اطلتُ البعد عنك فلم تزل ... نفسى اليـك كثيرة الأنفاس
وتفاضلُ الأخلاق ان حصلتها ... فى الناس حسب تفاضلِ الأجناس
ليس الذى يُعطيـك تالدَ مالِه ... مثل الذى يعطيك مال الناس

(وقال أيضا)

سأشكرُ لا أنى أجازيك نعمة ... بشكرى ولكن كى يقال له شكر
وأذكر أيامى لديك وحسـنَها ... وآخر مايبقى من الذاهب الذكرُ

(وقال أبو تمام الطائى)

الله يعلم أننى لك شاكرٌ والحرّ للفعل الجميل شكور

(وقال أبو الفتح البستى)

لئن عجزتْ عن شكر برّك قوّتى فأقوى الورى عن شكر برّك عاجزُ
فانّ ثنائى واعتقادى وطاعتى لأفلاك ما أوليتنيه مراكزُ

(الباب السابع فى الاستعطاف والمعاتبات والاعتذارات)

(قال النابغة الذبيانى [١])

يادارَ مَيّةَ بالعلياء فالسَّندِ أقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأبدِ [٢]
وقفت فيها أُصَيْلاَلاً أُسَائِلُها عيّتْ جوابا وما بالرّبْع من أحَدِ [٣]
إلا أوَارِىَّ لأْيًا ما أُبَيِّنُها والنُّؤْىَ كالحوْضِ بالمظلومة الجلَدِ [٤]
رُدّتْ عليهِ أقاصِيهِ ولبّده ضربُ الوليدة بالمِسْحَاةِ فى الثأدِ [٥]

---

(١) هو ابو امامة زياد بن عمرو بن معاوية الذبيانى الشاعر المشهور من اهل الحجاز من فحول شعراء الطبقة الاولى جمع له ديوان شعر وطبع باوربا ومصر وقد مات قبل الهجرة (٢) العلياء المكان العالي والسند محركة ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح واقوت الدار خلت من السكان والابد الزمان الماضى (٣) أصل أصيلا أصيلانا بالنون تصغير أصلان جمع أصيل وهو العشى أبدلت النون لاما وعيت أي حصرت وعجزت عن الجواب (٤) أوارى منصوب على أنه مستثنى منقطع وهو جمع آري بمعنى الآخية والآخية كآنية الوتد الذي فى رأسه حلقة يدق فى الحائط أو يدفن فى الارض لتربط فيه الدواب ولا ياما أي بعد جهدما أنظرها والنؤى الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل والمظلومة الارض التى حفر فيها حوض وليست بموضع حفر كأن حفر الحوض فيها مع أنها ليست بموضعه ظلم لها والجلد الارض الصلبة المستوية المتن (٥) ردت بالبناء للمجهول ولبده الصق بعضه ببعض والمسحاة هى آلة يجرف بها الطين والثاد الطين

خلّتْ سَبيل أتِيٍّ كان يَحْبِسُهُ ... وَرَفّعَتْه الى السّجفين فالنَّضَد (١)

أضحتْ خلاءً وأضحَى أهلُها احتملوا ... أخنَى عليها الذى أخنَى على لُبَد (٢)

فَعَدّ عمّا مَضَى اذ لا ارتجاعَ لَهُ ... وَانْم القُتُود على عيرَانةٍ أُجُد (٣)

مقذوفةٌ بدَخيسِ النّحضِ بازلُها ... لهصَريفٌ صَريفَ القَعوِ بالمَسَد (٤)

كأنّ رَحلى وقد زال النهارُ بنَا ... بذى الجليل على مستأنسٍ وحِدِ (٥)

من وحشِ وجْرةَ موشىٍّ أكارعُهُ ... طاوى المصير كسيف الصّيقل الفَرَد (٦)

سَرَت عليه من الجوزاء سارية ... تزجى الشّمال عليه جامدَ البَرَد (٧)

فارتاعَ من صوت كلّابٍ فبَاتَ لهُ ... طَوعَ الشّوامتِ من خوفٍ ومن صَرَد (٨)

---

(١) الاتى الجدول الذى تؤتيه الى ارضك والسيل الغريب ويحبسه الضمير فيه يعود الى التؤى والسجفين الستارتان اللتان يعلقان على الباب أو الشباك والمراد بهما هنا اللتان يعلقان على الباب والنضد متاع البيت المنظم (٢) احتملوا ذهبوا من دار الى أخري وأخنى عليها أهلكها يقال ان لقمان بن عاد عاش بمقدار عمر سبعة نسور كلما هلك نسر خلفه نسر آخر وكان آخرها لبد على وزن صرد (٣) القتود جمع قتد بحركة وهو أداة الرحل وعيرانة الناقة الناجية فى نشاط أجد بضمتين الناقة القوية الموثقة الخلق المتصلة فقار الظهر (٤) دخيس النحض أى اللحم الكثير المكتنز والبازل من النوق ما أتى عليه تسع سنين والصريف صرير ناب البعير والناقة والقعو البكرة والمسد الحبل المحكم الفتل (٥) الجليل اسم موضع والمستأنس الوحشى أحسن انساً والمراد به هنا الثور الوحشى والوحد بفتح الحاء وكسرها المنفرد (٦) وجرة موضع كثير الوحوش وموشى اسم مفعول من وشى الثوب نمنمه ونقشه وحسنه وا كارعه جمع كراع كغراب وهو من البقر والغنم مستدق الساق كالوظيف للفرس والمصيراي مضمر الحشا والصيقل شحاذ الصيوف وجلاؤها والفرد المتفرد (٧) الجوزاء برج فى السماء والسارية السحاب يسرى ليلا وزجاه وأزجاه دفعه والشمال أي ريح الشمال (٨) الكلاب صاحب الكلاب والمراد به هنا الصياد . فبات أي الثور له أي من أجل الصوت والشوامت القوائم أى طائماً لقوائمه التى باتت منتصبة من الخوف والصرد البرد

فبهن عليه واستمرّ به ... صُمْعُ الكعوب بريئات من الحَرَد (١)
فهاب ضُمران منه حيث يوزعه ... طعنَ المعارك عند المُحجر النجد (٢)
شكّ الفريصة بالمدرى فأنفذها ... شكّ المبيطر اذ يشفى من العضد (٣)
كأنه خارج من جنب صفحته ... سَفُّودُ شرب نسوه عند مُفتاد (٤)
فظلّ يعجم أعلى الروق منقبضاً ... فى حالك اللون صدق غير ذى أود (٥)
لما رأى واشقٌ إقعاص صاحبه ... ولا سبيل الى عقل ولا قود (٦)
قالت له النفس إنى لا أرى طمعاً ... وإن مولاك لم يسلم ولم يصد
فتلك تبلغنى النعمانَ إن له ... فضلا على الناس فى الأدنى وفى البعد (٧)
ولا أرى فاعلا فى الناس يشبهه ... وما أحاشى من الأقوام من أحد
الاّ سليمان إذ قال الإله له ... قم فى البرية فاحدُدها عن الفند (٨)

(١) فبهن أى فارسل الكلاب الكلاب على الثور واستمر فعل والفاعل صمع وصمع الكعوب صمع جمع صمعاء وهى الدقيقة والكعوب المفاصل والمعنى واستمرت به القوائم الدقيقة المفاصل والحرد يعنى من العيب وأصل الحرد استرخاء العصب فى يدي البعير من شدة العقال وربما كان طبيعياً (٢) ضمران أي الكلب ويوزعه من الايزاع بمعني القسمة والتفريق والمعارك اسم فاعل بمعنى المقاتل المجحر اسم مكان من أجحره بتقديم الجيم على الحاء بمعني ألجأه والنجد المرتفع من الارض (٣) الفريصة ودج العنق ولحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد والمدرى القرن والمبيطر كالبيطار وهو معالج الدواب والعضدداء في أعضاد الابل (٤) السفود كتنور حديدة يشوى بها والشرب بفتح الشين القوم يشربون ومفتأد أي عند الافتئاد يقال افتأد اللحم فى النار شواها (٥) عجمه عجماوعجوما عضه والروق القرن والحالك الشديد السواد والصدق بفتح الصاد الصلب المستوي وأود عوج (٦) الواشق اسم الكلب واقعاص صاحبه أي موت صاحبه موتا وحيا والعقل الدية والقود محركة القصاص (٧) البعد بالتحريك البعيد وفى رواية فى الادنين والبعد بضمتين جمع بعيد (٨) الفند بالتحريك الخرف والخطأ فى القول والرأي والكذب وكفر النعمة

وخيّس الجنّ إنى قد أذنتُ لهم ... يبنون تدمُرَ بالصفّاحِ والعَمَدِ (١)
فمَن أطاع فأعقبْه بطاعتِهِ ... كما أطاعك وأدلُله على الرّشَدِ
ومَن عصاك فعاقبْه مُعاقبةً ... تنهَى الظلُومَ ولا تقعُد على ضمَدِ (٢)
الاّ لمثلك أو من أنت سابقُهُ ... سَبْقَ الجوادِ اذا استولى على الأمَدِ (٣)
واحكُم كحُكْمِ فتاة الحى اذ نظرت ... الى حَمامٍ سِراعٍ وارِدى الثّمَدِ (٤)
قالت ألاَ ليتما هذا الحمامُ لنا ... الى حَمامَتنا أو نصفُه فقَدِ
يحفّه جانبا نِيقٍ وتُتبعُهُ ... مثلَ الزّجاجةِ لم تكحَل من الرَّمَدِ (٥)
فحَسبُوه فألفَوهُ كما حَسبَت ... تِسْعاً وتسعين لم تنقصْ ولم تزِدِ
فكملتْ مائةً فيها حمامَتُها ... وأسْرَعتْ حسبةً فى ذلك العَدَدِ
أعطى لقارِهةٍ ظُلْوٍ توابِعها ... من المواهب لا تعطَى على حَسَدِ (٦)
الواهبُ المائةِ الأبكارِ زيّنَها ... سَعْدَان توضِحَ فى أوبارِها اللّبَدِ (٧)
والسّاحِباتُ ذيولَ الرّيْطِ فَنّقَها ... بَرْدُ الهواجِرِ كالغِزْلانِ بالجُرُدِ (٨)
والخيلُ تمزَعُ مَزْعاً فى أعِنّتِها ... كالطّيرِ ينجو من الشؤبوبِ ذى البَرَدِ (٩)
والأدمُ قد خَيّسَتْ فُتْلاً مَرافقُها ... مشدودةً برِحالِ الحيْرةِ الجُدُدِ (١٠)

(١) خيسه تخييساً ذلله والصفاح كرمان حجارة عراض رقاق (٢) الضمد بالتحريك الحقد (٣) الامد الغاية والمنتهي (٤) الثمد بالتحريك الماء القليل (٥) النيق بالكسر أرفع موضع فى الجبل (٦) الفارهة القوية (٧) سعدان نبت تسمن عليه الابل وتغزر ألبانها ويطيب لحمها وتوضح كشيب أبيض بين كشبان حمر بالدهناء قرب اليمامة وقيل موضع آخر واللبد المتلبدة (٨) الريط الثياب اللينة الرقيقة التى كلها نسج واحد وفنقها نعمها والهواجر جمع هاجرة وهى نصف النهار وفيها يشتد الحر والجرد محركة فضاء لا نبات فيه (٩) مزع الفرس اسرع فى عدوه والشؤبوب الدفعة من المطر (١٠) والادم يقال بعير آدم وابل آدم وهى ذوات اللون الابيض وخيست ذللت

فلا لعمر الذى قد زرته حججاً ... وماهُريق على الأنصاب من جسد (١)
والمؤمن العائذات الطير يمسحها ... ركبان مكة بين الغيل والسند (٢)
ما إن أتيتُ بشئ أنت تكرهُهُ ... اذاً فلا رفعت سوطى الىَّ يَدى
اذاً فعاقبنى ربّى معاقبة ... قرّت بها عين مَن يأتيك بالحسد
هـذا لأبرأ من قول قُذِفتُ به ... طارت نوافذهُ حرًّا على كبدى
مهلا فداءٌ لك الأقوامُ كلّهُمُ ... وما أُثمِّر من مالٍ ومن ولد
لاتقذفنّى برُكن لا كِفاء له ... ولو تأثفكَ الأعداء بالرّفد (٣)
فما الفُرَاتُ اذا جاشت غواربُهُ ... ترمى أواذيُّهُ العِبْرين بالزَّبَد (٤)
يَمدهُ كلّ وادٍ مُزْبِدٍ لَجِبٍ ... فيه حُطَامٌ من اليَنبُوتِ والخضَد (٥)
يظلّ من خوفه الملاّح مُعتصِماً ... بالخيزُرانة بَعدَ الأين والنَّجد (٦)
يوماً بأجودَ منه سيبَ نافلة ... ولا يحُول عَطاءُ اليوم دون غَد (٧)
أُنبئتُ أنّ أبا قابوسَ أوعدنى ... ولا قَرار على زأرٍ من الأسد (٨)

(١) الانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيها عليها ويذبح لغير الله تعالى (٢) العائذات أي الامكنة الحاميات والغيل ماء كان يجرى في أصل أبى قبيس يغسل عليه القصارون وكل واد فيه عيون تسيل (٣) تأثفه تكنفه ولزمه وألح عليه ولم يبرح يغريه والرفد جمع رفدة الصلة والاعانة والمعنى انهم يسعون بي عندك ويتعاونون على رفد بعضهم بعضا (٤) جاشت أى هاجت وزخرت وغوارب الماء اعالي موجه وأواذي جمع آذي وهو الموج وعبر الوادى بكسر العين وفتحها شاطئه (٥) لجب أي مضطرب الامواج وحطام ما تكسر من اليبيس والينبوت شجر الخشخاش أو الخروب والخضد كالخضاد كل ماقطع من عود رطب أوتكسر من شجر (٦) الخيزرانة هنا السكان وهو بمنزلة اللجام للسفينة فى مؤخرها وبه يستمك الملاح والاين الاعياء والنجد العرق والجهد (٧) سيب العطاء والنافلة العطية (٨) الزأر والزئير صوت الاسد

هـذا الثناء فان تسمع لقائله ... فما عَرَضتُ أبيتَ اللعنَ بالصَّفَدِ (١)
هَا إنَّ تا عِذرةٌ ان لم تكن نفعَت ... فانَّ صاحِبَها قد تاهَ فى البلد (٢)

﴿ وقال أبو حفص الشهرزورى ﴾

يَستوجب العفوَ الفتى اذا اعترفْ ... بما جَناه وانتهى عمّا اقترف
لقوله (قل للذين كفروا ... إن ينتهوا يُغفرْ لهم ماقد سلف

﴿ وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى ﴾

﴿ الى الشيخ جمال الدين بن نباتة ﴾

أفى كلّ يومٍ منك عَتْبٌ يسوءنى ... كَجُلْمُودِ صخرٍ حطَّهُ السَّيْلُ من عل
وترمى على طُول المدى مُتجنياً ... بسَهميْك فى أعشار قلبٍ مُقتَّلِ
فامسى بليل طال جنحُ ظلامه ... علىَّ بأنواع الهموم لِيَبتلى
وأغدو كأنّ القلبَ من وقدةِ الجوَى ... إذا جاشَ فيه حَميُهُ غَلْيُ مِرْجَل
تطيرُ شَظاياهُ بصَدْرى كأنها ... بأرجائه القُصْوَى أنابيشُ عُنْصُل
وسالت دموعى من همومى ولَوعتى ... على النَّحْرِ حتى بلَّ دَمعى مَحْملى
إذا عاين الإخوانُ مابى من الأسَى ... يقولون لاتَهلِك أسًى وتَجَمَّل
ترَفَّق ولا تَجزَع على فائت الوفا ... فما عند رَسْمٍ دارِسٍ من مُعوَّل
ولى فيك وُدٌّ طال ماقد شَدَدْتُهُ ... بأمراسِ كتانٍ الى صُمِّ جَنْدَل
ولى خَطَراتٌ فيك منها جوانحى ... صَبِحْنَ سُلافاً من رحيقٍ مُفلفَل
كأنّ أمانِيها كُؤوسُ مُدامةٍ ... غذاها نَميرَ الماءِ غيرَ مُحلَّل

(١) الصفد محركة العطاء (٢) عذرة أى عذر وقد تاه فى البلد أي تحير ولم يهتد لوجه يخرجه من غضبك

سلوتُ غوايات الشبيبة والصبا وليس فؤادى عن هواها بمُنسلّ
وأجلو محيّاً الودّ فيك لأهلِه متى ماترقّ العينُ فيه تسهّل
فكُرّ على جيش الجناية عائداً بمُنجرد قيد الأوابد هيكل
تجد خفرات الانس فيه كواعباً ترائبُها مصقولةٌ كالسجنجل
وخلّ الجفا وارجع الى معهد الوفا وإن كنت قد أزمعتَ صرمى فأجمل
حلا وُدكَ الماضى وان لم تعُد أعُد لدى سمُرات الحى ناقفَ حنظل

﴿ وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة مجيبا له ﴾

فطمتَ ولائى ثمّ أقبلتَ عاتباً أفاطمَ مهلاً بعضَ هذا التدلّل
بروحى ألفاظ تعرض عتبها تعرُّضَ أثناء الوشاح المفصّل
فأحيينَ وُدّاً كان كالرسم عافيا بسقطِ اللوى بين الدخول فحومل
تعفّى رياحُ العُذر منك رُقومهُ لما نسجتها من جنوب وشمال
نعم قوّضت منك المودّةُ وانفضت فياعجباً من رحلها المتحمل
أمولاىَ لاتسلك من الظُلم والجفا بنا بطنَ خبتٍ ذى قفافٍ عقنقل
ولا تنسَ منّى صحبةً تصدعُ الدجى بصبحٍ وما الإصباحُ منها بأمثل
صحبتُك لاألوى على صاحبٍ عطا بجيد معمٍّ فى العشيرة مُخوّل
وحاولتُ من إدناء وُدّك ماناًى فأنزلتُ منهُ العُصمَ من كلّ منزل
يُقلّبُ لى وجدى به سوطَ سائقٍ وإرخاء سرحانٍ وتقريبَ تتفُل
وكم خدمة عجّلتها ومحبةٍ تمتّعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعجل
وكم أسطُر منّى ومنكَ كأنّها عذارَى دوارٍ فى مُلاءٍ مذيل
وكم ناصح كذّبتُ دعواه إذ غدت علىّ وآلت حلفةً لم تحلّل

الى أن تبدّى عذره متمطياً ... وأردف أعجازاً وناء بكلكل
فلاطفته فى حالتيه ولم أقل ... فسلّى ثيابى من ثيابك تنسل
وضنّ بأسطار كأنّ يراعها ... أسارِيعُ ظبيٍ أومساويكُ إسحِل
ويقرع سمعى من معاريض لفظه ... مداكُ عروس أو صلايةُ حنظل
وعدنا لودٍّ يملأ القلب عوده ... بشحم كهُدّاب الدِّمقس المفتّل
أعدت صلاح الدين عهد مودّة ... بكلّ مُغار الفتل شُدّت بيذبل
فدونكَ عتبى اللفظُ ليس بفاحش ... إذا هى نصّته ولا بمُعطّل
وعاداتُ حُبٍّ هُنّ أشهر فيك من ... قفانبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل

وقال سعيد بن حميد

أقلل عتابك فالبقاء قليلُ ... والدّهر يعدلُ مرّةً ويميلُ
لم أبك من زمن ذممت صروفه ... الاّ بكيتُ عليه حين يزول
ولكلّ نائبةٍ ألمّت فرجةٌ ... ولكل حال أقبلت تحويل
والمُنتَمون الى الصفاء جماعةٌ ... إن حصّلوا أفناهُمُ التحصيل
وأجلُ أسباب المنيّة والرّدى ... يومٌ سيُقطعُ بيننا ويحُول
فلئن سبقت لتفجعنّ بصاحب ... حبل الصفاء بحبله موصول
لعلّ أيامَ البقاء قليلةٌ ... فعلامَ يكثر عتبنا ويطول

ولبشار بن برد

إذا كنت فى كلّ الأمور مُعاتباً ... صديقك لم تلقَ الذى لا تُعاتبه
فعش واحدا أوصل أخاك فانّه ... مفارق ذنب مرّةً ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

﴿ وقال بهاء الدين زهير معتذرا لتأخيره عنه لقاء بعض أصحابه ﴾

على الطائر الميمون يا خير قادم ... وأهلا وسهلا بالعلا والمكارم
قدمت بحمد الله أكرم مقدم ... مدى الدهر يبقى ذكره فى المواسم
قدمت وما بك الدنيا أضاءت وأشرقت ... ببشر وجوه أو بضوء مباسم
فياحسن ركب جئت فيه مسلما ... وياطيب ما أهدته أيدى الرواسم
أمولاى سامحنى فانك أهله ... وإن لم تسامحنى فما أنت ظالمى
ووالله ما حالت عهود مودتى ... وتلك يمين لست فيها بآثم
مقيم وقلبى فى رحالك سائر ... لعلك ترضاه لبعض المواسم
ولو كنت عنه سائلا لوجدته ... على بابك الميمون أول قادم
وإلا فسل عنه ركابك فى الدجى ... لقد برئت من لثمه للمياسم

﴿ وقال محمد بن زريق البغدادى ﴾

﴿ وكان قصد الأندلس فى طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه ﴾

لا تعذليه فان العذل يولعه ... قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
جاوزت فى لومه حدا أضر به ... من حيث قدرت أن اللوم ينفعه
فاستعملى الرفق فى تأنيبه بدلا ... من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالخطب يحمله ... فضيقت بخطوب البين اضلعه
يكفيه من لوعة التفنيد أن له ... من النوى كل يوم ما يروعه

ما آبَ من سفرٍ الا وأزعجَه رأىٌ الى سفرٍ بالعزم يجمعُه
كأنما هو من حلٍّ ومرتحل مُوكَّلٌ بفضاء الارض يذرعه
اذا الزمانُ أراه فى الرحيل غِنًى ولو الى السِند أضحى وهو يزمعُه
تأبَى المطامع الا أن تُجشّمَه للرزق كدًّا وكم ممن يودّعه
وما مجاهدة الانسان توصلُه رزقاً ولا دعَة الانسان تقطعُه
واللهُ قسّم بينَ الخلق رزقَهمُ لم يخلق اللهُ مخلوقا يُضيّعه
لكنهم مُلئوا حرصاً فلستَ ترى مُستَرزقا وسوى الغايات يقنعُه
والسعْىُ فى الرزق والارزاق قد قُسمت بغْىٌ ألا إنّ بغْىَ المرء يصرَعه
والدهر يُعطى الفتَى ما ليس يطلبُه يوما ويمنعُه من حيث يُطمعُه
أستودع الله فى بغداد لى قمرا بالكَرْخ من فلكِ الأزرار مطلعُه
وَدّعتُه وبودّى لو يُودّعنى صفْوَ الحياة وأنى لا أودّعه
وكم تشفّع أنى لا أفارقه وللضرورات حالٌ لا تُشفّعه
وكم تشبّث بى يومَ الرحيل ضحًى وأدمعى مُستهلاّت وأدمعُه
لاأكذبُ اللهَ ثوبُ العُذر منخرق عنى بفُرقته لكن أرقّعُه
أنى أوسع عُذرى فى جنايته بالبَين عنه وقلبى لا يُوسعُه
أُعطيتُ مُلكا فلم أُحسِنْ سياستَه كذاك من لا يسُوس الملكَ يخلعُه
ومَن غدا لابساً ثوب النعيم بلا شُكْرِ الاله فعنه اللهُ ينزعُه
اعتضتُ عن وجه خِلّى بعد فرقته كأسا أُجرّعُ منها ما أُجرّعُه
كم قائل لِىَ ذنبُ البَين قلت له الذنب والله ذنبى لستُ أدفعه
هلاّ أفقتُ فكان الرُّشْد أجمعه لو أننى يومَ بانَ الرشدُ أتبعُه

انى لأقطع أيامى وأنفدها ... بحسرة منه فى قلبى تقطعه
بمن اذا هجع النوّام بتّ له ... بلوعة منه ليلى لستُ أهجعه
لا يطمئنّ لجنبى مضجعٌ وكذا ... لا يطمئن له مُذ بنتُ مضجعه
ما كنتُ أحسب أنّ الدهر يفجعنى ... به ولا أنّ بى الايامُ تفجعه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيدٍ ... عسراء تمنعنى حظّى وتمنعه
بالله يامنزل القصف الذى درست ... آثاره وعفت مذ غبتُ أربعه
هل الزمانُ معيدٌ فيك لذّتنا ... أم الليالى التى أمضته ترجعه
فى ذمّة الله من أصبحتَ منزله ... وجادَ غيثٌ على مَغداكَ يمرعه
من عنده لِىَ عهدٌ لا يضيّعه ... كما له عهدُ صدقٍ لا أضيعه
ومَن يُصدّع قلبى ذكرُه واذا ... جرى على قلبه ذكرى يصدّعه
لأصبرنّ لدهرٍ لا يمتّعنى ... به ولا بىَ فى حالٍ يمتعه
علما بأنّ اصطبارى مُعقب فرجا ... وأضيقُ الامرإن فكّرتَ أوسعه
علّ الليالى التى أضنت بفرقتنا ... جسمى ستجمعنى يوما وتجمعه
وان تسل أحداً منا منيّته ... فما الذى بقضاء الله يصنعه

الباب الثامن فى التهانى والتهادى والاغراء

(قال أبو الطيب المتنبى)

المجد عُوفىَ اذ عُوفيت والكرمُ ... وزال عنك الى أعدائك الألمُ
وما أخصّك فى بُرء بتهنئةٍ ... اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وله أيضا

هنيئاً لك العيد الذى أنت عيده وعيدٌ لمن سمَّى وضحَّى وعيَّدا
هو الجَدّ حتى تفضل العين أختها وحتى يكون اليوم لليوم سيّدا

﴿ وقال أبو القاسم غانم بن أبى العلاء الاصفهانى ﴾

وردَ الكتابُ بما أقرّ الأعينا وشفى النُّفوس فنلنا غايات المنى
وتقاسم الناسُ المسرَّةَ بينهم قسما فكان أجلّهم قسماً أنا

﴿ وقال على بن الرومى ﴾

بدرٌ وشمس ولدا كوكبا أقسمت بالله لقد أنجبا
ثلاثةٌ تشرُق أنوارها لابدّلت من مشرق مغربا

﴿ وقال آخر ﴾

لو كنت أُهدى على قدرى وقدركُمُ لكنت أُهدى لك الدنيا وما فيها

﴿ وقال أحمد بن يوسف الكاتب ﴾

على العبد حقٌّ وهو لا شكّ فاعله وان عظُم المولى وجلّت فضائله
ألم ترنا نهدى الى الله ماله وان كان عنه ذا غنى فهو قابله

﴿ وقال أبو اسحاق الصابئ ﴾

قدِم الرئيس مقدماً فى سبقه فكأنما الدنيا سعَت فى طرقهِ
فجبالها من حلمه وبحارها من جوده ورياضها من خُلقه
قد قاسمته نجومها فنحوسها لعدُوّه وسعودها فى أُفقه

﴿ وقال آخر ﴾

لا زلت فى صحة من الزمن لا يربع السقم منك فى البدن
وجال نفع الدواء فيك كما يجول ماء الربيع فى الغصن

﴿ وقال حميد بن سعيد ﴾

هديتى تقصر عن همتى وهمتى تعلو على مالى
فخالص الود ومحض الثنا أحسن ما يهديه أمثالى

﴿ وقال على بن الرومى ﴾

أى شىء أهدى اليك وفى وجهك من كل ما تهودى معنى
منك يا جنة النعيم الهدايا أفأهدى اليك مامنك يجنى

﴿ وقال أبو اسحاق الصابئ ﴾

أهدى اليك بنو الآمال واختلفوا فى مهرجان عظيم أنت معليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى سموّ قدرك عن شىء يساميه
لم يرض بالأرض مهداة اليك فقد أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

﴿ وقال أيضا ﴾

يا ماجداً يده بالجود مفطرة وفوه عن كل هجر صائم أبدا
اسعد بصومك اذ قضيت واجبه نسكاً ووفيته من حقه العددا
واسحب من العيد أذيالاً له جددا واستقبل العيش فى افطاره رغدا
وانعم بيومك من ماض قررت به عيناً ومنتظر يفضى اليك غدا
وفز بعمرك ممدوداً وملكك مو طوداً ونل منهما الحد الذى بعدا

﴿ وقال القاضى ﴾

هنأتنا بك الليالى وسرّت فيك أعيادُ دهرنا والشهورُ
ومِنَ العجز أن يهنّى بيومٍ مَن بأيّامه تحلى الدُّهور
مالشمس الضحى اختصاص بوقتٍ فيه تعلو على الورى وتُنير

﴿ وقال القاضى التنوخى الصغير ﴾

نلتَ فى ذا الصيام ما ترتجيهِ ووقاك الإلهُ ما تتقيهِ
أنت فى الناس مثل شهرك فى الأشهر أو مثل ليلة القدر فيه

﴿ وقال آخر ﴾

نفسى فداؤك قد بعثتُ بعهدتى بيد الرَّسولِ
أهديت نفسى انما يُهدى الجليل الى الجليل
وجعلت ما ملكتْ يدى صلة المبشّر بالقبول

(وقال حميد بن سعيد)

قد بعثنا اليك أكرمك اللهُ ببرٍّ فكن له ذا قبولِ
لا تقِسْه الى ندى كفّك الجز ل ولا نيلك الكثير الجليل
واغتفِر قلّة الهديّة منه إن جهد المُقِلّ غير قليل

(وقال على بن الرومى)

قَدِمَ الفطرُ صاحباً مَودودا ومضى الصومُ صاحباً محمودا
ذهب الصومُ وهو يحكيك نُسكا وأتى الفطر وهو يحكيك جودا

(وقال أيضا)

زُفَّت الى بدر الدُّجى الشمسُ ولاح سعدٌ وخبا نحسُ

وأقبلت نفسٌ الى مُنيةٍ بمثلها تغتبط النفسُ

(وقال أبو اسحاق الصابئ)

أسيّدَنا هنّئتَ نُعماك بالفطرِ ووُقّيتَ ماتخشاهُ من نُوبِ الدهر
مضى الصومُ قد وفّيتَه حقّ نسكه ووفاك مكتوب المَثوبة والأجر
كلفت بذكر الله فيه فلا تزل مِن الله فيما ترتجيه على ذِكْر
هجرتَ هجود الليل فيه تهجّداً وصبراً على طول القراءة للفجر
فلو نطقت أيامه باعتقادها لنادتك لفظاً بالدعاء وبالشّكر
فعاد اليك الفِطرُ حتى تملّه بأقصر يوم طاب فى أطولِ العُمر

(وقال أيضا)

ياسيداً أضحى الزما نُ بأسره منه ربيعا
أيام دهرك لم تزل للناس أعياداً جميعا
حتى لأوشك بيننا عيدُ الحقيقة أن يضيعا
فاسلم لنا ما أشرقتْ شمسٌ على أفق طلوعا
واسعد بعيدٍ لا يزا لُ اليك معتقداً رجوعا

﴿ وقال أيضا ﴾

صلّ ياذا العلا لربّك وانحرْ كلّ ضدّ وشانئٍ لك أبتَرْ
أنتَ أعلى من أن تكون أضاحيـ ـك قروماً من الجمال تعقر
بل قروماً من الملوك ذوى السُّؤْ دد تيجانها أمامك تُنثر
كلما خرّ ساجداً لك رأس منهمُ قال سيفك الله أكبر

(وقال الحسين بن الحجاج)

ياسيدى كيف أصبحـ ـت بعد شرب الدواء
خرجت منه تُضاهى فى الحسن بدر السماء
فى ثوب صحة جسمٍ مطـرّز بالشـفاء

وقال على بن الرومى

عظّم الله يوم أجرك فطرا يا ابن أعلى الملوك قدراً وذكرا
وأهلَّ الشهورَ بالسعد ماعشـ ـتَ وأبقاك آخر الدهر عصرا
أحمـد الله إذ أرانىَ عيـداً لا أرى فيـه فوق أمرك أمرا
طاب فيه نسيم عطرك حتى لحسبنا عَجاج خيلك عطرا
وتجلّيت ملء عينٍ وصـدر وقديماً ملأت عيناً وصـدرا
طُلت مجداً وطلت فخراً بنى آ دم طرًّا وطُل كذلك عمـرا

وقال أبو اسحاق الصابئ

عُرس تعرّس[1] عنده الأقيالُ وتنال من حسناته الآمال
بدرٌ اليـه تزف وسط نهاره شمسٌ عليها بهجة وجمالُ
سعْدَان ضمّهما نعيمٌ دائمٌ قد مُدَّ فيـه على الأنام ظلالُ
واذا تقاربت السـعود فعندها يُرجَى الصلاح وتُحمَدُ الأحوال
داما بعيشٍ طيبٍ وبنعـمةٍ يُوفى على ماضيهما استقبال

وقال ابن نباتة السعدى

(١) أي تنزل . والاقيال جمع قيل الملوك سموا بذلك لانهم يقولون ماشاءوا فينفذ

يا أيها الملك الذى أخلاقه من خلقه ورُواؤه من رائه
قد جاءنا الطِّرف[1] الذى أهديته هاديه يعقد أرضه بسمائه

﴿ وقال الصاحب بن عباد ﴾

هذى المكارم والعلياء تفتخرُ بيومِ مأثرة ساعاتهُ غررُ
يومٌ تبسم عنه الدّهر واجتمعت له السّعود وأغضت دونه الغِير
حتى كأنّا نرى فى كلّ مُلتفتٍ روضاً تفتّحَ فى أثنائه الزّهر
لما تجلّى عن الآمال مُشرقةً قالَ العُلى بك أستعلى وأقتدر
وافى على غير ميعادٍ يُبشّرنا بأن ستتبعهُ أمثالهُ الأُخر
أهنا المسراتِ ماجاءت مفاجأةً وما تناجت بها الألفاظُ والفكرُ
لو أنّ بشرى تلقّتها بموردها لأقبلت نحوها الأرواح تبتدر
وما تعنّف من يَسخو بمهجته فإنّ يومك هذا وحده عُمُر
فما غدوت وما للعين منقلبٌ الا الى منظر يهوى ويختبر
ثنت مهابتكَ الأبصار حاسرة حتى تبيّن فى ألحاظها خزَر[2]
اذا تأمّلتهم غضّوا وان نظروا خِلال ذاك فأدنى لفتةٍ نظروا
فى ملبس ما رأته عين معترض فشكّ فى أنّه أخلاقك الزُّهر
ألبسته منك نوراً يستضاء به كما أضاء ضواحى مُزنه القمر[3]
وقد تقلدت عضباً أنت مضربه وعنك يأخذ ما يأتى وما يذر

(١) الطرف بكسر الطاء الكريم من الخيل . وهاديه أى عنقه (٢) الخزر ضيق العين وصغرها (٣) المزن السحاب أو أبيضه ويقال للهلال ابن مزنة وهى القطعة من المزن لخروجه منها

مازال يزداد من اشراق غرته ... زهراً ويشرق فيه التيه والأشر (١)
والشمس تحسد طرفاً أنت راكبه ... حتى تكاد من الأفلاك تنحدر
حتى لقد خلت أن الشمس أزعجها ... شوقاً وظلت على عطفيه تنتثر

﴿ وقال آخر ﴾

ليهن الصاحب المسعود عيد ... تولته السعادة والقبول
له من مجده غرر توالى (٢) ... عليها من مدائحه حجول
فلا زالت له الأعياد تترى ... يتابعها له العمر الطويل
وما برحت له الأفلاك تجرى ... على شمس وما لهما أفول
معاليه المنيفة فى ذراها (٣) ... وفى الافطار نائله جزيل

﴿ وللصاحب بن عباد ﴾

اسعد لعيد المهرجان (٤) ... لازلت فى أعلى مكان
تفنى الزمان بطوله ... وتعيد من مجد الزمان
متمكناً مما تريد مبلغاً أقصى الأمانى

﴿ ولابى الحسن البربرى ﴾

دار على العز والتأييد مبناها ... وللمكارم والعلياء مغناها
فاليمن أقبل مقروناً بيمناها ... واليسر أصبح موصولاً بيسراها

(١) الاشر بفتح الشين المرح والاختيال (٢) بحذف احدي لتائين الى تتوالي والغرر ج غرة وهي بياض فى جبهة الفرس قدر الدرهم وهى هنا على التشبيه وكذلك الحجول وهى بياض فى قوائم الفرس (٣) الذراج ذروة بكسر الذال وضمها وهى من كل شئ اعلاه (٤) المهرجان بكسر الميم عيد عند الفرس لنزول الشمس أول الميزان

لما بنى الناس فى دنياك دُورهُم بنيت فى دارك الغرّاء دنياها
فلو رضيت مكان البُسط أعيننا لم تبق عينٌ لنا الاّ فرشناها

﴿ ولابى بكر الخوارزمى ﴾

بنيت الدار عالية كمثل بنائك الشّرفا
فلازالت رؤوس عدا لك فى حيطانها شُرَفا(١)

﴿ ولابى سعيد محمد الرستمى ﴾

وأغنى الورى عن منزل من بنت له معاليه فوق الشِّعريين منازلا
فلاغروأن يستحدث الليث بالشرى(٢) عرينا وان يستطرق البحر ساحلا
ووالله لا أرضى لك الدّهر خادما ولا البدر متابلا ولا البحر نائلا
ولا الفلك الدوّار دارا ولا الورى عبيداً ولا زُهر النجوم قبائلا
وانّ الّذى يبنيه مثلك خالد وسائر ما يبنى الأنام الى بِلا

﴿ وقال أبو أُذينة يغرى الاسود بن المنذر بقتل آل غسان ﴾

(وكانوا قتلوا أخاً له)

ما كلّ يوم يَنَالُ المرء ما طلبا ولا يُسَوّغُهُ المِقدارُ ما وهبا
وأحزَمُ الناس مَن إن فُرصة عرضت لم يجعل السببَ الموصول مُنْقَضبا
وأنصفُ الناس فى كلّ المواطن مَنْ سقَى المُعادين بالكاس الّذى شَربا
وليس يَظلمُهُم مَن راح يضربهم بحدّ سيفٍ بهِ مَن قبلهم ضربا

(١) ج شرفة وهى من القصر ماأشرف من بنائه وارتفع (٢) الشرى بفتح الشين مأسدة يضرب بها المثل . والعرين ماوى الاسد

والعفو إلاَّ عن الأكفاء مكرمةً ... مَن قال غير الذى قد قلته كذبا
قتلتَ عمراً وتستبقى يزيدَ لقد ... رأيتَ رأياً يجرُّ الويلَ والحربا
لا تقطعَنْ ذنَبَ الأفعى وترسلها ... إن كنتَ شهماً فأتبع رأسها الذنَبا
هم جرَّدوا السيف فاجعلهم له جزُراً ... وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
إن تعفُ عنهم يقول الناس كلُّهم ... لم يعفُ حلماً ولكن عفوُهُ رهَبا
هُمُ أهلةُ غسَّانٍ ومجدهمُ ... عالٍ فإن حاولوا مُلْكاً فلا عجبا
وعرَّضوا بفداء واصفين لنا ... خيلاً وإبلاً تروقُ العُجمَ والعرَبا
أيحلبُون دماً منَّا ونحلبُهم ... رِسلاً لقد شرُفونا فى الورى حلَبا

(وقال صفى الدين الحلى يحرض السلطان الملك الصالح)

(على الاحتراز من المغول ومنافرتهم عند اقبالهم ويهنيه بعيد النحر)

لا يمتطى المجد مَن لم يركبِ الخطرا ... ولا ينال العلَى مَن قدَّم الحذَرا
ومَن أراد العلى عفواً بلا تعبٍ ... قضى ولم يقضِ من إدراكها وطرا
لا بُدَّ للشهدِ من نحلٍ يُمنِّعُهُ ... لا يجتنى النفعَ مَن لم يحملِ الضررا
لا يُبلغ السؤلَ إلاَّ بعد مؤلمةٍ ... ولا يتمُّ المنى إلاَّ لمن صبرا
وأحزم الناس مَن لومات من ظمإٍ ... لا يقربُ الوردَ حتى يعرفَ الصدَرا
وأغزرُ الناسِ عقلاً مَن اذا نظرت ... عيناه أمرا غدا بالغيرِ معتبِرا
فقد يقال عِثارُ الرِّجل ان عثرت ... ولا يقال عِثار الرَّأى ان عثَرا
من دبَّر العيش بالآراء دام له ... صفواً وجاء اليه الخطبُ مُعتذِرا
يهونُ بالرَّأى ما يجرى القضاء به ... مَن أخطأ الرَّأى لا يستذنبُ القدرا

مَن فاتَه العزُّ بالأقلام أدركه ... بالبيض يقدح من أطرافها الشررا
بكلِّ أبيضَ قد أجرى الفرندَ به ... ماء الرَّدَى فلو استقطرتَهُ قطرا
خاض العجاجة عُرياناً فما انقشعت ... حتى أتى بدَم الأبطال مؤتزرا
لا يحسُنُ الحلمُ إلاَّ فى مواطنه ... ولا يليق الوفا إلا لمن شكرا
ولا ينال العلى إلاَّ فتى شرُفت ... خِلالُهُ فأطاع الدهرُ ما أمرا
كالصالح الملكِ المرهوبِ سطوته ... فلو توعّد قلب الدهر لانفطرا
لمّا رأى الشرَّ قد أبدى نواجذه ... والغدرَ عن نابه للحرب قد كشرا
رأى القسىَّ إناثاً عن حقيقتها ... فعافها واستشارَ الصارمَ الذكرا
فجرَّدَ العزمَ من قبل الصفاح لها ... مَلكٌ عن البيض يستغنى بما شهرا
يكاد يُقرأُ من عنوان همّته ... ما فى صحائف ظهر الغيب قد سُطِرا
كالبحر والدهر فى يومَى ندًى وردًى ... والليث والغيث فى يومَى وغًى وقرى
ما جادَ للناس إلاَّ قبل ما سألوا ... ولا عفا قطُّ الاَّ بعد ما قدرا
لا تموهُ فى بذله الأموال قلت لهم ... هل تقدر السُّحبُ ألاَّ ترسل المطرا
إذا غدا الغصنُ غضاً من منابته ... من شاء فليجن من أفنانه الثمرا
من آل أرتُقٍ المشهور ذكرهمُ ... اذ كان كالمسك إن أخفيتَهُ ظهرا
الحاملينَ من الخطّىّ أطوله ... والناقلين من الأسياف ما قصرا
لم يرحلوا عن حمى أرض اذا نزلوا ... الاَّ وأبقوا بها من جودهم أثرا
تبقى صنائعهم فى الأرض بعدهمُ ... والغيث ان سار أبقى بعده الزهرا
لله درُّ سما الشهباء من فلك ... وكلّما غاب نجمٌ أطلعت قمرا
يا أيُّها الملكُ البانى لدولته ... ذكرا طوى ذكر أهل الارض وانتشرا

كانت عداك لها دستٌ فقد صدعت ... حصاة جدك ذاك الدست فانكسرا
فأوقع اذا غدروا سوط العذاب بهم ... يظلّ يخشاك صرف الدهر ان غدرا
ظنوا تأنيك من عجز وما علموا ... أنّ التأنى فيهم يُعقب الظفرا
أحسنتهم فبغَوا جهلا وما اعترفوا ... بصنعكم ومن جحد النعمى فقد كفرا
واسعد بعيدك ذا الأضحى وضحّ به ... وصِل وصلّ لربّ العرش مؤتمرا
وانحر عداك فبالانعام ما انصلحوا ... ان كان غيرك للأنعام قد نحرا

وقال المرحوم عبد الله باشا فكرى

(من قصيدة يهنئ بها الخديوى توفيق بتولية مصر)

اليومَ يستقبل الآمالَ راجيها ... وينجلى عن سماء العزّ داجيها
وتزدهى مصرُ والنيل السعيد بها ... والمُلك والدين والدنيا وما فيها
قد أطلع الله فى سعد السعود سنى ... بدرٌ بلألائه ابيضّت لياليها
ذو همّة دون أدنى شأوها قصرت ... غايات مَن رام فى أمرٍ يُدانيها
وراحةٌ لو تحاكيها السحائب فى ... فيض الندى هطلت تبراً غواديها
ورأفة بعباد الله كافلة ... بخير ما حدّثت نفساً أمانيها
تربو على وصف مُطريه محاسنُه ... وهل يَعُدّ نجومَ الأفق راعيها
توفيق مصر ومولاها ومَوئلها ... وركنها ومُفدّاها وفاديها
وغصنها النضر أنمته منابتها ... من دوحة أينعت فيها مجانيها
خديوها ابن خديويها ابن فارسها ... أميرها البطل الشهم ابن واليها
لله يومٌ جلا عن نور غرّته ... كالشمس مزّق بُرد الغيم ضاحيها
يسير فى مصر والبشرى تسابقه ... فى حيث سار وتسرى فى نواحيها

فلتفتخر مصر إعجاباً بحاضرها على محاسن ماضيها وآتيها
هذا الذى كانت الآمال ترقبه دهراً وتعتدُّه أقصى مراميها
مازال فى قلب مصر من محبّته سرٌّ تبوح به نجوى أهاليها
تصبو له وأمانيها تطاوعها فى حُبّه ولياليها تعاصيها
وترتجيه من الرَّحمن سائلة حتى استُجيب بما ترجوه داعيها
فالحمد لله شكراناً لأنعُمه فالشكر حافظ نُعماه وواقيها
مولاى دعوةُ اخلاص يكرّرها داعٍ أياديك أرضته أياديها
هُنّيتَ علياء قد وافتك خاطبة تختال تيهاً وتزهو فى تهاديها
فاسلم أقرّ بك الرحمن أعيُنَها ولا برحتَ لها مولًى توالِيها
وأقرَّ سمعك من حلو الثناء حُلًى يلهو بلحن المثانى صوت شاديها
وهاك غرّاء من حرّ القريض اذا ما أنشدت خلب الألباب تاليها
ونخرها أنها فى المدح قد صدعت بقولِ صدقٍ فلا حىّ يلاحيها
يسائل الناس أىّ الناس قائلها وأى برّ به الممدوح جازيها
وانما حسبها برًّا وتكرمة منه قبولٌ وإقبالٌ يوافيها
وافت تهنّئ مولاها مؤرخة توفيق مصر بأيدى الله راعيها

الباب التاسع فى المراثى

(قال المهلهل يرثى أخاه كليباً وهو جاهلى)

أهاجَ قَذاء عينىَ الاذّكارُ هُدُوًّا فالدموع لها انحدارُ
وصار الليل مُشتملاً علينا كأنّ الليلَ ليس له نهار
وبتُّ أُراقِب الجوزاء حتى تقاربَ من أوائلها انحدار

أُصرِّف مُقلتى فى إثر قوم تباينت البلاد بهم فغاروا
وأبكى والنجومُ مُطلّعات كأنْ لم تحوها عنى البحار
على مَن لو نُعيت وكان حيا لَقَاد الخيلَ يحجبُها الغُبار
دَعوتُك يا كُليب فلم تُجبنى وكيف يُجيبنى البلد القفار
أجبنى يا كُليب خلاك ذمّ ضَنينات النفوس لها مَزار
أجبنى يا كليب خلاك ذمٌّ لقد فُجعت بفارسها نِزار
سقاك الغيث إنك كنت غيثاً ويُسْراً حين يُلتمس اليَسار
أبَتْ عيناىَ بعدك أن تكُفّا كأنّ غضا القتاد لها شِفار
وانك كنتَ تحامُ عن رجال وتعفو عنهمُ ولك اقتِدار
وتمنعُ أن يَمسَّهُمُ لسانٌ مخافة من يُجير ولا يُجار
وكنت أُعدّ قربى منك رِبحاً اذا ما عَدّت الرِّبحَ التّجار
فلا تبعَد فكلٌّ سوف يلقى شعوباً يستدير بها المدار
يعيش المرء عند بَنى أبيه ويوشك أن يصير بحيث صاروا
أرى طول الحياة وقد تولّى كما قد يُسلَب الشئ المُعار
كأنى اذْ نعى الناعى كليباً تطاير بين جنبَىَّ الشرار
فدُرت وقد غشى بصرى عليه كما دارت بشارِبها العُقار
سألتُ الحىّ أين دَفنتموه فقالوا لى بسفح الحىّ دار
فسرت اليه من بلدى حثيثاً وطار النوم وامتنع القرار
وحادتْ ناقتى عن ظل قبرٍ ثوى فيه المكارم والفخار
لدى أوطان أردعَ لم يَشِنْه ولم يحدُث له فى الناس عار

اتغدو يا كليب معى اذا ما ... جبان القوم أنجاه الفرار
أتغدو يا كليب معى اذا ما ... حلوق القوم يشحذها الشفار
أقول لتغلب والعز فيها ... أثيروها لذ لكم انتصار
تتابع اخوتى ومضوا لأمر ... عليه تتابع القوم الحسار
خذ العهد الأكيد على عمرى ... بتركى كل ما حوت الديار

وقال صفى الدين الحلى يرثى غريفا

أصفيح ماء أم أديم سماء ... فيه تغور كواكب الجوزاء
ما كنت أعلم قبل موتك موقنا ... أن البدور غروبها فى الماء
ولقد عجبت وقد هويت بلجة ... فخرى على رسل بغير حياء
لو لم يشق لك العباب وطالما ... أشبهت موسى باليد البيضاء
أنف العلاء عليك من لمس الثرى ... وحلول باطن حفرة ظلماء
وأجل جسمك أن يغير لطفه ... عفن الثرى وتكاثف الأرجاء
فأحله جدثا طهوراً مشبهاً ... أخلاقه فى رقة وصفاء
ماذاك بدعا أن يضم صفاؤه ... نوراً يضن به على الغبراء
فالبحر أولى فى القياس من الثرى ... بجوار تلك الدرة الغراء

ومنها قصيدة له يرثى الملك ناصر الدين عمر

بكى عليك الحسام والقلم ... وانفجع العلم فيك والعلم
وضجت الأرض فالعباد بها ... لاطمة والبلاد تلتطم
تظهر أحزانها على ملك ... جل ملوك الورى له خدم

مافقدُ فردٍ منَ الأنام كمَن ... إن مات ماتت لفقده أُمم
يا طالب الجود قد قضى عُمر ... فكل جود وجُودُه عدم
مضى الذى كان للأنام أباً ... فاليوم كل الأنام قد يتموا
يا ناصرَ الدين وابن ناصره ... ومن به فى الخطوب معتصم
يثنى عليك الورى وما شهدوا ... من السجايا إلا بما علموا
يبكيك مألوفك التقى أسفاً ... وصاحباك العفاف والكرم

﴿ وقال أبو الحسن الزهامى ﴾

﴿ يرثى صغيراً له ويفتخر بفضله ويشكو زمانه وحاسديه ﴾

حُكْمُ المنيةِ فى البرية جارِ ... ماهذه الدنيا بدار قرار
بَيْنا يُرَى الانسانُ فيها مُخبِرا ... حتى يُرَى خبَراً من الاخبار
طُبِعتْ على كَدَرٍ وأنت تريدُها ... صفْواً من الأقذار والاكدار
ومُكلِّفُ الأيامِ ضِدَّ طِباعِها ... مُتَطلِّب فى الماء جَذْوةَ نار
واذا رَجَوت المستحيلَ فانما ... تَبْنى الرجاءَ على شفيرٍ هار
فالعيشُ نومٌ والمنيّة يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ سار
فاقضوا مآربكم عِجالا انما ... أعماركم سفرٌ من الاسفار
وتراكضوا خيلَ الشباب وبادروا ... أن تُسْتَرَدَّ فانهنَّ عوار
فالدهر يَخْدَع بالمُنَى ويُغِصّ ان ... هَنّا ويهدِم ما بَنَى ببوار
ليس الزمانُ وان حَرَصْتَ مُسالِماً ... خُلُقُ الزمانِ عداوةُ الاحرار
انى وُتِرْتُ بصارمٍ ذى رَوْنَقٍ ... أعْدَدْتُه لطِلابَة الاوتار
والنفسُ إن رَضيت بذلك أو أَبَتْ ... مُنقادة بأزِمّة المقدار

أثنى عليه بأثره ولو أنه ... لم يعتبط أثنيت بالآثار
يا كوكبا ما كان أقصر عمره ... وكذاك عمر كواكب الاسحار
وهلا لأيام مضى لم يستدر ... بدراً ولم يمهل لوقت سرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه ... فمحاه قبل مظنة الابدار
واستل من أترابه ولداته ... كالمقلة انسلت من الاشفار
فكأن قلبي قبره وكأنه ... فى طيه سر من الاسرار
ان يعتبط صغراً فرب مقمم ... يبدو ضئيل الشخص للنظار
ان الكواكب فى علو محلها ... لترى صغاراً وهى غير صغار
ولد المعزى بعضه فاذا مضى ... بعض الفتى فالكل فى الآثار
أبكيه ثم أقول معتذراً له ... وفقت حين تركت الأم دار
جاورت أعدائى وجاور ربه ... شتان بين جواره وجوارى
أشكو بعادك لى وأنت بموضع ... لولا الردى لسمعت فيه مزارى
والشرق نحو الغرب أقرب شقة ... من بعد تلك الخمسة الأشبار
هيهات قد علقتك أسباب الردى ... واغتال عمرك قاطع الاعمار
ولقد جريت كما جريت لغاية ... فبلغتها وأبوك فى المضمار
فاذا نطقت فأنت أول منطقى ... واذا سكت فأنت فى اضمارى
اخفى من البرحاء ناراً مثل ما ... يخفى من النار الزناد الوارى
واخفض الزفرات وهى صواعد ... واكفكف العبرات وهى جوار
وشهاب نار الحزن ان طاوعته ... أورى وان عاصيته متوارى
وأكف نيران الأسى ولربما ... غلب التصبر فارتمت بشرار

ثوبُ الرياءِ يَشِفُّ عما تحته ... واذا التحفتَ به فانك عار
قصُرت جفونى أم تباعدَ بينها ... أم صُوِّرتْ عينى بلا أشفار
جفَت الكرى حتى كأنّ غِرارَه ... عند اغتماض العين وَخزُ غرار
ولو انّ زارتْ رقدةً لطحا بها ... ما بينَ أجفانى من التيّار
احيى الليالى التمّ وهى تميتنى ... ويُميتهنّ تبلُّج الاسحار
حتى رأيت الصُّبح تهتك كفُّه ... بالضوء رفرفَ خيمةٍ كالقار
والصبحُ قد غمَرَ النُّجومَ كأنه ... سَيْلٌ طغى فطفا على النُّوّار
لو كنتَ تُمنعُ خاضَ دونك فتيةٌ ... منّا بحارَ عوامل وشفار
ودحَوْا فويْق الأرض أرضا من دَم ... ثم انثنَوْا فبنَوْا سماء غبار
قومٌ اذا لبسوا الدروعَ حسِبْتَها ... خُلُجاً تمدّ بها أكفُّ بحار
لو شرّعوا أيمانَهم فى طولها ... طعَنوا بها عِوَضَ القَنا الخطّار
جنبوا الجيادَ الى المطىّ وراوَحوا ... بين السُّروج هُناك والأكوار
وكأنما مَلَؤُا عِيابَ دُروعهم ... وغُمُود أنصُلِهم سَرابَ قِفار
وكأنما صَنعُ السوابغ عزّهُ ... ماء الحديد فصاغ ماء قَرار
زرَداً فأحكمَ كلَّ موصل حلقةٍ ... بجَنابه فى موضع المسمار
فتسَربَلوا بمُتون ماء جامدٍ ... وتقنّعوا بجَباب ماء جار
أُسْدٌ ولكن يؤثرون بزادهم ... والأسْدُ ليس تدين بالايثار
يتزيّنُ النادى بحُسْن وجوهِهم ... كتزيُّن الهالات بالأقمار
يتعطّفون على المُجاور فيهمُ ... بالمُنفِسات تعطُّفَ الأظآر
من كلّ مَن جعل الظُّبى أنصارَه ... وكرُمْنَ واستغنى عن الانصار

واذا هو اعتقلَ القناةَ حسبتَها ... صِلاً تأبَّطَه هِزَبْرٌ ضارِ
والليثُ ان ثاورتَه لم يَعتمِد ... إلاّ على الأنياب والأظفار
زَرَدُ الدِلاص من الطِعان يُريحهُ ... فى الجحفَل المُتضايق الجرّار
ما بين ثوبٍ بالدماء مُضمَّخٍ ... زَلِقٍ ونَقْعٍ بالطِراد مُثار
والهُونُ فى ظِلّ الهُوَينا كامنٌ ... وجلالة الأخطار فى الإخطار
تَندَى أسِرَّة وجهه ويمينُه ... فى حالة الإعسار والإيسار
ويَمُدُّ نحوَ المَكْرُمات أناملا ... للرزق فى اثنائهنّ مَجارِ
يَحْوى المَعالِىَ كاسِبا أوغالبا ... أبداً يُدارَى دونَها ويُدارِى
قد لاح فى ليل الشباب كواكبٌ ... ان أُمهِلَتْ آلت الى الإسفار
وتلهّبُ الاحشاء شَيّبَ مَفرِقى ... هذا الضياءُ شواظُ تلك النار
شابَ القَذَال وكلُّ غصن صائرٌ ... فَيْنانُه الاحْوَى الى الإزهار
والشيبُ مُنجذِبٌ فَلَمْ بِيضُ الدُّمى ... عن بيضِ مَفرِقه ذوات نِفار
وتَودّ لو جعلت سوادَ قلوبها ... وسوادَ أعيُنِها خِضابَ عِذار
لا تَنفِرُ الظبيات عنه فقد رأت ... كيف اختلاف النبت فى الأطوار
شيئانِ يَنقشعان أوّلَ وَهلةٍ ... ظِلُّ الشباب وخُلّة الأشرار
لا حبّذا الشيبُ الوفىّ وحبذا ... ظِلُّ الشباب الخائن الغدّار
وطَرى من الدنيا الشباب ورَوْقه ... فاذا انقضى فقد انقضت أوطارى
قَصُرَت مسافته وما حسناته ... عندى ولا آلاؤه بقصار
تزداد هَمّاً كلما ازددنا غِنًى ... والفقرُ كل الفقر فى الاكثار
مازاد فوقَ الزاد خُلِّفَ ضائعا ... فى حادثٍ أو وارث أو عار

إنّى لأرحم حاسدىّ لحرّما ضمنت صدورهمُ من الأوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم فى جنة وقلوبهم فى نار
لاذنب لى قد رمت كتمَ فضائلى فكأنما بَرْقعتُ وجهَ نهار
وسترتها بتواضعى فتطلعت أعناقها تعلو على الاستار
ومنَ الرجال معالمٌ ومجاهل ومن النجوم غوامضٌ ودرارى
والناس مشتبهون فى إيرادهم وتفاضل الأقوام فى الاصدار
عمرى لقد أوطأتهم طرق العلا فعموا فلم يقفوا على آثارى
لو أبصروا بقلوبهم لاستبصروا وعمى البصائر من عمى الأبصار
هلا سعوا سعى الكرام فأدركوا أو سلّموا لمواقع الأقدار
وفشت خيانات الثقات وغيرهم حتى اتّهمنا رؤية الأبصار
ولربما اعتضد الحليم بجاهل لاخير فى يمنى بغير يسار

﴿ ولابى البقا صالح بن شريف الرندى يرثى الاندلس ﴾

لكل شىء اذا ماتمّ نقصانُ فلا يُغرّ بطيب العيش انسان
هى الامور كما شاهدتها دُوَل مَن سَرّه زمنٌ ساءته أزمان
وهذه الدار لا تُبقى على أحد ولا يدوم على حالٍ لها شان
يُمزّق الدهر حتما كلَّ سابغةٍ اذا نبتْ مَشرَفيّات وخُرْصانُ
وينتضى كلَّ سيفٍ للفناء ولو كان ابنَ ذى يَزَنٍ والغِمْدُ غمْدان
أين الملوك ذوو التيجان من يَمَنٍ وأين منهم أكاليلٌ وتيجان
وأين ماشاده شدّاد فى إرَمٍ وأين ماساسه فى الفُرْس ساسان
وأين ماحازه قارونُ من ذَهَب واين عادٌ وشدّاد وقَحْطان

أتى على الكلّ أمرٌ لامَرَدَّ له ... حتى قضَوْا فكأنّ القومَ ما كانوا
وصار ما كان من مُلكٍ ومن مَلِكٍ ... كما حكَى عن خيال الطيف وسْنانُ
دارَ الزمانُ على دارا وقاتِلِه ... وأمّ كِسْرَى فما آواه إيوانُ
كأنما الصعْبُ لم يَسْهُل له سَبَبٌ ... يوماً ولا مَلَك الدنيا سُليمان
فجائعُ الدهر أنواعٌ مُنوَّعة ... وللزمان مَسَرّاتٌ وأحزان
وللحوادث سُلْوانٌ يُسَهِّلها ... وما لِما حلّ بالاسلام سُلْوان
دَهَى الجزيرةَ أمرٌ لاعزاءَ له ... هَوَى له أُحُدٌ وانهدّ ثَهْلان
أصابها العينُ فى الاسلام فارتزأتْ ... حتى خلَتْ منه أقطارٌ وبُلْدان
فاسألْ بَلَنْسِيَةً ماشأنُ مُرْسِيَةٍ ... وأين شاطِبةٌ أمْ أين جيّان
وأين قُرْطُبةٌ دارُ العلوم فكم ... من عالِمٍ قد سما فيها له شان
وأين حِمْصٌ وما تحويه من نُزَهٍ ... ونَهْرُها العذْبُ فيّاضٌ وملآن
قواعد كنَّ أركانَ البلاد فما ... عسى البقاء اذا لم تبْقَ أركان
تبكى الحنيفيّة البيضاء من أسَفٍ ... كما بكى لِفراق الإلف هيمان
على ديار من الاسلام خالية ... قد أقفرَت ولها بالكفر عُمْران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما ... فيهنّ إلاّ نواقيسٌ وصُلبان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة ... حتى المنابر ترثى وهى عِيدان
ياغافلا وله فى الدهر موعظة ... ان كنت فى سِنَةٍ فالدهرُ يقْظان
وماشياً مَرِحاً يُلْهيه موطنه ... أبَعْدَ حِمْصٍ تغُرُّ المرءَ أوطان
تلك المصيبة أنْسَتْ ما تقدّمها ... وما لها من طول الدهر نسيان
ياراكبينَ عِتاقَ الخيل ضامِرةً ... كأنّها فى مجال السبْق عِقبان

وحاملين سيوفَ الهند مُرْهفَةً كأنها فى ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر فى دَعَةٍ لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلسٍ فقد سَرَى بحديث القوم رُكبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قَتْلى وأسرى فما يهتزّ إنسان
ماذا التقاطع فى الاسلام بينكمُ وأنتمُ يا عباد الله اخوان
ألاَ نفوسٌ أبيّات لها هممٌ أما على الخير أنصار وأعوان
يا من لذِلّة قومٍ بعد عزّهمِ أحال حالَهمُ جورٌ وطغيان
بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم واليومَ هُمْ فى بلاد الكفر عُبْدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم عليهمُ فى ثياب الذُّلّ ألوان
ولو رأيت بُكاهم عند بَيْعهمُ لهالك الأمرُ واستهوتك أحزان
يا ربَّ أمٍّ وطفلٍ حيلَ بينهما كما تُفرَّق أرواحٌ وأبدان
وطفلةٍ مثل حُسْن الشمس إذ طلعتْ كأنما هى ياقوتٌ ومرجان
يَقودُها العلْج للمكْروه مُكْرَهةً والعينُ باكيةً والقلب حيران
لمثل هذا يَذوب القلب من كمدٍ ان كان فى القلب اسلام وايمان

﴿ وقال أبو الطيب المتنبي يرثى أبا شجاع فاتك ﴾

الحزْن يُقلِق والتجمّل يَرْدعُ والدمع بينهما عصىٌّ طيّع
يتنازعان دُموعَ عينٍ مُسهَّد هذا يجيء بها وهذا يَرْجع
النوم بعد أبى شُجاع نافرٌ والليل مُغْنٍ والكواكب طُلَّع
إنى لأجْبُن من فِراق أحبتى وتُحِسّ نفسى بالحِمام فأشجَع
ويزيدنى غضَبَ الأعادى قسوةً ويُلِمّ بى عتْب الصديق فأجزَع

تَصفُو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ ... عما مضى منها وما يُتوقَّع
ولِمَن يُنَاطِط فى الحقائق نفسَه ... ويَسومُها طَلَبَ المُحال فتَطْمَع
أين الذى الهرَمانِ من بُنيانِه ... ماقومهُ مايومُهُ ما المَصْرع
تَتَخلَّف الآثار عن أصحابِها ... حيناً ويُدرِكها الفناء فتتبَع
لم يرضَ قلب أبى شجاع مَبْلَغٌ ... قبلَ الممات ولم يَسعْه موضع
كُنَّا نظُنّ دِيارَه مملوءة ... ذَهَباً فمَاتَ وكلُّ دارٍ بَلْقَع
واذا المكارِم والصَوارِم والقَنا ... وبَناتُ أعْوَج كلُّ شئ يَجْمع
المجدُ أخسرُ والمكارِم صَفْقَةً ... من أن يَعيش بها الكريم الأرْوَع
والناسُ أنزلُ فى زمانِك مَنزِلا ... من أن تُعايِشَهم وقدرُك أرفع
بَرِّ دحَشاىَ ان استطعتَ بلفظةٍ ... فلقد تَضُرّ اذا تشاء وتَنفع
ماكان منك الى خليلٍ قبلَها ... ما يُسْتَراب به ولا ما يُوجِع
ولقد أراك وما تُلِمّ مُلِمَّةٌ ... إلاّ نفاها عنك قلبٌ أصْنَع
ويَدٌ كأنّ قِتالَها ونوالها ... فرضٌ يَحُقُّ عليك وهو تبرُّع
يا من يُبدّل كل يومٍ حُلَّةً ... أنّى رَضيتَ بحُلّةٍ لا تُنْزَع
مازلْتَ تخلعُها على مَن شاءها ... حتى لبِستَ اليومَ مالا تَخلَع
مازلت تدفَع كل أمرٍ فادحٍ ... حتى أتى الأمر الذى لايُدْفع
فظَلِلْتَ تنظر لا رِماحُكَ شُرَّعٌ ... فيما عَراك ولا سُيوفُك قُطَّع
بأبى الوحيدَ وجيشه متكاثِرٌ ... يَبكى ومن شَرّ السِلاح الأدْمُع
واذا حَصَلتَ من السلاح على البكا ... فَحَشاك رُعْتَ به وخدّك تقْرَع
وصَلَتْ اليك يَدٌ سواءٌ عندها ... أُلْبازُ الاشهبُ والغرابُ الابقع

مَن للمحافِل والجحافل والسُّرَى ... فقَدَتْ بفقدك نيّرًا لا يطلع
ومن اتخذت على الضُّيوف خليفةً ... ضاعوا ومثلُك لا يكاد يُضيَّع
قبحاً لوجهك يا زمانُ فانه ... وجهٌ له من كل لؤمٍ بُرْقُع
أيَمُوت مثلُ أبى شُجاعٍ فاتِك ... ويَعيش حاسِدُه الخَصِيُّ الأوكَع
أنِد مُقطَّعَةٌ حوالَىْ رأسِه ... وقفًا يَصيحُ بها ألا مَن يَصفَع
أبقيتَ أكذَبَ كاذِبٍ أبقيته ... وأخذتَ أصدقَ مَن يقول ويَسْمع
وتركتَ أنتنَ ريحةٍ مذمومةٍ ... وسلبتَ أطيبَ ريحةٍ تتضوّع
فاليومَ قَرَّ لكل وحشٍ نافرٍ ... دَمُهُ وكان كأنه يتطلّع
وتصالحتْ ثَمَرُ السياط وخيلُه ... وأوَتْ اليها سُوقها والأذرُع
وعفا الطِرادُ فلا سِنانٌ راعفٌ ... فوق القَناةِ ولا حُسامٌ يلمع
ولّى وكلُّ مُخالمٍ ومنادِمٍ ... بعد اللزومِ مُشيّعٌ ومُوَدّع
مَن كان فيه لكل قومٍ ملجا ... ولسيفه فى كل قومٍ مَرْتَع
إن حلَّ فى فُرْسٍ ففيها ربُّها ... كِسْرى تذلّ له الرقابُ وتخضع
أو حلَّ فى روم ففيها قَيْصرٌ ... أو حل فى عُرْبٍ ففيها تُبَّع
قد كان أسرعَ فارسٍ فى طعنةٍ ... فرساً ولكنَّ المنيةَ أسرع
لا قلّبتْ أيدى الفوارس بعده ... رُمْحاً ولا حَملتْ جوادا أربَعُ

﴿ وقال أبو ذؤيب يرثى أولاده ﴾

أمِنَ المنُون وريْبها تتوجّعُ ... والدّهر ليس بمُعتِبٍ مَنْ يجزعُ
قالت إمامةُ مالجسمك شاحباً ... مُنذ ابتذلت ومثل مالك ينفعُ
ولقد حرصتُ بأن أُدافع عنهمُ ... وإذا المنيّةُ أقبلت لاتُدفع

واذا المنيّةُ أنشبت أظفارها ألفيتَ كلَّ تميمة لا تنفع
فالعين بعدهمُ كأنَّ جفونها كُحلتْ بشوكٍ فهى عورٌ تدمع
وتجلُّدى للشامتين أُريهمُ أنى لريب الدهر لا أتضعضع
حتى كأنى للحوادث مَرْوَةٌ بِصفا المشقّر كل يوم تُقرَع
لابُدَّ من تلف مُقيم فانتظرْ أبأرض قومك أم بأخرى المَضجَع
ولقد أرى أن البكاء سفاهةٌ ولسوف يولَع بالبكا مَن يُفجَع
ولَيأتينّ عليك يوماً مرّة يبكى عليك مُعنّفاً لا تسمع
فلئن بهم فجَعَ الزمان وريبُه إنّى بأهل مودّتى لمُفجَّع
والنفس راغبةٌ اذا رغّبتها واذا تُرَدُّ الى قليل تقنَع

﴿ وقال أبو الحسن الاتبارى ﴾

﴿ يرثى أبا طاهر محمد بن بقية وزير عزّ الدولة بن بويه وكانت قد وقعت حرب بين عزّ الدولة وابن عمه عضد الدولة ظفر فيها عضد الدولة فقبض على الوزير وقتله بين أرجل الفيلة ثم صلبه ﴾

عُلوٌّ فى الحياة وفى الممات لَحقٌّ تلك إحدى المعجزات
كأنّ الناس حولَكَ حين قاموا وُفودُ نداك أيّام الصلاة
كأنك قائم فيهم خطيباً وكلّهمُ قيامٌ للصلاة
مَددتَ يديك نحوهمُ احتفاءً كمدّهما اليهم بالهبات
ولمّا ضاق بطن الأرض عن أن يضمّ علاك من بعد الوفاة
أصارُوا الجوَّ قبرك واستعاضوا عن الأكفان ثوب السافيات
لعُظْمك فى النفوس بقيتَ ترعى بحرّاس وحُفّاظٍ ثقات

وتوقد حولك النيران ليلا كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطية من قبل زيد علاها فى السنين الماضيات
وتلك قضية فيها تأس تباعد عنك تعيير العداة
ولم أر قبل جذعك قط جذعا تمكن من عناق المكرمات
أسأت الى النوائب فاستثارت فأنت قتيل ثأر النائبات
وكنت تجير من صرف الليالى فصار مطالبا لك بالترات
وصير دهرك الإحسان فيه الينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعدا فلما مضيت تفرقوا بالمنحسات
غليل باطن لك فى فؤادى يخفف بالدموع الجاريات
ولو أنى قدرت على قيام بفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الارض من نظم القوافى ونحت بها خلاف النائحات
ولكنى أصبر عنك نفسى مخافة أن أعد من الجناة
ومالك ترب فأقول تسقى لانك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى برحمات غواد رائحات

﴿ وقال أبو العلاء المعرى ﴾

غير مجد فى ملتى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شادِ
وشبيه صوت النعى اذا قيـ ـس بصوت البشير فى كل ناد
أبكت تلكم الحمامة أم غنـ ـت على فرع غصنها المياد
صاح هذى قبورنا تملأ الرحـ ـب فأين القبور من عهد عادِ
خفف الوطء ما أظن أديم الـ أرض الا من هذه الأجساد

وقبيحٌ بنا وان قدُمَ العهـ ـدُ هوانُ الآباء والأجـداد
سِرْ آن استطعتَ فى الهواء رُويداً لا اختيالاً على رُفات العباد
رُبَّ لَحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحُم الأضداد
ودَفين على بقايا دَفين فى طويل الأزمان والآباد
تَعَبٌ كلُّها الحياة فما أعـ ـجبُ الاَّ من راغب فى ازدياد
انّ حُزناً فى ساعة الموت أضعا ف سُرُورٍ فى ساعة الميلاد
خُلق الناس للبقاء فضلّت أمّـةٌ يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار أعما ل الى دار شقوةٍ أو رشاد
ضجعة الموت رَقدةٌ يستريح الـ ـجسمُ فيها والعيش مثل السُّهاد
واللبيب اللبيب من ليس يغترّ بكونٍ مصيره للفساد

﴿ وقال بهاء الدين زهير يرثى بعض من يعز عليه من قصيدة ﴾

أراكَ هجرتنى هجراً طويلا وما عوّدتنى من قبلُ ذاكا
عَهِدتُك لا تطيق الصبَّر عنى وتعصى فى ودادِى مَن نهاكا
فكيف تغيَّرت تلك السّجايا ومَن هذا الذى عنّى ثناكا
فلا والله ما حاولتَ غـدرا فكلُّ الناس يغدُر ماخلاكا
وما فارقتُنى طوعا ولكن دهاك من المنية مادهاكا
فيامن غاب عنى وهو روحى وكيف أُطيق من روحى إنفكاكا
يعزّ علىّ حين أدير عينى أفتّشُ فى مكانك لا أراكا
ختمتُ على ودادك فى ضميرى وليس يزال مختوماً هناك
فوا أسفى لجسمك كيف يبلَى ويذهب بعـد بهجته سَنَاكا

فياقبر الحبيب وددتُ أنى ... حملت ولو على عينى ثراكا
ولا زال السلام عليك منى ... يزفّ على النسيم الى ذراكا

﴿ وقالت الخنساء وهى مخضرمة ترثى أخاها صخرا ﴾

قذى بعينك أم بالعين عوّارُ ... أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدّارُ
كأنّ عينى لذكراهُ اذا خطرت ... فيضٌ يسيلُ على الخدّين مدرار
تبكى خناسُ على صخر وحقّ لها ... إذ رابها الدّهر إنّ الدّهر ضرّار
لا بُدّ من ميتةٍ فى صرفها عِبرٌ ... والدّهر فى صرفه حولٌ وأطوار
ياصخرُ وَرّادَ ماء قد تواردهُ ... أهل الموارد مافى وردهِ عار
وإنّ صخرا لحامينا وسيّدنا ... وإنّ صخرا اذا نشتو لنحّار
وانّ صخرا لتأتمّ الهُداة به ... كأنّهُ علمٌ فى رأسه نار
لم ترَهُ جارةٌ يمشى بساحتها ... لريبة حين يُخلى بيتهُ الجارُ
مثل الرّديني لم تنفد شبيبتهُ ... كأنّهُ تحت طىّ البُرْدِ أسوار
طلقُ اليدين بفعل الخير معتمدٌ ... ضخمُ الدّسيعة بالخيرات أمّار

﴿ وقالت أيضا ﴾

يُذكّرنى طلوعُ الشمس صخرا ... وأذكره لكلّ غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى ... على إخوانهم لقتلتُ نفسى
وما يبكون مثل أخى ولكن ... أعزّى النّفس عنه بالتأسّى

﴿ وقالت أعرابية ترثى ابنها ﴾

أياولدى قد زاد قلبى تلهّبا ... وقد حرقت منى الشؤون المدامعُ

وقد أضرمت نار المصيبة شعلة ... وقد حميت منى الحشا والأضالع
وأسأل عنك الركب هل يخبرونني ... بحالك كيما تسكن المضاجع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادق ... ولا فيهم من قال إنك راجع
فيا ولدى مذ غبت كدرت عيشتى ... فقلبى مصدوع وطرفى دامع
وفكرى مسقوم وعقلى ذاهب ... ودمعى مسفوح وداري بلاقع

(وقالت ليلى الاخيلية [1] مهم قصيرة)

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... اذا لم تصبه فى الحياة المعايرُ
وما أحدٌ حيٌّ وإن عاش سالماً ... بأخلد ممَّن غيبته المقابرُ
ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... فلا بدَّ يوماً أن يرى وهو صابر
وليس لذى عيش عن الموت مقصر ... وليس على الأيام والدهر غابر
ولا الحيّ مما يحدث الدهر معتب ... ولا الميت ان لم يصبر الحيّ ناشر
وكلّ شباب أو جديد الى بلى ... وكل امرئ يوماً الى الله صائر

(وقالت عائشة هانم التيمورية [2] رثى ابنتها)

ان سال من غرب العيون بحورُ ... فالدهر باغٍ والزمان غدورُ
فلكلّ عينٍ حقّ مدرار الدما ... ولكلّ قلبٍ لوعةٌ وثبور
ستر السنا وتحجبت شمس الضحى ... وتغيبت بعد الشروق بدور
ومضى الذى أهوى وجرَّ عنى الأسا ... وغدت بقلبى جذوة وسعير

(١) هى ليل بنت عبد الله الاخيليه كانت شاعرة عظيمة توفيت فى عشر الثمانين من الهجرة (٢) هى كريمة المرحوم اسماعيل باشا تيمور ولدت سنة ١٢٥٦ بمدينة القاهرة وكانت بارعة فى العلوم والمعارف وتوفيت بمصر سنة ١٣٢٠ هـ

ياليتـه لمّا نوى عهـد النوى ... وافى العيون من الظلام نذير
ناهيكَ ما فعلت بماء حشاشتى ... نارٌ لها بين الضلوع زفير
لو بُثَّ حزنى فى الورى لم يُلتفت ... لمصاب قيسٍ والمصاب كثير
طافت بشهر الصوم كاساتُ الرّدى ... سحراً وأكواب الدّموع تدور
فتناولت منها ابنتى فتغيَّرتْ ... وجنات خدٍّ شانها التغيير
فذوتْ أزاهير الحياة بروضها ... وانقدَّ منها مائس ونضير
لبست ثيابَ السُّقم فى صِغَرٍ وقد ... ذاقت شرابَ الموت وهو مرير
جاء الطبيب ضُحَى وبشّر بالشفا ... انّ الطبيب بطبّه مغرور
وصف التجرّع وهو يزعم أنّه ... بالبرءِ من كل السِّقام بشير
فتنفّستْ للحزن قائلة له ... عجّلْ ببُرئى حيث أنت خبير
وارحم شبابى إنّ والدتى غدت ... ثكلى يشير لها الجوى وتشير
وارأفْ بعين حرمت طيب الكرى ... تشكو السّهاد وفى الجفون فتور
لمّا رأت يأس الطبيب وعجزه ... قالت ودمع المقلتين غزير
امّاه قد كلّ الطبيب وفاتنى ... مما أُؤمل فى الحياة نصير
لو جاء عرّاف اليمامة يبتغى ... بُرئى لردّ الطرف وهو حسير
ياروع روحى حلّها نزع الضّنا ... عما قليل ورُقها ستطير
أُمّاه قد عزّ اللقاء وفى غد ... سترين نعشى كالعروس يسير
وسينتهى المسعَى الى اللّحد الذى ... هو منزلى وله الجموع تصير
قولى لربّ اللّحد رفقاً بابنتى ... جاءت عروساً ساقها التّقدير
وتجلّدى بازاء لحدى بُرهةً ... فتراكِ روح راعها المقدور

أُمّاه قد سلفت لنا أمنية ... ياحسنها لو ساقها التيسير
كانت كأحلام مضت وتخلّفت ... مذ بان يوم البين وهو عسير
عودى الى ربع خلا ومآثر ... قد خلّفت عنّى لها تأثير
صونى جهاز العرس تذكاراً فلى ... قد كان منه الى الزّفاف سرور
جرت مصائب فرقتى لك بعد ذا ... لبس السواد ونفّذ المسطور
والقبر صار لغصن قدّى روضة ... ريحانها عند المزار زهور
أُمّاه لاتنسى بحقّ بنوّتى ... قبرى لئلاّ يحزن المقبور
ورجاء عفو أو تلاوة منزل ... فسواك مَن لى بالحنين يزور
فلعلّما أحظى برحمة خالق ... هو راحمٌ برٌّ بنا وغفور
فأجبتها والدّمع يحبس منطقى ... والدّهر من بعد الجوار يجور
بِنتاه يا كبدى ولوعة مهجتى ... قد زال صفوٌ شأنه التكدير
لاتوصى ثكلى قد أذاب فؤادَها ... حزنٌ عليك وحسرة وزفير
قسماً بغضِّ نواظرى وتلهّفى ... مذ غاب انسانٌ وفارق نور
وبقُبلتى ثغراً تقضّى نحبه ... فرمت طيب شذاه وهو عطير
والله لا أسلو التّلاوة والدّعا ... ما غرّدت فوق الغصون طيور
كلاّ ولا أنسى زفير توجّعى ... والقدّ منك لدى الثرى مدثور
إنى ألِفتُ الحزن حتى أنّنى ... لو غاب عنّى ساءنى التأخير
قد كنت لا أرضى التباعد برهة ... كيف التصبّر والبعاد دهور
أبكيك حتى نلتقى فى جنّة ... برياض خلد زيّنتها الحور
إنْ قيل عائشة أقول لقد فُنِى ... عيشى وصبرى والإله خبيرٌ

ولهى على (توحيدة) الحسن التى ... قد غاب بدرُ جمالها المستور
قلبى وجفنى واللسان وخالقى ... راضٍ وباكٍ شاكرٌ وغفور
مُتّعتِ بالرضوان فى خلد الرّضا ... ما ازّينت لك غرفة وقصور
وسمعت قول الحقّ للقوم ادخلوا ... دار السلام فسعيكم مشكور
هذا النعيم به الأحبّة تلتقى ... لا عيش إلاّ عيشه المبرور

(وقالت السيدة ملك ناصف [1] ترثى عائشة هانم تيمور)

ألا يا موت ويحك لم تُراعِ ... حقوقاً للطروس ولا اليَراع
تركتَ الكُتْب باكية بكاء ... يشيب الطفل فى عهد الرضاع
ولم تهبِ الفضائل والمعالى ... وطول السعى فى خير المساعى
ولم يمنعك مما رُمْتَ نثرٌ ... ولا شعرٌ ولا حسن ابتداع
تراك تجود بالأرزاء حتى ... عددنا البخل من كرم الطباع
فَذُبْ يا قلب لا تك فى جمود ... وزد يادمعُ لا تكُ فى امتناع
ولا تبخل علىّ وكن جموماً ... فكنز العلم أمسى فى ضياع
سنبقى بعد عائشةٍ حيارَى ... كسِرْبٍ فى الفلاة بغير راع
لقد فُقِدَتْ ولم تُفقِد علاها ... وهل شمسٌ تغيب بلا شُعاع
هى الدُّرّ المصون ببطن أرض ... وقد كانت كذلك فى قناع
هى البحر الخضمّ وما سمعنا ... بأن البحر يدفن فى التلاع
وكانت للمكارم خيرَ عون ... وللخيرات كانت خير داع

(١) هى الفاضلة الشاعرة بنت القاضى الفاضل نابغة الشعراء والكتاب فى هذا العصر حفى بك ناصف قاضى بمحكمة الاستئناف

لها القدحُ المُعلّى فى العوالى وفى نشر المعارف طول باع
فياشمس المحامد غِبتِ عنّا وخلّفتِ البكاء لكلّ ناع
وياخير النساء بلا خلاف وقدوتنا بلا أدنى نزاع
لقد أحييتِ ذكر نساء مصر وجدّدتِ العلا بعد انقطاع
وشدتِ صروح طُهر باذخاتٍ مُحصّنةٍ كتحصين القلاع
بنى تيمور خطبكمُ جليلٌ له وجه الفضيلة فى امتقاع
وصبركمُ أجلّ ومن سواكم من الأقوام أولى باتباع

(وقال مفتى بك ناصف يرثى عبد الله باشا فكرى)

ليَدَّعِ المدّعونَ العلم والأدبا فقد تغيّب عبد الله واحتجبا
ولينتسب أدعياء الفضل كيف قضت آراؤهم اذا قضى مَن يحفظُ النَّسبا
وليفخرِ اليوم قومٌ باليراع ولا خوفٌ عليهم فمَن يخشونه ذهبا
وليَرقَ مَن شاء أعوادَ المنابر اذ مات الذى يتقيه كلُّ مَن خطبا
لو عاش لم يطرُقِ الأسماعَ ذِكرُهم فى طلعة الشمس مَن ذا يُبصرُ الشُّهُبا
فليَسْمُ مَن شاء بالإنشاء لا عجبٌ مضى الذى كان مِن آيائه عجباً
طَودٌ من الفضل من بعد الرُّسوخ هوى وكوكبٌ بعد أن أبدى الهدى غَرَبا
وخِضرمٌ غاض لما فاض زاخرُهُ وضامرٌ أدرك الغاياتِ ثم كبا
وشامخٌ من مبانى العلم قوّضهُ صَرفُ الزمانِ فأمسى فى الهواء هَبا
وجنّةٌ عصفت ريحُ المنونِ بها وظافرٌ ظُفرُ البلْوَى به نشَبا
مالِلْعُلَى انشقّ فى آفاقها قمر وهول ساعتها ما باله اقتربا
فهل عَرا الكونَ خَطبٌ غيرُ منتظرٍ يستغربُ الأمرَ مَن لا يعرفِ السَّببا

أجلْ فقد مات (عبد الله) واأسفا ... وأُوحشت مصرُ من فكرى فواحَرَبا
فكلُّ نفسٍ لمَعناهُ شكت وبكت ... وكلُّ فكرٍ بفكرى ماجَ واضطرَبا
قضى الحياةَ ونَصر الحق دَيدَنهُ ... لا يَثنى رَهباً عنه ولا رَغبا
لا كان عِيدٌ رأينا صَفوهُ كدرا ... بفَقدِهِ وأنثنت راحاتهُ تَعبا
سارت جنازَتهُ والعلمُ فى جزَعٍ ... والفضلُ يندبُهُ فى ضمن مَن نَدَبا

وقال مؤلف هذا الكتاب

(راثياً أستاذه المرحوم الشيخ محمد البحيرى)

ياعينُ ويحكِ مالدمعك جارى ... يجرى كمنهلّ الحيا المدرار
دنيا غرورٌ ليس يُرجى صفوها ... والغدر عادة دهرنا الغدّار
كم فى قلوب الناس من غاراته ... رعباً وفيه منتهى الأكدار
مهما ارتقى الانسان فى أوج العلا ... لابد أن يكسوه ثوب عفار
من ذا الذى قد نال وصف (محمد) ... فهو (البُحيْرى) عالىَ المقدار
بدر الهدى قطر الندى بحر الجدى ... جالى الصدا مجلى العِدا الفُجّار
سامى المزايا (شافعىّ) زمانه ... تتلى فضائله مدى الأدهار
فهو المحيط البحر فى عِرفانه ... ان كان علم الغير كالأنهار
الصّائم القوام فى غسق الدجى ... والعابد الأوّاب فى الأسحار
الفاضل الورع الجليل المجتبى ... اللوذعى النّحرير شمس نهار
أسفاً على بحر العلوم فانه ... بحرٌ يفيض الدرّ كالأبحار
أسفاً على فقد العلوم لفقده ... مَن قلمه بالغير فهو ممارى
أبكى على العلم الذى يَتّمتَه ... وتركته ياسيّد الأطهار

أبكى عليه بالدموع تحرقا أبكى عليه بمدمع المدرار
أبكيك يازين المحافل والحجا أبكيك فى سرّ وفى اجهار
أبكيك ياشيخ الملا طول المدى أبكيك فى الأصال والأسحار
فلقد بكته اليوم أملاك السما واهتزّ عرش مكوّن الأقدار
وأُعدّت الفردوس دار مُقامه والحور والولدان صرن جوار
فليذرف العلم الشريف دموعه حزنا عليه مشوبة بعفار
وكذاك روض (الأزهر) السامى كذا طلاّبه وأفاضل الأخيار
عذراً لأزهرنا تهدّم ركنه فالآن أضحى زابل الأزهار
من (للمُطوّل) والحقائق بعده مَن ذا يقوم (بأطوَلٍ وبُخارى)
مَن ذا (لتحرير وروضٍ) يُبتغى من بعد فقد جواهر الأفكار
مَن (للخطيب ومَنهجٍ) من بعده مَن ذا (لجمع جوامع) وثمار
مَن للحقيقة والشريعة بعده مَن للحديث وصحّة الآثار
مَن للمسائل بعدُ وهى عويصةٌ مَن للدروس ومُغلق الاسرار
مَن للعلوم وقد كساها حلّة من سندس التوشيح فى الامصار
أليوم فاض من الشريعة دمعها والعلم أمسى فى الثرى متوارى
لا تعدلنّ بوصفه أحداً فما للشمس من ثان بلا انكار
توضيحه (روحُ البيان) ونطقه (مُغنى اللبيب) بأحسن (الاظهار)
اليوم دانت للمنون نفوسنا وتأثرت لفراقه الأسفار
يارب بلّغه الجنان وهب له عفواً يلوح سناءه للسارى
ما (الهاشمى) يرثيه حزنا قائلا ياعين ويحك ما لدمعك جارى

﴿ وقال شاعر النيل أحمد بك شوقى ﴾

﴿ يرثى بطل الوطنية المرحوم مصطفى باشا كامل ﴾

المشرقان عليك ينتحبان ... قاصيهما فى مأتم والدانى
يا خادم الاسلام أجر مجاهد ... فى الله من خُلد ومن رضوان
لما نعيت الى الحجاز مشى الأسى ... فى الزائرين ورُوّع الحرمان
السكة الكبرى حيال رباهما ... منكوسة الأعلام والقضبان
لم تألها عند الشدائد خدمة ... فى الله والمختار والسلطان
ياليت مكة والمدينة فازتا ... فى المحفلين بصوتك الرنّان
ليرى الأواخر يوم ذاك ويسمعوا ... ماغاب عن قُسّ وعن سَحبان
جار التراب وأنت أكرم راحل ... ماذا لقيتَ من الوجود الفانى
أبكى صباك ولا أعاتبُ من جنى ... هذا عليه كرامة للجانى
يتساءلون أ بالسلال قُضيتَ أم ... بالقلب أم هل متَّ بالسرطان
الله يشهد أن موتك بالحجا ... والجدّ والأقدام والعرفان
ان كان للأخلاق ركن قائم ... فى هذه الدنيا فأنتَ البانى
بالله فتّش عن فؤادك فى الثرى ... هل فيه آمال وفيه أمانى
وجدانك الحىّ المقيم على المدى ... ولربّ حىّ ميّت الوجدان
الناس جارٍ فى الحياة لغاية ... ومضلّلٌ يجرى بغير عِنان
والخلد فى الدنيا وليس بهيّن ... عليا المراتب لم تنح لجبان
فلو أن رسل الله جُنِبوا لما ... ماتوا على دين ولا إيمان
المجد والشّرف الرفيع صحيفةٌ ... جُعِلت لها الأخلاق كالعنوان
وأحبُّ من طول الحياة بذلّة ... قِصَرٌ يُريك تقاصُر الأقران
دقّات قلب المرء قائلة له ... انّ الحياة دقائقٌ وثوانى

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للانسان عمرٌ ثانى
للمرء فى الدنيا وجمّ شؤونها ... ما شاء من ربح ومن خسران
فهى الفضاء لراغبٍ متطلّع ... وهى المضيق لمؤثر السلوان
الناس غادٍ فى الشقاء ورائح ... يشقى له الرحماء وهو الهانى
ومُنعّم لم يلق الا لذة ... فى طيها شجنٌ من الاشجان
فاصبر على نعم الحياة وبؤسها ... نعمى الحياة وبؤسها سيّان
ياطاهر الغدوات والروحات والـ ... خطرات والأسرار والاعلان
هل قام قبلك فى المدائن فاتحا ... غاز بغير مهند وسنان
يدعو الى العلم الشريف وعنده ... ان العلوم دعائم العمران
لفوك فى علم البلاد منكّساً ... جزع الهلال على فتى الفتيان
ما احمرّ من خجل ولا من رتبة ... لكنما يبكى بدمع قانى
يزجون نعشك فى السناء وفى السنا ... فكأنما فى نعشك القمران
وكأنه نعش (الحسين) (بكربلا) ... يختال بين بُكىً وبين حنان
فى ذمة الله الكريم وبرّه ... ماضمّ من عُرف ومن احسان
(ومشى جلال الموت وهو حقيقة ... وجلالك المصدوق يلتقيان)
شقّت لمنظرك الجيوبَ عقائلٌ ... وبكتك بالدمع الهتون غوانى
والخلق حولك خاشعون كعهدهم ... اذ ينصتون لخطبة وبيان
يتساءلون باى قلب ترتقى ... بعد المنابر أم بأى لسان
فلو أن أوطانا تصور هيكلا ... دفنوك بين جوانح الاوطان
أوكان يحمل فى الجوارح ميت ... حملوك فى الاسماع والاجفان
اوصيغ من غرر الفضائل والعلى ... كفن لبست أحاسن الاكفان
أوكان للذكر الحكيم بقية ... لم تأت بعدُ رثيت فى القرآن

ولقد نظرتك والردى بك محدق ... والداء ملء معالم الجثمان
يبغى ويطغى والطبيب مضلل ... قنط وساعات الرحيل دوانى
وبواظر العوّاد عنك أمالها ... دمعٌ تعالج كتمه وتعانى
تملى وتكتب والمشاغل جمّة ... ويداك فى القرطاس ترتجفان
فهششت لى حتى كأنك عائدى ... وأنا الذى هدّ السقام كيانى
ورأيت كيف تموت آساد الشرى ... وعرفت كيف مصارع الشجعان
ووجدت فى ذاك الخيال عزائما ... ما للمنون بدكّهنّ يدان
وجعلت تسألنى الرثاء فهاكه ... من أدمعى وسرائرى وجنانى
لولا مغالبة الشجون لخاطرى ... لنظمت فيك يتيمة الأزمان
وأنا الذى أرثى الشموس اذا هوت ... فتعود سيرتها من الدوران
قد كنت تهتف فى الورى بقصائدى ... وتجلّ فوق النيرات مكانى
ماذا دهانى يوم بنت فعفّنى ... فيك القريض وخانتى امكانى
هوّن عليك فلا شمات بميت ... ان المنيّة غاية الانسان
من للحسود بميتة بلّغتها ... عزّت على كسرى أنوشروان
عوفيت من حرب الحياة وحربها ... فهل استرحت أم استراح الشانى
ياصبّ مصر وياشهيد غرامها ... هذا ثرى مصرٍ فنم بأمان
اخلع على مصرٍ شبابك عاليا ... والبس شباب الحور والولدان
فلعلّ مصراً من شبابك ترتدى ... مجداً تتيه به على البلدان
فلو أنّ بالهرمين من عزماته ... بعض المضاء تحرّك الهرمان
علّمت شبّان المدائن والقرى ... كيف الحياة تكون فى الشبان
مصرُ الأسيفة ريفها وصعيدها ... قبرٌ أبرُّ على عظامك حانى
أقسمت أنك فى التراب طهارة ... ملك يَهابُ سؤاله الملكان

﴿ الباب العاشر فى الحكم ﴾

(قال أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدى)

ياظبيةً أشبهَ شيء بألمها ... ترعَى الخزامى بين أشجارِ النقا (١)

إمّا ترَىْ رأسى حاكى لونه ... طُرّةَ صبحٍ تحت أذيال الدُّجى (٢)

واشتعلَ المُبيَضُّ فى مُسْوَدّهِ ... مثلَ اشتعال النار فى جزْلِ الغضى (٣)

فكان كالليل البهيم حلَّ فى ... أرْجائِهِ ضَوْءُ صباح فانجلى (٤)

وغاض ماء شِرّتى دهرٌ رَمى ... خواطر القلب بتبريح الجوى (٥)

وآض روض اللهو يَبْساً ذاوياً ... من بعد ماقد كان نَجّاج الثرى (٦)

وضَرَّمَ النأْىُ المشتُّ جَذْوَةً ... ماتأْتلِى تسفَعُ أثناء الحشى (٧)

---

(١) الظبية الانثى من الغزلان. المها جمع مهاة وهى الانثى من البقر الوحشى الخزامى نبت معروف طيب الرائحة. النقا اسم موضع (٢) اما أصلها ان ما فان شرطية وما زائدة ترى أصلها ترين وترى فعل الشرط وجوابه قوله فيما بعد فكل ماالخ. حاكى أشبه. طرة صبح يعنى وجه صبح وطرة كل شىء حافته وجانبه أذيال جمع ذيل وهو الطرف. الدجى جمع دجية وهى الظلمة (٣) اشتعل فشى وانتشر. جزل ماغلظ من الحطب. الغضى جمع غضاة وهى نوع من الشجر يبقى جمره طويلا (٤) فكان كالليل البهيم كناية عن المظلم جداً. والبهيم هو الاسود الذى لاضوء فيه. حل نزل. ارجاؤه جمع رجا بالقصر الطرف. فانجلى فانكشف وظهر (٥) غاض نقص أوذهب. الشرة الحدة والنشاط استعيرت هنا للشباب. التبريح البلوغ فى المشقة الى غايتها. الجوى سقم فى الجوف من طول المرض (٦) آض رجع يبساً يابساً. ذاويا ذابلا. نجاج من قولهم مج الغصن الماء اذ ألقاه. الثرى بالقصر التراب الندى وبالمد الغنى والسعة (٧) ضرم اشعل وأوقد. النأى البعد. المشت المفرق

واتخذ التسهيدُ عينى مألفاً ... لما جفا أجفانَها طيفُ الكرى (١)
فكلُّ ما لاقيتُهُ مُغتفَرٌ ... فى جنبِ ما أسأرَهُ شحطُ النوى (٢)
لو لابَسَ الصخرَ الأصمَّ بعضُ ما ... يلقاه قلبى فضَّ أصلادَ الصفا (٣)
إذا ذوى الغصنُ الرطيبُ فاعلَمَنْ ... أنَّ قُصاراهُ نَفادٌ وثوى (٤)
شَجِيتُ لا بَلْ أجرَضتنى غصَّةً ... عُنودُها أقتلُ لى منَ الشَّجى (٥)
إنْ يَحمِ عن عينى البُكا تجلُّدى ... فالقلب موقوف على سُبْل البكا (٦)
لو كانت الأحلام ناجتنى بما ... ألقاهُ يقظانَ لاضمانِ الرَّدى (٧)

جذوة هى الجمرة العظيمة. ماتأتلى ماتقصر. تسفع تحرق وتهلك. أثناء الحشى يعنى مارق من البطن وأراد به القلب والجوف (١) التسهيد والسهاد السهر وهو عدم النوم. ما لفاً صاحباً والمألف هو الموضع الذى تقع فيه الالفة أى الاجتماع والصحبة جفا هجر. الاجفان اغطية العيون واحدها جفن. الطيف ما يراه الانسان من خيال المحبوب. الكرى النوم (٢) مغتفر متجاوز عنه. اسأره ابقاه شحط البعد النوى البعاد (٣) لابس خالط. الاصم الصلب. فض كسر واصل الانفضاض التفرق أصلاد جمع صلد وهى الحجارة الصلبة الشديدة. الصفا الصخر الصلاب جمع صفاة والمذكر صفوان (٤) ذوى جف وذبل. الرطيب الناعم الرطب. قصاراه أخر أمره وغايته نفاد فناء وذهاب. وثوى بالثاء الهلاك (٥) شجيت حزنت أو غصصت والغصص الاختناق باللقمة يقال شجيت بالعظم أى اختنقت به. أجرضتنى خنقتنى غصة الموت والجرض هو الاختناق بالريق. عنودها معارضتها (٦) ان حرف شرط يحم فعل الشرط يمنع. تجلدى تصبرى فالقلب جواب الشرط. سبل الطرق واحدها سبيل وعنى بذلك الهوى الذى يأتى البكاء من أجله وسببه (٧) الاحلام جمع حلم وهو مايراه الانسان فى منامه. ناجتنى أخبرتنى. لاضمانى لقتلنى مكانى بلا تأخير. الردى الهلاك

منزلة ماخلتها يرضى بها ... لنفسه ذو أدب ولا حجا (١)
شيم سحاب خلب بارقه ... وموقف بين ارتجاء ومنى (٢)
فى كل يوم منزل مستوبل ... يشتف ماء مهجتى أو مجتوى (٣)
ماخلت أن الدهر يثنينى على ... ضراء لا يرضى بها ضب الكدى (٤)
أرمق العيش على برض فإن ... رمت ارتشافا رمت صعب المنتسى (٥)
أراجع لى الدهر حولا كاملا ... الى الذى عود أم لا يرتجى
يادهر ان لم تكن عتبى فاتئد ... فإن ارواداك والعتبى سوى (٦)
رفقا علىّ طالما أنصبتنى ... واستبق بعض ماء غصن ملتحى (٧)
لا تحسبن يادهر أنى ضارع ... لنكبة تعرقنى عرق المدى (٨)
مارست من لوهوت الأفلاك من ... جوانب الجو عليه ما شكا (٩)

(١) منزلة درجة . ماخلتها ما حسبتها . أدب ظرف . الحجا العقل (٢) شيم النظر الى البرق خاصة . خلب الذى لاماء فيه . ارتجاء أمل . منى بالضم جمع منية وهى المطلوب (٣) مستوبل ومجتوى يقال اجتويت البلاد اذا كرهتها وان كانت موافقة لك واستوبلتها اذا لم توافقك وان كنت غير كاره لها . يشتف يستقصى (٤) يثنينى يعطفنى . ضراء الصخرة الصماء . الكدى بالضم جمع كدية وهى ماارتفع من الصخور (٥) ارمق العيش اعطى منه بقدر مايسد رمقى . برض العطاء القليل الارتشاف ان يستقصى شرب مافى الاناء . المنتسى المطلب البعيد (٦) العتبى الرضى فاتئد ارفق . الارواد الرفق . سوى مثل (٧) رفه وسع . انصبتنى اتعبتنى . استبق أبق ملتحى الذاهب لحاه أى قشره الظاهر (٨) ضارع ذليل خاضع خاشع (لنكبة) لمصيبة وشدة . تعرقنى تزيل لحمى عن عظمى . المدى بالضم جمع مدية وهى السكين (٩) مارست بتاء الخطاب عالجت . هوت سقطت . الافلاك جمع فلك وهى التى

لكنها نفثة مصدور اذا جاش لغام من نواحيها غما (١)
رضيت قسرا وعلى القسر رضى من كان ذا سخط على صرف القضا (٢)
إن الجديدين اذا ما استوليا على جديد أدنياه للبلى (٣)
ما كنت أدرى والزمان مولع بشت ملموم وتنكيث قوى (٤)
إن القضاء قاذفى فى هوة لا تستبل نفس من فيها هوى (٥)
فإن عثرت بعدها إن والت نفسى من هاتا فقولا لا لعا (٦)
وان تكن مدتها موصولة بالحتف سلطت الأسى على الأسا (٧)
إن امرء القيس جرى الى مدى فاعتاقه حمامه دون المدى (٨)

تجرى فيها الشمس والقمر والنجوم • جوانب الاطراف • الجو الفضاء الذى بين السماء والارض (١) لكنها الضمير فيها كناية عن هذه القصيدة التى قالها النفثة مايلقيه الرجل من فيه اذا بصق • مصدور الذى يشتكى صدره • جاش علا وارتفع • اللغام الزبد وهو من يلقيه البعير من فيه • نواحيها • جوانبها • غما سقط (٢) القسر القهر • السخط الغضب (٣) الجديدين الليل والنهار • استوليا غلبا وملكا ادنياه قرباه • للبلى للاخلاق (٤) ما كنت أدرى ما كنت أعلم وجاء بالمعمول فى البيت الذى بعده وهو ان القضاء الخ • والزمان الواو للحال • مولع ملازم • ومغرى به • بشت بتفريق • ملموم مجموع • التنكيث النقض • قوى جمع قوة (٥) قاذفى راء بى • هوة الحفرة التى يتسع أسفلها ويضيق أعلاها • لا تستبل لا تبرأ ولا تفيق هوى سقط (٦) عثرت زللت • والت نجت وخلصت • هاتا عائد على العثرة المضمرة الذى دل عليها قوله فان عثرت • لالعا لا نجا دعاء للعاثر بعدم السلامة (٧) ضمير مدتها عائد على النكبة • بالحتف بالموت • الاسى بضم الهمزة جمع أسوة وهى التعزية والتأسى • الاسا بفتح الهمزة الحزن (٨) امرؤ القيس معلوم كان

وخامرت نفس أبى الجبر الجوى حتى حواه الحتف فيمن قد حوى (١)
وابن الأشج القيل ساق نفسه الى الردى حذار إشمات العدى (٢)
واختزم الوضاح من دون التى أملها سيف الحمام المنتضى (٣)
فقد سما قبلى يزيد طالبا شأو العلا فما وهى ولا ونى (٤)

هو طريد أبيه لقوله الشعر. خلاصة قصته ان بنى أسد قتلت أباه وكان ملكا عليهم فبعد عناء توجه الى قصير ملك الروم واستنجده على قتلة أبيه فوعده وكان قد تعشق ابنة قيصر فحضر أحد أعدائه من بنى أسد وأخبر قيصر بعشقه لها فكره ذلك وكره أن يقتله أو يخذله بعد ماوعده فأرسل معه عسكراً ثم أردفه بحلة ملوكية مسمومة فلبسها فمات. مدى الغاية. فاعتاقه وعاقبه بمعنى عوقه حمامه بكسر الحاء موته (١) خامرت خالطت. أبو الجبر من ملوك كندة خلاصة قصته انه تألبت قومه عليه فاستعان بكسرى فاعطاه جيشاً من اساورته فرأوا بلاد العرب فاستوحشوها فسموه فمرض وعندها طلبوا الاذن بالرجوع فأذن لهم ثم بعد مدة مات على طريق اليمن بالمرض الذى نشاء من السم. الجوى داء فى الجوف. حواه حازه. الحتف الموت (٢) ابن الاشج هو عبد الرحمن بن الاشعث خلاصة قصته انه قد ولاه الحجاج سجستان فخرج عليه ثم هرب الى ريتقل ملك الترك فبذل الحجاج الى ريتقل مالا فسلمه الى اعوان الحجاج وكان فى الطريق مقيداً معه رجل من بنى تميم على سطح برج فرمى بنفسه من أعلى البرج فمات هو والتميمى وحمل رأسه الى الحجاج. القيل الملك دون الملك الاعظم الردى الهلاك. حذار خوف (٣) اختزم أهلك واقتطع. الوضاح يعنى به جزيمة الابرش وكان قتل أبا الزباء فبعد مدة خطبته لنفسها فلما حضر قتلته فى قصة طويلة. أمل فاعله يعود على الوضاح وفاعل اختزم سيف. الحمام الموت. المنتضى المسلول (٤) سما علا. يزيد بن المهلب وخلاصة قصته انه خرج على بنى أمية

فاعترضتْ دون الذى رام وقد ... جَدَّ بهِ الجِدُّ اللهيمُ الأُرَبى (١)
هل أنا بِدْعٌ مِنْ عَرانِينَ عُلاً ... جارعليهم صرف دهر واعتدى (٢)
فإنْ أنالتنى المقادير الذى ... أكِيدُهُ لَمْ آلُ فى رأْبِ التأَى (٣)
وقد سما عمرو الى أوْتارِهِ ... فاحتَطَّ منها كلَّ عالى المُسْتَمَى (٤)
فاستَنزَلَ الزَّبّاءَ قَسْرًا وَهْىَ مِن ... عِقابِ لُوحِ الجَوِّ أعلى مُنتَمَى

وخطب له بالبصرة وسلم عليه الخلافة • فدست بنو أمية رجلا من كلب فقتله واستتب الامر لهم. شأو الغاية. العلا الشرف • فما وهى فما ضعف • ولا ونى ولا فتر (١) فاعترضت عارضت • رام طلب. جدَّ بالفتح أسرع • الجِدُّ بالكسر العزم • اللهيم بالتصغير • الارى اسمان من أسماء الداهية وهما فاعل اعترضت (٢) بدع الذى يكون أول من كل أمر. عرانين الاشراف واحدها عرنين وهو الانف • جار عدل عن الحق • اعتدى ظلم (٣) أنالتنى اعطتنى • المقادير جمع مقدار وهو القدر أكيده أطلبه واحتال عليه • لم آل لم أقصر • رأب الاصلاح. التأى الفاسد (٤) سما علا • أوتار جمع وتر وهو طلب الدم • فاحتط فانزل. المستمى المكان العالى المرتفع • الزباء اسم امرأة • قسرا بالسين القهر والغلبة • عقاب طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان • لوح الهواء الذى بين السماء والارض • منتمى موضع مرتفع اليه وخلاصة قصة الزباء وعمرو أن الزباء لما قتلت جزيمة الابرش قعد عمرو بن اخته مكانه وكان قصير وزيره كما كان لخاله وكان وقت قتل خاله نجا على فرس تسمى العصا فطلب قصير ان يجدع عمرو أنفه وأذنيه دهاء منه لاخذ ثار خاله ففعل عمرو بقصير ذلك رجاء أخذ ثار خاله فرحل قصير الى الزباء على هذه الحالة فاستأمنت له ثم بعد مدة وعناء أتى بالرجال مدججة بالسلاح فى جوالق على ظهور الجمال فهربت الزباء الى نفق لها لتهرب منه فرأت عمراً على باب النفق فصت خاتما مسموماً كان بيدها وقالت بيدى لا بيدك ياعمرو وماتت مكانها فاستولى على ملكها

وسيف استعلت به همته حتى رمى أبعد شأو المرتمى (١)
فجرع الأحبوش سماً ناقعا واحتل من غمدان محراب الدمى
ثم ابن هند باشرت نيرانه يوم أوارات تميماً بالصلا (٢)
ما اعتن لى ياس يناجى همتى إلا تحداه رجاء فاكتمى (٣)
أليسة باليعملات يرتمى بها النجاء بين أجواز الفلا (٤)

(١) سيف يعنى به سيف بن ذى يزن ملك اليمن . استعلت علت . شأو الغاية . المرتمى موضع الرمى وهو الذى يقال له الغرض والهداف والقرطاس فجرع فسقى والجرع القليل من الماء . الاحبوش ملك الحبش . نافعاً بالغاً احتل نزل بالمكان . غمدان موضع بصنعاء اليمن . محراب ههنا غرفة بصنعاء الدمى الصور جمع دمية خلاصة قصة الحبش ان الملك سيف لما غلبت عليه الحبشة استعان بهرمز أحد الأكاسرة فأرسل معه جيشاً من المسجونين ورأس عليه وزيراً من الأساورة المتقدمين فأجلوا الأحباش عن اليمن وملكوا سيفاً فى قصة طويلة (٢) ابن هند هو عمرو عم النعمان بن المنذر وكان له أخ مسترضع فى بنى تميم فقتل لهم ناقة فقتله صاحبها فنذر عمرو المذكور أن يقتل من بنى تميم مائة فأجج ناراً وألقى فيها واحداً واحداً منهم الى تسعة وتسعين فبينما هم كذلك يرجون تمام المائة اذ جاء رجل من البراجم يظن هناك وليمة لقتار اللحم فألقى فى النار تماماً للمائة . باشرت خالطت . يوم أوارات يوم معروف من أيام العرب او أوارات اسم موضع . تميما قبيلة . الصلا بالفتح وهج النار (٣) ما اعتن ما اعترض . تحداه اعتمده وقصده . فاكتمى استتر وتغطى (٤) أليسة قسما . باليعملات جمع يعملة وهى الناقة الصلبة الشديدة . النجاء السرعة . اجواز جمع جوز وجوز كل شىء وسطه . الفلا جمع فلاة وهى الصحراء

خُوص كأشباحِ الخَنَايا ضُمَّر ... يَرْعُفْنَ بالأمشاجِ مِنْ جَذْبِ البُرَى (١)
يَرْسُبْنَ فى بحرِ الدُّجى وبالضحى ... يَطْفُونَ فى الآلِ اذا الآلُ طَفَا (٢)
أخْفافُهُنَّ مِنْ حفاً ومن وَجَى ... مَرْثومةٌ تَخْضِبُ مُبْيَضَّ الحَصَا (٣)
يَحْمِلْنَ كلَّ شاحبٍ محقوقفٍ ... من طولِ تَدْآبِ الغُدُوِّ والسُّرَى (٤)
بَرٍ بَرَى طُولُ الطَّوَى جُثْمانَهُ ... فهو كقَدْحِ النَّبْعِ مخنِيِّ القَرَا (٥)
يَنْوِى التى فَضَّلَها رب العلى ... لمّا دَحا تُرْبَتَها على البُنَى (٦)

(١) خوص الابل الغائرة العيون من الهزال . الاشباح الأشخاص جمع شبح . الخنايا جمع خنية والخنية القوس . ضمر جمع ضامر وهو المهزول يرعفن يسلن مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الأنف . الامشاج الأخلاط جمع مشج وهو مايسيل من الأنوف . من جذب من سوق . البرى جمع برة وهى الحلقة التى تكون فى أنف البعير (٢) يرسبن يغبن والرسوب الخوض فى الماء والمغيب فيه . الدجى جمع دجية وهى الظلمة . يطفون يعلون الآل مايرى كالماء عند ما ترتفع الشمس والسراب انما يكون فى انتصاف النهار كأنه ماء وليس بماء . طفا ارتفع (٣) اخفافهن جمع خف للابل بمنزلة الحوافر للخيل . حفا مقصور هو رقة اخفاف الابل من كثرة المشى . وجى وجع فى الرجل يصيبها من الحفا . مرثومة مشقوقة من الحجارة . تخضب تصبغ (٤) شاحب متغير اللون من السفر وغيره . محقوقف معوج . تدآب مداومة . السرى سير الليل (٥) بر مطيع والجمع ابرار نعت للشاحب . برى من برى القلم وهو اضعافه وترقيقه . الطوى الجوع . جثمانه جسمه . قدح عود صلب تعمل منه السهام . النبع شجر تعمل منه القسىّ واحدها نبعة مخنى معوج . القرا الظهر (٦) ينوى يقصد . التى فضلها رب العلى يعنى مكة دحا بسط . البنى جمع بنية وهو الشئ المبنى

حتى اذا قابلها استعبر لا ... يملك دمع العين من حيث جرى (١)
ثمت طاف وانثنى مستلماً ... ثمت جاء المروتين فسعى (٢)
وأوجب الحج وثنى عمرة ... من بعد ما عج ولبى ودعا (٣)
ثمت راح فى الملبين الى ... حيث تحجى المأزمان ومنى (٤)
ثم أتى التعريف يقرو مخبتاً ... مواقفاً بين الآل فالنقا (٥)
واستأنف السبع وسبعا بعدها ... والسعى مابين العقاب والصوى (٦)
وراح للتوديع فيمن راح قد ... أحرز أجرا وقلى هجر اللغا (٧)

(١) استعبر بكى وهو مأخوذ من العبرة وهى الدمعة (٢) ثمت هى ثم زيدت عليها تاء التأنيث . انثنى انعطف . مستلماً ماساً الحجر الأسود بيده أو بفمه . المروتين المراد بهما الصفا والمروة . فسعى فمشى (٣) أوجب الحج ألزمه نفسه . ثنى عمرة ألزم نفسه مع الحج عمرة . عج رفع صوته بالدعاء والتلبية (٤) راح خرج بالرواح وهو الخروج بالعشى . الملبين جمع ملب وهو المجيب بالتلبية . تحجى أقام . المأزمان جبلان بين مزدلفة ومنى . منى محل رمى الجمار بمكة (٥) التعريف وعرفات واحد وهو اسم موضع من مناسك الحج . يقرو يتتبع المواضع . مخبتاً متواضعاً مخلصاً لله تعالى . الآل موضع بعرفات . النقا الرمل (٦) استأنف ابتدأ . السبع رمى الجمار السبع سبعاً أراد الثانية التى تلى الاولى . السعى المشى . العقاب جمع عقبة . الصوى الكدى تقدمت جمع صوة (٧) راح للتوديع لتوديع البيت الحرام كما يفعل الحجاج بأن يطوف به سبعاً ويسعى بين الصفا والمروة . أحرز أجرا ملكه وأصابه . قلى أبغض . هجر بضم الهاء القبيح من الكلام . اللغا الباطل من الكلام

بذاك أم بالخيل تعدو المرطى ... ناشزة أكتادها قب الكلى (١)
شعثاً تعادى كسراحين الغضا ... ميل الحمالق يبارين الشبا (٢)
يحمان كل شمرى باسل ... شهم الجنان خائض غمر الوغى (٣)
يغشى صلا الحرب بحديه اذا ... كان لظى الحرب كريه المصطلى (٤)
لو مثل الحتف له قرنا لما ... صدته عنه هيبة ولا انثنى (٥)
ولو حمى المقدار عنه مهجة ... لرامها أو يستبيح ما حمى (٦)
تغدو المنايا طائعات أمره ... ترضى الذى يرضى وتأبى ما أبى (٧)

(١) أقسم بذاك أم بالخيل . تعدو تجرى . المرطى ضرب من العدو وهو السهل منه . ناشزة مرتفعة ومنه قولهم قعدت على نشز من الارض أى مرتفع أكتادها جمع كتد وهو العظم الذى يكون فى رأس الكتف . قب ضامرة الكلى جمع كلوه (٢) شعثا مغبرين يعنى مقربين من الله تعالى . تعادى أصله تتعادى تسابق . سراحين ذئاب الواحد سرحان . الغضا شجر يدوم جمره . ميل الحمالق مائلة العيون . يبارين يعارضن . الشبا جمع شباة وشباة كل شئ حده يريد بها هنا اطراف الرماح (٣) يحمان أى الخيل . شمرى مأخوذ من التشمير . باسل شجاع . شهم الجنان حديد القلب . خائض داخل . غمر الماء الكثير . الوغى صيحة الناس فى الحرب (٤) يغشى يدخل . صلا حر النار كلظى (٥) مثل صور . الحتف الهلاك . قرنا الذى يقارنك فى بطش أو قتال أو علم . صدته منعته . هيبة مخافة . انثنى رجع (٦) حمى منع . المقدار القدر مهجة النفس . لرامها لطلبها . أو يعنى حتى . يستبيح يدرك ذلك الشئ نافذاً أمره فيه منصوبة بأن مضمرة بعد أو (٧) تغدو تأتى بالغدوة وورد تعدو أى تسرع . تأبى تكره

بل قسماً بالشمِّ منْ يَعْرُبَ هل ... لِمُقْسِمٍ من بعد هذا مُنْتَهَى (١)
هُمُ الأُولَى ان فَخَرُوا قال العلا ... بِفِيَّ امرىءٌ فاخرْكمْ عفرُ البرَى (٢)
هُمُ الأُولَى أجْرَوْا ينابيعَ النَّدَى ... هامِيَةً لِمَنْ عرا أو اعْتفَى (٣)
هُمُ الذين دَوَّخُوا من انْتخى ... وقَوِّموا مِنْ صَعَرٍ ومنْ صغَا (٤)
هُمُ الذين جَرَّعوا فما حَلُوا ... أفاوقَ الضَّيْمِ مُمَرَّاةَ الحُسا (٥)
أزالُ حَشْوَ نِثْرَةٍ مَوْضونَةٍ ... حتى أُوارَى بين أثناءِ الحَبَى (٦)
وصاحِبيَّ صارِمٌ فى مَتْنِه ... مِثْلُ مَدَبِّ النَّمْلِ يعلو فى الرُّبَى (٧)

---

(١) قسما يميناً . بالشم بالطوال أو اشراف الناس . يعرب قبيلة من العرب تنسب الى يعرب بن يشجب بن قحطان . لمقسم لحالف . منتهى الغاية (٢) الاولى بمعنى هؤلاء . العلا الفخر والرفعة . بفى امرىء أى بفمه . عفر وجه الارض . البرى التراب (٣) ينابيع جمع ينبوع . الندى الجود والكرم هامية سائلة . عرا قصد وتعرض للطلب . أو اعتفى أو طلب من غير تعرض (٤) دوخوا اذلوا . انتخى تكبر . صعر تكبر أيضاً واصل الصعر الميل وهو أن يميل الانسان من التكبر . صغا الميل (٥) جرعوا سقوا . ماحلوا خاصموا أفاوق هو شرب مقطع نفس بعد نفس . الضيم الذل . ممراة مدرة . الحساجمع حسوة وهو أخذك الشىء بفمك متجرعاً له قليلا قليلا (٦) أزال جواب القسم محذوف منه لا . حشو ماأدخل فى جوفه فكأنه صار حشواً اذا لبسها نثرة درع واسع . موضونة محكمة النسج . أوارى أغطى . أثناء جمع ثنا وهو ماانثنى منها أى تراكب على بعض . الحبى جمع حبوة وهو الثواب المتجمع (٧) صاحبى يعنى سيفه وفرسه . صارم قاطع . فى متنه الجار والمجرور خبر مقدم لقوله مثل والجملة صفة لصارم ومتنه أى ظهره . مدب النمل ودبيبه مشيه يريد فرند

أبيض كالملح اذا انتضيته ... لم يلق شيئاً حدُّهُ إلاَّ فرَى (١)
كأنّ بين غيره وغربه ... مُفتأداً تأكّلت فيه الجذى (٢)
يُرى المنونَ حين تقفو إثرَهُ ... فى ظُلَمِ الأكباد سُبلاً لا تُرَى (٣)
اذا هوى فى جُثّةٍ غادرها ... من بعد ما كانت خساً وهى زكا (٤)
ومُشرِفُ الأقطار خاظٍ نَحضُهُ ... حانى القصيرَى جرشعٍ عَرْدِ النسَى (٥)
قريبُ ما بين القطاةِ والمطا ... بعيدُ ما بين القذالِ والصلا (٦)
سامى التليل فى دسيعٍ مُفعَمٍ ... رحب اللبانِ فى أمينات العُجى (٧)

السيف • يعلو يرتفع • الربى جمع ربوة وهى ما ارتفع من الارض (١) انتضيته جردته من غمده • فرى قطع (٢) العير هنا الموضع الناتئ فى وسط السيف الغرب الحد يعنى حد السيف • مفتاداً موضع النار • تأكلت أكل بعضها بعضاً • الجذى جمع جذوة وهى الجمرة العظيمة (٣) المنون المنية • تقفو تتبع سبلا طرقاً يريد ان هذا السيف دليل المنية فهو يريها طرق الموت وهذا من رقيق الشعر (٤) هوى وقع • فى بمعنى على • جثة الجسد • غادرها تركها • خسا فردا • زكا الزوج يعنى به انه اذا وقع هذا السيف على جسد جعله قطعتين بعد ان كان قطعة واحدة (٥) مشرف مرتفع عالى • الاقطار النواحى • خاظ غليظ النحض اللحم • حانى مرتفع • القصيرى ضلع فى الجنب وهى الضلع السفلى • جرشع غليظ الاضلاع أو الضخم الصدر وهو محمود فى الخيل • عرد الشديد من كل شىء • النسى عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعروق حتى ينتهى الى الرسغ (٦) القطاة مكان الردف • المطا الظهر كله سمى بذلك لانه يمطى أى يركب • القذال من رأس الفرس معقد عذاره أى حيث ينعقد عذاره وهو ما بين الاذنين والعذار وهو اللجام • الصلا العجز وهو آخر الوركين (٧) سامى هو العالى المرتفع

رُكِّبْنَ فى حَوَاشِبٍ مُكْتَنَّةٍ ... الى نُسُورٍ مثل ملفوظ النَّوَى (١)
يَرْضَخُ بالبِيدِ الحصى فان رَقَى ... الى الرُّبَى أَوْرَى بها نارَ الحُبا (٢)
يُدِيرُ إغْلِيطَيْنِ فى مَلْمُومَةٍ ... الى لَمُوحَيْنِ بألْحاظِ اللأَى (٣)
مُدَاخَلُ الخَلْقِ رَحِيبٌ شجرُهُ ... مُخْلَوْلِقُ الصَّهْوَةِ مُمْسُودٌ وَأَى (٤)
لا صَكَكٌ يَشِينُهُ ولا فَجَا ... ولا دَخِيسٌ واهِنٌ ولا شَطَا (٥)

التليل العنق . دسيع مغز العنق فى الظهر • مفعم ممتلى • رحب الواسع اللبان الصدر . امينات القويات الصحاح المسلمات الصلاب • العجى جمع عجاية وهى عصب مركب به شئ كفص الخاتم (١) ركبن يعنى العجى . حواشب جمع حوشب وهو عظم فى باطن الحافر • مكتنة مستورة أو مكتنزة • نسور جمع نسر وهى لحمة ناتئة يابسة فى باطن الحافر شبهها بالنواة لصلابتها • ملفوظ النوى ما لفظ منه أى رمى به وطرح والنوى جمع نواة وهى التى داخل التمرة (٢) يرضخ يكسر • البيد جمع بيداء وهى القفر • رقى ارتفع . الربى جمع ربوة • أورى أوقد بها • الحبا دابة تضئ بالليل اسمها الحباحب فرخم لضرورة الشعر (٣) الاغليط وعاء ثم المرخ شبه أذنى الفرس بذلك وهو شبيه بقشور الباقلى الرطب تشبه به آذان الخيل • ملمومة هى الهامة المجتمعة المستوية اللموحين العينان • ألحاظ نظرات جمع لحظة • اللأى الثور الوحشى والأنثى لآة (٤) مداخل الخلق مجموع الخلق • رحيب واسع • شجر هو مجتمع عظم اللحيين • مخلولق أملس • الصهوة من الفرس موضع السرج • ممسود مفتول • وأى الصلب الشديد وهو السريع من الخيل (٥) الصكك احتكاك العرقوبين أحدهما بالآخر • يشينه يعيبه • فجا تباعد ما بين العرقوبين كثيراً وهو الفجج أيضاً والفجا أيضاً تشقق العصب وانتشاره لفساده وهو عيب دخيس تراكم اللحم على حافر الفرس • واهن ضعيف • شطا عظم لاصق بالذراع

يَجْرِى فتَكْبُو الريح فى غاياتِهِ ... حَسْرَى تَلُوذُ بِجَرَائِيمِ السَّحَا (١)

لَو اعْتَسَفْتَ الأرضَ فوق مَتْنِهِ ... يَجُوبها ما خِفْتَ أن يشكو الوَحِى (٢)

تَظُنُّهُ وهو يُرَى مُحْتَجِباً ... عن العيون إذ دَأَى أو إن رَدَى (٣)

إذَا اجْتَهَدْتَ نظرا فى إثْرِهِ ... قُلْتَ سَنًا أو مَضَ أو بَرْقٌ خَفَا (٤)

كأنَّما الجوزاءُ فى أرْسَاغِهِ ... والنَّجم فى جَبْهَتِهِ إذا بَدَا (٥)

هُمَا عِتَادِى الكَافِيانِ فَقَدْ مَنْ ... أعْدَدْتُهُ فَلْيَنْأَ عَنِّى مَنْ نَأَى (٦)

فإنْ سَمِعْتَ بِرَحَى منصوبة ... لِلْحَرْبِ فاعلمْ أنِّى قُطْبُ الرَّحَى (٧)

وان رأيت نارَ حَرْبٍ تَلْتَظِى ... فاعلم بأنِّى مُسْعِرٌ ذاكَ اللَّظَى (٨)

خيرِ النفوسِ السَّائِلاتُ جَهْرَةً ... على ظُبَاتِ المُرْهَفاتِ والقَنَا (٩)

---

(١) فتكبو فتعثر . غايات جمع غاية وهى منتهى جريه . حسرى منكشفة تلوذ تلجأ . جرائيم جمع جرثومة وهو التراب الذى يجتمع فى أصول الشجر السحا ضرب من الشجر (٢) اعتسفت الارض قطعتها باعتساف منك أى على غير هدى . متنه ظهره . يجوبها يقطعها ويخرقها . الوحى أن يبلغ الوجع الى باطن الرسغ (٣) دأى جرى وكذا ردى يقال دأى يدأى دأيا وردى يردى ردياً اذا جرياً جريا سريعاً (٤) سنا الضوء . أو مض أضاء أى لمع لمعاً خفيفاً . الخفو لمع البرق فى نواحى الغيم (٥) الجوزاء نجم معروف وهو التوأمان . أرساغ جمع رسغ وهو مفصل ما بين الحافر والوظيف من كل دابة . النجم هو الثريا يصف غرة الفرس وتحجيله . بدا ظهر (٦) العتاد ما يتخذ عدة للدهر . فلينأ فليبعد من ناء ى اذا بعد (٧) برحى منصوبة يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة أهلها اذا تعاركوا . قطب الحديدة أو الخشبة التى تدور عليها (٨) تلتظى تشتعل . مسعر موقد . اللظى اللهب (٩) جهرة عياناً . ظبات جمع ظبة كثبة حد السيف

ان العراق لم أفارق أهله عَنْ شنآن صدّنى ولا قِلَى (١)
ولا أعطى عَيْنِىَ مُذْ فارقتُهُمْ شيءٌ يروق العين من هذا الورى (٢)
هُمُ الشناخيبُ المُنيفاتُ الذُّرَى والناس أدحالٌ سواهُمْ وهُوَى (٣)
هُمُ البحور زاخرٌ آديُّها والناس ضحضاحٌ ثعابٌ وأضَى (٤)
إنْ كنت أبصرتُ لهم من بعدهم مِثلا فأغضَيْتُ على وَخزِ السَّفا (٥)
حاشا الأميرَيْنِ اللذَيْنِ أوفدا عليَّ ظِلاًّ مِنْ نعيمٍ قد ضفا (٦)
هما اللذانِ أثبتا لى أملا قد وقف اليأس به على شفا (٧)
تلافيا العَيْشَ الذى رَنَّقَهُ صَرْفُ الزمانِ فاستساغَ وَصَفا (٨)

المرهفات السيوف الرقاق. القنا الرماح واحدها قناة (١) العراق قطر معروف على شاطئ دجلة والفرات . شنآن بغض . صدنى منعنى وصرفنى . قلى البغض (٢) اطبى استمال . يروق يعجب (٣) الشناخيب أطراف الجبال واحدها شنخوب . المنيفات المرتفعات الطوال وهى الشواهق . الذرى جمع ذروة وهى اعالى الجبال . أدحال جمع دحل وهى الحفير الغامض من الارض يتسع أسفله ويضيق أعلاه . هوى جمع هوّة بمعنى الدحل (٤) زاخر الماء الكثير الفائض الآدى الموج . ضحضاح الماء القليل . ثعاب جمع ثعب وهو الموضع المطمئن فى أعلى الجبال يستنقع فيه ماء المطر . أضى جمع أضاة وهى الغدران الصغار يعنى انهم البحور والناس ضحضاح أى ماء قليل (٥) اغضيت صبرت على المكروه . وخز طعن غير نافذ وقيل الوخز الطعن بسرعة . السفا شوك شجر يوجد فى البادية يدعى البهمى (٦) أوفدا أرسلا . ضفا كثر من قولهم ضفا ذيل الفرس اذا كثر وطال (٧) شفا الشئ طرفه وحرفه (٨) تلافيا تداركا رنقه كدره والرنق الماء الكدر . صرف الزمان تقلبه من حال الى حال . استساغ

وأجْرَيا ماء الحيَا لى رَغَدًا فاهتزَّ غُصنى بعد ما كان ذَوَى (١)
هما اللذان سَمَوَا بناظرى من بعد اغضائى على لَذْغِ القَذَى (٢)
هما اللذان عَمَّرَا لى جانبا من الرَّجاء كانَ قِدْماً قَدْ عفا (٣)
وقَلَّدَنى مِنَّةً لَوْ قرنتْ بشكر أهل الأرض عنى ماوَفَى (٤)
بالعُشْرِ مِنْ مِعْشارِها وكانَ كاْ حَسْوَة فى آدِىٍّ بَحْرٍ قد طَمَى (٥)
إنّ ابنَ مِيكالَ الأميرَ انْتاشنى من بعدماقد كُنتُ كالشَّىْءِ اللّقا (٦)
ومَدَّ ضَبْعَىَّ أبو العبّاسِ مِنْ بعدِ انقباضِ الذّرْعِ والباعِ الوَزَى (٧)
ذاك الذى مازال يسمو للعلا بفعله حتى علا فوق العُلا (٨)
لوكان يرقى أحد بجوده ومجده الى السماء لَارْتَقَى (٩)
ماإنْ أتى بحرَ نَداهُ مُعْتَفٍ على أُوارَى عَامٍ إلاّ ارْتَوَى (١٠)

سلس فى الحلق وطاب (١) الحيا مقصور الغيث والخصب • رغداً السعة فى العيش • فاهتز غصنى طال وأصل الهز التحريك .ذوى ذبل (٢) سموا بناظرى رفعا ناظرى والباء للتعدية • اغضائى تغافلى .لذغ حرقة • القذى ما يقع فى العين (٣) قدما قديماً • عفا درس (٤) وقلدانى منة أى جعلاها فى عنقى وهو موضع القلادة • منة نعمة وجمعها منن • قرنت قيست • ماوفى ماقام ولا عدل شكرهم (٥) الحسوة الجرعة مما يشرب • آدى الموج • طمى امتلأ وارتفع (٦) ابن ميكال هو عبد الله بن محمد بن ميكال وهو فارسى من أمراء فارس انتاشنى نعشنى • اللقا الشئ المطروح (٧) ضبعى عضدى • ابو العباس هو اسماعيل بن عبد الله المتقدم فمدح الاب والابن • الذرع والذراع واحد الباع قدر مد اليدين ويطلق على الشرف والكرم • الوزى القصير (٨) يسمو يرتفع (٩) يرقى يرتفع (١٠) الندى الكرم • معتفى طالب للرفد • أوارى حرارة

نفسى الفداء لأميرى ومن ... تحت السماء لأميرى الفدا
لازال شكرى لهما مواصلا ... لفظى أو يعتاقنى صرف المنى (١)
إن الأولى فارقت من غير قلى ... مازاغ قلبى عنهم وما هفا (٢)
لكن لى عزما اذا امتطيته ... لمبهم الخطب فآه فانفأى (٣)
ولو أشاء ضم قطريه الصبا ... علىّ فى ظل نعيم وغنى (٤)
ولاعبتنى غادة وهنانة ... تضنى وفى ترشافها برء الضنى (٥)
تفرى بسيف لحظها ان نظرت ... نظرة غضبى منك أثناء الحشا (٦)
فى خدها روض من الورد على الثنـ ... ـرين بالألحاظ منها يجتنى (٧)
لو ناجت الأعصم لانحط لها ... طوع القياد فى شمارخ الذرى (٨)

الشمس والنار • علم جبل صغير • ارتوى اكتفى من الماء وغيره (١) اويعتاقنى أو يصرفنى وأو بمعنى حتى • صرف التقلب • المنى بفتح الميم مقصور المقدر (٢) من غير قلى من غير بغض • مازاغ مامال ولا هفا ولازل (٣) عزما عقداً على فعل أمر • امتطيته ركبته • المبهم من الامور المغلق • فآه شقه (٤) ضم قطريه جمع ناحيتيه . نعيم مامتدعليه منه والنعيم ضد البؤس وهوطيب العيش وسعته (٥) لاعبتنى من اللعب ومعناه مازحتنى • غادة الفتاة الناعمة • وهنانة ثقيلة القيام والقعود وقيل الطيبة الحديث • تضنى تسقم والضنى الهزال من المرض • الترشاف المص أوفوقه • برء الضنى ذهاب السقم أى هى تضنى وفى تقبيلها البرء من السقم (٦) تفرى تقطع • الحظ النظر . غضبى مغتاظة • أثناء الحشا ما انثنى منها أى ما انعطف والحشا الكبد وما اتصل بها (٧) النسرين النور الابيض • الالحاظ النظرات جمع لحظة • يجتنى يقتطف (٨) ناجت كلمت الاعصم الوعل الذى فى احدى يديه بياض وربما كان البياض فيهما وساير بدنه

أوصابت القانتَ فى مخلوقِ مستصعبِ المسالكِ وعرِ المرتقى (١)
ألهاهُ عن تسبيحهِ ودينهِ تانيسها حتى تراهُ قد صبا (٢)
كأنما الصهباءُ مقطوبٌ بها ماءٌ جنى وردٌ اذا الليلُ عسا (٣)
يمتاحهُ راشفُ بردِ ريقها بين بياضِ الظلمِ منها واللمى (٤)
سقى العقيقَ فالحزيزَ فالملا الى النحيتِ فالقريّاتِ الدُّنا (٥)
فالمربدَ الأعلى الذى تلقى به مصارعَ الأسدِ بألحاظِ المها (٦)
محلَّ كلِّ مقرمٍ سمتْ به مآثرُ الأباءِ فى فرعِ العلا (٧)

أسود أو أحمر • لانحط لنزل • القياد التذلل • شماريخ رؤوس الجبال واحدها شمراخ • الذرى أعالى الجبال واحدها ذروة (١) صابت صادفت • القانت القائم بالعبادة • مخلوق الجبل الأملس • مستصعب صعب • وعر الصعب المرتقى المصعد (٢) ألهاه شغله • تأنيسها أنسها وحديثها • صبا مال ولها (٣) الصهباء الخمرة • مقطوب ممزوج • ماء جنى ورد أى ما أخذ من الورد طرياً عسا الليل أظلم (٤) يمتاحه يستقيه • راشف المتناول الشراب بشفتيه • الظلم بفتح الظاء الاسنان البيض حتى كأنها من شدة البياض يعلوها سواد • اللمى سمرة الشفتين (٥) العقيق والحزيز والملا والنحيت مواضع بالبصرة ونواحيها • القريات جمع قرية مصغرة • الدنا جمع دنيا مؤنث أدنى بمعنى القريب (٦) المربد موضع بالبصرة بفتح الميم وكسر الباء • مصارع الاسد مواضع سقوطها عند الموت وأراد بالاسد الرجال وأراد أنهم صرعوا • بالحاظ المها أى قتلتهم الحاظ النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهى البقر الوحشى الواحدة مهاء والحاظ نظرات (٧) مقرم السيد الكريم وأصله فحل الابل . مآثر جمع مأثرة وهى الصنيعة الحسنة • فرع كل شىء أعلاه

مِنَ الأُولَى جَوْهَرُهُمْ اذا اعتزُوا ... مِنْ جَوْهَرٍ مِنْهُ النَّبِيُّ المُصْطَفَى (١)

صلى عليه الله ما جَنَّ الدُّجى ... وما جرتْ فى فَلَكٍ شمسُ الضُّحَى (٢)

جَوْنٌ أغارَتْهُ الجَنُوبُ جانِباً ... منها وَوَاصَتْ صَوْبَهُ يُدُ الصَّبَا (٣)

نَأَى يَمانِياً فَلَمَّا انتَشَرَتْ ... أحْضانُهُ وامْتَدَّ كَسْرَاهُ غَطَا (٤)

فَجَلَّلَ الأُفْقَ فكلُّ جانِبٍ ... منها كأنْ مِنْ قُطْرِهِ المُزْنَ حَبَا (٥)

وَطَبَّقَ الأرضَ فكلُّ بُقْعَةٍ ... منها تَقُولُ الغَيْثُ فى هاتا ثَوَى (٦)

إذَا خَبَتْ بُرُوقُهُ عَنَّتْ لها ... ريحُ الصَّبا تُشِبُّ منها ما خَبَا (٧)

وإنْ ونَتْ رُعُودُهُ حَدَا بها ... راعِى الجَنُوبِ فَحَدَتْ كما حَدَا (٨)

(١) من الأولى من الذين . جوهرهم أصلهم . اذا اعتزوا اذا انتسبوا المصطفى المختار صلى الله عليه وسلم (٢) جن الدجى أظلم وستر والدجى الظلمة (٣) جون فاعل سقى المتقدمة وهى هنا السحاب الاسود وتأتى للابيض ضد أغارت أنزلت . الجنوب الريح القبلية تجئ بالمطر . واصت واصلت . الصوب نزول المطر . الصبا الريح الشرقية (٤) نأى يمانياً أى طلع من ناحية اليمن يريد الغيم . انتشرت كثرت . احضانه نواحيه وأصل الحضن مادون الابط الى الكشح . كسراه تثنية كسر وهو طنب الخبا وانما كنى بالكسرين عن أذيال السحاب ويريد أن السحاب جرّت على الأرض أذيالها . غطا ارتفع أو انبسط (٥) جلل فغطى . الافق الناحية وجمعه آفاق . من قطره بضم القاف من ناحيته وجمعه أقطار . المزن السحاب والواحدة مزنة . حبا امتلأ ودنا يريد السحاب (٦) طبق الارض غطى الارض . فكل بقعة فكل مكان . فى هاتا فى هذه . ثوى أقام (٧) خبت بروقه أى خمدت وسكنت . عنت عرضت تشب توقد (٨) وان ونت ضعفت وفترت . حدا بها ساقها بالحداء وهو

كأنّ فى أحضانهِ وبَرْكِهِ ... بَرْكاً تداعى بين سَجْرٍ ووَحى (١)

لم تر كالمُزْنِ سَواماً بُهلاً ... تَحْسِبُها مَرْعِيَةً وهى سُدَا (٢)

تقولُ للأجْرازِ لمّا استوسَقَتْ ... بِسَوْقِهِ ثِقى بِرِىٍّ وحيَا (٣)

فأوْسَعَ الأحْدابَ سَيْباً مُحْسِباً ... وطَبَّقَ البُطْنانَ بالماءِ الرَّوِى (٤)

كأنما البَيْداءُ غِبَّ صَوْبِهِ ... بحرٌ طما تيّارُهُ ثمّ سَجا (٥)

ذاكَ الجِدا لا زال مخصوصاً به ... قومٌ همُ للأرض غَيْثٌ وجِدا (٦)

صوت السائق الذى يسوق الابل بالغناء . راعى الذى يرعى الابل أى يحفظها . الجنوب الريح القبلية . فحدت فساقت . كما حدا كما ساق (١) كأن فى احضانه فى نواحى هذا الافق فالضمير عائد على الافق أو على السحاب وهو أحسن . البرك الأول الصدر والثانى الابل . تداعى تتداعى والتداعى هو أن يدعو بعضها بعضاً . سجر حنين وهو طلب الناقة الى ولدها وهو صوت شجى . ووحى الصوت (٢) المزن السحاب . سواما ابلا راعية . بهلا هى التى لم تحلب فتركت ضروعها ملأى من ألبانها . سدى المهملة التى لا راعى لها (٣) الأجراز جمع جرز وهى الأرض الصلبة التى لم يصبها المطر . استوسقت حملت ما يكفيها من الماء . ثقى برىّ اطمئنى برىّ أى بشبع من الماء . حيا خصب (٤) الأحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ . سيباً عطاء محسباً كافيا . طبق غطى . البطنان جمع بطن وهو الغامض من الارض . الروى الماء الكثير (٥) البيداء القفر . غب صوبه عقب مطره وانتصب غب على الظرف والصوب نزول المطر . طما ارتفع . تياره موجه . سجا سكن (٦) الجدا الاول النائل والعطاء والذى فى آخر البيت يحتمل ان يكون أراد به الجداء بالمد وهو الغناء ثم قصره لضرورة الشعر ويحتمل أن يكون المراد به المعنى الاول

لستُ اذا ما بهظتنى غمرةٌ ... ممن يقول بلغَ السَّيلُ الزُّبى (١)
وان ثوَت تحت ضلوعى زفرةٌ ... تملأُ ما بين الرَّجا الى الرَّجا (٢)
نهنهتُها مكظومةً حتى يُرَى ... مخضوضعاً منها الذى كان طغا (٣)
ولا أقول ان عرتنى نكبةٌ ... قول القنوطِ انقدَّ فى البطنِ السَّلا (٤)
قد مارستْ منّى الخطوبُ مارِساً ... يُساورُ الهولَ اذا الهولُ علا (٥)
لِىَ التواءٌ انْ مُعادِىَّ التوَى ... ولِى استواءٌ انْ مُوالِىَّ استوَى (٦)
طعمى شرىٌّ للعدُوّ تارَة ... والرَّاحُ والأُرْىُ لِمَنْ وُدّى ابتغى (٧)
لَدْنٌ اذا لُوِينتُ سَهْلٌ معطفِى ... ألْوَى اذا خُوشِنتُ مَرْهوبُ الشَّدَا (٨)

(١) بهظتنى شقت علىّ . غمرة هى الكربة والشدة واحدة الغمرات الزبى جمع زبية وهى حفرة تحفر للاسد فى المكان العالى من الارض وليس يبلغها الاسيل عظيم وهو مثل تضربه العرب اذا اشتد بأحدهم الامر (٢) ثوت أقامت . زفرة هى ترجيع الصوت بالبكاء . الرجا الجانب (٣) نهنهتها اكففتها وزجرتها . مكظومة متجرعة . مخضوضعاً متذللا . طغا كثر أو تكبر (٤) عرتنى أصابتنى . نكبة مصيبة . القنوط اليائس . انقد انقطع . السلا بفتح السين المشيمة التى تتعلق بالولد وتسقط معه (٥) مارست عاركت وضاربت الخطوب الامور . مارسا شديداً . يساور الهول يغالبه ويطاوله والهول الشدة علا ارتفع (٦) التواء انعواج . معادى العدو . الموالى الصديق الذى يوالى استوى اعتدل (٧) شرى حنظل . الأرى العسل الابيض . ابتغى طلب (٨) لدن لين . لوينت أخذت باللين وضده . معطفى رجوعى . الوى شديد الخصومة خوشنت أخذت بالخشونة وهى الصعوبة أو صرعت . مرهوب مخوف الشدا الحدة أو الاذى

يَعتصِمِ ٱلحلمُ بِجنبَيْ حبوَتِى ... اذا رياحُ ٱلطيشِ طارَتْ بِٱلحُبا (١)

لا يَطيبِنى طمَعٌ مُدنِّسٌ ... إذا ٱستمالَ طمعٌ أواطَبى (٢)

وقد عَلَتْ بى رُتبا تجارُبى ... أشفينَ بى منها على سُبلِ ٱلنُّهى (٣)

إن امرؤٌ خيفَ لافراط الأذى ... لم يُخشَ منى نزقٌ ولا أذى (٤)

من غير ماوهنٍ ولَدنى امرؤٌ ... أصونُ عرضاً لم يُدَنِّسْهُ الطَّخا (٥)

وصَونُ عِرضِ المرءِ أن يبذلَ ما ... ضَنَّ به مِمّا حواهُ وٱنتَصَى (٦)

والحمد خير ما ٱتَّخذتَ عِدَّةً ... وأنفس الأذخار من بعد التُّقَى (٧)

وكلُّ قَرنٍ ناجِمٍ فى زمنٍ ... فهو شبيهُ زمنٍ فيه بدا (٨)

والنّاس كالنَّبت فمنهم رائقٌ ... غَضٌّ نَضيرٌ عُودُه مرُّ ٱلجنى (٩)

ومنهُ ما تقتحِمُ العين فان ... ذُقتَ جناهُ ٱنساغَ عذباً فى ٱللها (١٠)

يقوَّمُ ٱلشارخُ مِنْ زيغانِهِ ... فيستوى ما انعاجَ منه وٱنحنى (١١)

---

(١) يعتصم يتمسك . بجنبى بناحيتى . حبوتى شد الازار على الركبتين والظهر الطيش خفة العقل . بالحبا جمع حبوة (٢) لا يطيبنى لا يستميلنى . مدنس موسخ . اذا استمال قادوجذب . اطبى استمال أيضاً (٣) تجاربى جمع تجربة الاختبار . اشفين بى أشرفن بى . النهى العقول (٤) الافراط أن يبلغ الامر فوق حده . نزق خفة (٥) وهن ضعف . لم يدنسه لم يوسخه . الطخا العيب (٦) انتصى اختار (٧) عدة عمدة . الاذخار جمع ذخر وهو المخبوء (٨) وكل قرن أى وكل أمة . ناجم مرتفع (٩) رائق معجب . غض الطرى الاخضر الناعم وكذلك النضير . الجنى ما قطف من الثمر (١٠) تقتحم العين تتركه كرهاً له وتعدوه الى غيره . جناه ما أجتنى منه . انساغ سهل بلعه . عذباً حلواً اللها جمع لهاة وهى اللحمة المعلقة بأصل الحنك (١١) الشارخ الشاب الحدث

والشيخ إن قوّمته من زيغه ... لم يقم التثقيف منه ما التوى (١)
كذلك الغصن يسير عطفه ... لدنا شديد غمزه إذا عسا (٢)
من ظلم الناس تحاموا ظلمه ... وعز عنهم جانباه واحتمى (٣)
وهم لمن لان لهم جانبه ... أظلم من حيات أنباث السفا (٤)
عبيد ذى المال وان لم يطمعوا ... من غمره فى جرعة تشفى الصدى (٥)
وهم لمن أملق أعداء وان ... شاركهم فيما أفاد وحوى (٦)
عاجمت أيامى وما ألغز كمن ... تأزر الدهر عليه واعتدى (٧)
لا يرفع اللب بلا جد ولا ... يحطك الجهل اذا الجد علا (٨)
من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما ... راح به الواعظ يوما أو غدا (٩)
من لم تفده عبرا أيامه ... كان العمى أولى به من الهدى (١٠)

المستقبل للشباب وشرخ الشباب أوله • زيغانه يقال زاغ الشئ اذا مال • انعاج انعطف . انحنى مثله (١) • من زيغه من ميله • لم يقم أى يقوم • التثقيف التقويم . ما التوى ما أنعوج (٢) لدنا لينا • الغمز التقويم • عسا صلب (٣) تحاموا ظلمه تباعدوا عنه • عز عنهم امتنع عنهم والعزة القوة والشدة . احتمى امتنع (٤) لان ضعف وسهل • الانباث التراب المستخرج من البئر . السفا ماتسفه الريح (٥) الغمر الماء الكثير • الجرعة القليل من الماء • تشفى تبرى الصدى العطش (٦) أملق افتقر (٧) عاجمت أيامى ماضغتها واختبرتها . الغر الذى لم يجرب الامور • تأزر من الآزار (٨) لا يرفع اللب من الرفعة أى لا تعلو منزلته واللب العقل وجمعه الباب الجد بالفتح الحظ والبخت (٩) راح أتى بالعشى • غدا أتى بالغدو (١٠) من لم تفده أى تكسبه • عبرا جمع عبرة وهى التذكرة

مَنْ قاس ما لم يره بما يرى ... أراهُ ما يدنو اليه مانأى (١)
مَنْ ملَّكَ الحرصَ القيادَ لم يزل ... يكرعُ من ماءِ الذُّلِّ صَرى (٢)
مَنْ عارض الأطماع باليأس رنت ... اليه عينُ العزِّ من حيثُ رنا (٣)
مَنْ عطف النفس على مكروهها ... كان الغنى قرينه حيثُ انتوى (٤)
مَنْ لم يقف عند انتهاء قدره ... تقاصرت عنه فسيحاتُ الخُطا (٥)
مَنْ ضيَّعَ الحزم جنى لنفسه ... ندامةً أذْعَرَ من سفع الذكا (٦)
مَنْ ناط بالعُجْبِ عُرَى أخلاقه ... نيطت عُرَى المقت الى تلك العرى (٧)
مَنْ طالَ فوق منتهى بَسْطَتِهِ ... أعجزَهُ نيلُ الدُّنى بلهَ القصا (٨)
من رام ما يعجزُ عنه طَوْقُهُ ... ملعبُ يوماً آضَ مَجْزُولَ الْمطا (٩)

---

(١) من قاس من مثل . اراه مايدنو أى مايقرب . مانأى مابعد (٢) القياد الطاعة . يكرع يشرب بفيه بدون آلة . صرى الماء الدائم الذى قد طال مكثه جمع صراة (٣) الاطماع جمع طمع . اليأس انقطاع الرجاء رنت نظرت (٤) عطف أمال ورد . قرينه صاحبه . حيث انتوى أى حيث نوى من النية بمعنى القصد وقيل من النوى وهو البعد (٥) تقاصرت قصرت . فسيحات واسعات . الخطا جمع خطوة (٦) الحزم الاحتراس فى الأفعال . ندامة حسرة . الذع أشد حرقة . سفع الأحراق . الذكا التهاب النار (٧) ناط علق والصق . عرى جمع عروة وهى مايتمسك به . اخلاقه طبائعه . نيطت علقت . المقت أشد الغضب (٨) من طال من ارتفع . البسطة الفضيلة . أعجزه أضعفه . نيل ادراك . الدنى جمع الدنيا وهو الشئ القريب بله بمعنى غير أودع . القصا جمع القصوة وهو الشئ البعيد (٩) رام طلب . مايعجز عنه مايقصر عنه . طوقه طاقته . ملعب أصله من اللعب وهو الثقل وجمعه اعباء

وَالناسُ ألفٌ منهمُ كواحد ... وواحدٌ كالألف ان أمرٌ عنى (١)

وللفتى من ماله ما قدَّمتْ ... يداهُ قبل موته لا ما اقتنى (٢)

وَإنّما المرء حديثٌ بعده ... فكن حديثاً حسناً لمن وعى (٣)

انّى حلبْت الدّهر شطريه فقد ... أمرَّ لى حيناً وأحياناً حلا (٤)

وَفرَّ عن تجربة نابى فقلْ ... فى بازلٍ راض الخطوب وامتطى (٥)

والناس للموتِ خلاً يلسُّهمْ ... وقلَّ ما يبقى على اللسّ الخلا (٦)

عجبت من مُستيقنٍ أنّ الرَّدى ... اذا أتاه لا يُداوى بالرُّقى (٧)

وهو من الغفلةِ فى أهويةٍ ... كخابطٍ بين ظلام وعشا (٨)

نحن ولا كُفْرانَ لله كما ... قد قيل للسّاربِ أخلى فارْتعى (٩)

اذا أحسَّ نبأةً رِيعَ وان ... تطامنتْ عنه تمادى ولها (١٠)

آض رجع • مجزول مقطوع • المطا الظهر (١) عنى قصد أولزم (٢) اقتنى أكتسب (٣) لمن وعن لمن حفظ (٤) حلبت الدهر جربته • شطريه نصفيه واراد بشطريه أول زمانه وآخره أو نعيمه وبؤسه (٥) وفر عن تجربة نابى أى كشف عن أمرى وهذا مأخوذ من قولهم فرعن الدابة اذفتح فاهاليعرف سنها وينظر صغرها من كبرها • بازل من الأبل الذى أنت عليه تسعة أعوام راض الخطوب اذ لها . امتطى الدابة ركبها (٦) الخلا الحشيش الرطب. يلسهم يأكلهم (٧) مستيقن عالم • الردى الهلاك • الرقى جمع رقية (٨) الاهوية الغامض من الارض • الخابط الذى يمشى ليلا بغير مصباح • العشا ضعف فى البصر (٩) كفران والكفر واحد وأصل الكفر التغطية • السارب الظاهر بماله من الماشية وكل متصرف فى حوائجه فهو سارب أى ذاهب • اخلى يقال اخلى الله الماشية أنبت لها الحشيش (١٠) احس يعنى السارب أى علم • نبأة الصوت الخفى

كَثلَّةٍ رِيعَتْ لِلَيْثٍ فانْزَوَتْ حتى اذا غاب اطْمَأَنَّتْ إنْ مَضَى (١)
نُهالُ للسَّيرِ الذى يَرُوعنا ونَرْتَعِى فى غفلةٍ إذا انْقَضَى (٢)
ان الشقاء بالشَّقِىِّ مُولَعٌ لا يملكُ الرَّدَّ له اذا أتَى (٣)
واللوم للحرِّ مُقِيمٌ رَادِعٌ والعَبْدُ لا يَرْدَعُهُ إلاّ العصا (٤)
وآفَةُ العقل الهوى فمن علا على هواهُ عقلُهُ فقد نجا (٥)
كَمْ مِن أخٍ مسخُوطَةٍ أخلاقه أصفيتُه الوُدَّ لِخُلْقٍ مُرتَضَى (٦)
اذا بَلُوْتَ السَّيْفَ محموداً فلا تَذْمُمْهُ يوماً أنْ تراه قد نَبَا (٧)
والطِّرْفُ يجتازُ المدَى وربَّما عَنَّ لِمَعْدَاهُ عِثارٌ فكَبَا (٨)
مَنْ لَكَ بالمُهذَبِ النَّدْبِ الذى لا يجدُ العيبُ اليه مُخْتَطَى (٩)

ريع فزع (١) ثلة بالفتح الجماعة من الغنم وبالضم الجماعة من الناس والمراد الأول • ريعت فزعت • انزوت انقبضت • اطمأنت هدأت وسكنت (٢) نهال نفزع • يروعنا يفزعنا • نرتعى نرعى • انقضى ذهب (٣) مولع المغرم بالشئ لا يملك الرد له أى لا يملك الدفع والصرف (٤) اللوم بالفتح من الملامة وهى العتاب • مقيم مصلح • رادع كاف (٥) آفة العقل مضرته ومفسدته • الهوى الشهوة . علا ارتفع (٦) مسخوطة من السخط وهو ضد الرضى . أخلاقه طبائعه • أصفيته الود أخلصت له الود • مرتضى مستحسن (٧) بلوت اختبرت • نبا ارتفع عن المضروب ولم يقطع فيه شيئاً (٨) الطرف بالكسر الكريم من الخيل . يجتاز يجوز . المدى الغاية • عنَّ عرض • لمعداه لجريه . عثار مصدر عثر يعثر عثارا اذا كبا أى سقط لوجهه (٩) المهذب العاقل الظريف • الندب الرجل الخفيف فى الحاجة . مختطى ممشى وهو من خطى يخطو اذا مشى

اذا تصفحتَ أمورَ الناس لم تُلف امرءاً احاز الكمال فاكتفى (١)
عوّلْ على الصبر الجميل انه أمنعُ مالاذ به أولُو الحجا (٢)
وعطّف النفس على سُبْلِ الأسا اذا استفزّ القلبَ تبريحُ الجوى (٣)
والدهر يكبو بالفتى وتارة ينهضُهُ من عثرةٍ اذا كبا (٤)
لاتعجبنْ من هالكٍ كيف هوى بل فاعجبنْ من سالمٍ كيف نجا (٥)
إنّ نجومَ المجدِ أمست أفلاً وظلّهُ القالصُ أضحى قد أزى (٦)
إلاّ بقايا من أناسٍ بهمِ الى سبيلِ المكرُماتِ يُقتدى (٧)
اذا الأحاديث انتضتْ أنباءهُمْ كانت كنشر الرّوض غاداه السّدى (٨)
لا يسمع السّامع فى مجلسهم هُجْراً اذا جالسهم ولا خنا (٩)
ما أنعمَ العيشةَ لوْ أنّ الفتى يَقبَل منه الموتُ أسناء الرُّشا (١٠)
أوْ لوْ تحلّى بالشباب عمرُهُ لم يَستبِلْهُ الشّيبُ هاتيكَ الحُلى (١١)

(١) تصفحت نظرت واستقصيت . لم تلف لم تجد . اكتفى أى اجتزأ به (٢) عول على الصبر أى ارجع اليه واعتمد عليه . أمنع أحمى وأقوى الحجا العقل (٣) الاسا التصبر . استفز استخف . تبريح شدة . الجوى فساد الجوف (٤) يكبو يعثر (٥) هوى سقط (٦) أفلا غائبات . القالص المرتفع وفرس قالص طويل القوائم . أزى قصر وتقبض (٧) يقتدى يتبع فعلهم (٨) انتضت أظهرت من نضا الشيء اذا ظهر . الانباء الاخبار . النشر الرائحة الطيبة . الروض الموضع الذى يكون فيه ضروب من النبات غاداه . باكره السدى الندى فى هذا الموضع وهو المطر (٩) هجراً بضم الهاء القبيح من القول وكذا الخنا أيضاً (١٠) العيشة الحياة . أسناء الرشا أرفعها وأعلاها والرشا جمع رشوة وهى العطية التى يحابى بها الانسان (١١) تحلى بالشباب

هيهات مهما يُستَعَرْ مُسترجعٌ ... وفى خطوب الدهر لناس أُسَى (١)

وَفِتيةٍ سامرهم طيفُ الكرى ... فسامروا النوم وهم غِيدُ الطُّلَى (٢)

والليل مُلقٍ بالمَوامى بَرْكَهُ ... والعِيسُ يَنْبُثْنَ أفاحيصَ القطا (٣)

بحيثُ لا تُهدَى لسمع نَبأةٌ ... إلاّ نَئِيمُ البُوم أو صوتُ الصَّدَى (٤)

شايعتُهم على السُّرَى حتى اذا ... مالَت أداةُ الرَّحلِ بالجِبسِ الدَّوَى (٥)

قلت لهم إنّ الهُوَينَا غِبُّها ... وهنٌ فجِدُّوا تحمَدُوا غِبَّ السُّرَى (٦)

ومُوحِشِ الأقطارِ طَامٍ ماؤُهُ ... مُدعَثِرِ الأعضادِ مَهزُومِ الجبا (٧)

كأنما الرِّيشُ على أرجائِهِ ... زُرْقُ نِصالٍ أُرهِفَتْ لِتُنتَهَى (٨)

وَرَدتُهُ والذِّئبُ يعوى حولَهُ ... مُستَكُّ سُمِّ السَّمْعِ من طولِ الطَّوَى (٩)

لبسه وتزى به • لم يستبله لم يجرده . الحلى جمع حلية (١) هيهات بمعنى ما أبعد مسترجع مردود • اسى جمع أسوة وهى ما يتأسى به الانسان مما ينزل بغيره (٢) سامرهم حادثهم ليلا . غيد جمع أغيد وهو الناعم • الطلى الأعناق (٣) المواى جمع مومأة وهى القفر • البرك الصدر • العيس البيض من الابل ينبثن يخرجن • افاحيص القطا أوكارها واحدها أفحوص (٤) نبأة الصوت الخفى . نئم البوم صوته والبوم الهام • الصدى ذكر الهام (٥) شايعتهم تابعتهم على رأيهم فى سير الليل . السرى سير الليل • أداة الرحل حوائج الرحل الجبس الرجل الثقيل • الدوى الأحمق (٦) وهن ضعف . فجدوا فاجتهدوا (٧ موحش الأقطار يعنى به بئراً أو حوضاً والموحش ضد المؤنس والأقطار النواحى . طام مرتفع • مدعثر مهدوم • الأعضاد ماحواليه من صفائح الحجارة التى تعضده • الجبا بفتح الجيم ماحول البئر أو الحوض (٨) أرجائه نواحيه زرق نصال بيض نصال • أرهفت رققت • تنتهى تسقى بالماء (٩) وردته يعنى

ومُنتجٌ أمُّ أبيه أمُّه ... لم يتخوَّن جسمَهُ مَسُّ الضَّوَى (١)
أفرشتْهُ بنتَ أخيه فاثنتْ ... عن ولَدٍ يُورَى به ويُشتَوَى (٢)
ومَرْقَبٍ مُخلَوْلِقٍ أرجاؤُهُ ... مُستَصعَبِ المسلَكِ وعْرِ المُرْتَقَى (٣)
والشخص فى الآلِ يُرَى لناظر ... تَرْمُقُهُ حيناً وحيناً لا يُرَى (٤)
أوْفيتُ والشمس تَمُجُّ رِيقَها ... والظِّلُّ من تحت الحِذاءِ مُحتَذَى (٥)
وطارِقٍ يُؤنِسُهُ الذِّئبُ اذا ... تَضَوَّرَ الذِّئبُ عِشاءً وانضَوَى (٦)
آوَى الى نارِىَ وهى مَأْلَفٌ ... يدعو العُناةَ ضوءُها الى القِرَى (٧)

وردت هذا الماء والهاء عائد على الماء فى قوله طام ماؤه . يعوى يصيح من الجوع مستك ضيق سم السمع . والاستكاك الصمم . سم الثقب . الطوى الجوع وأيضاً خمص البطن وهو ضموره (١) ومنتج يريد رب غضن منتج أى مولود . أم أبيه أمه يرد غضنا قطع من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع والفرع جعله للغضن بمنزلة الأب على الاستعارة والشجرة أم الفرع وأم الغضن لانه منها فصارت أماً لابيه وأماً له . لم يتخون لم يتعاهد . الضوى الهزال (٢) أفرشته بنت أخيه حككت به غضناً آخر . عن ولد يريد عن شرار . يورى يشتعل . يشتوى أى يشتوى به يقال شويت اللحم واشتويته (٣) مرقب الموضع العالى الذى ينظر منه الى بعد . مخلولق أملس . أرجاؤه نواحيه . مستصعب صعب . المسلك الطريق (٤) الشخص سواد الانسان وغيره تراه من بعد . الآل السراب . ترمقه تنظره . حيناً وقتاً (٥) أوفيت أتيت ووصلت أى اليه . تمج تلقى . ريقها لعابها ولعاب الشمس انما يكون فى وقت الظهيرة وهو مثل نسج العنكبوت يترآى فى الشمس . الحذاء النعل . محتذى ماصق (٦) وطارق الذى يجىء بالليل . تضور صاح من الجوع (٧) آوى الى نارى . أى انضم الى نارى

لله ماطيف خيال زائر تزفه للقلب أحلام الرؤى (١)
يجوب أجواز الفلا محتقرا هول دجى الليل اذا الليل انبرى (٢)
سائله إن أفصح عن أنبائه أنى تسدى الليل أم أنى اهتدى (٣)
أو كان يدرى قبلها مافارس وما مواميها القفار والقرى (٤)
وسائلى بمزعجى عن وطنى ما ضاق بى جنابه ولا نبا (٥)
قلت القضاء مالك أمر الفتى من حيث لايدرى ومن حيث درى
لاتسألنى وانسأل المقدار هل يعصم منه وزر ومزدرى (٦)
لابد أن يلقى امرؤ ما خطه ذو العرش مما هو لاق ووحى (٧)

مألف الموضع الذى يجتمع فيه الاحباب • العفات الفقراء (١) لله ما طيف اللام فى هذا بمعنى التعجب وما زائدة الطيف ما يراه النائم فى صورة محبوبه خيال الشخص الذى يتخيل لك • تزفه تحمله (٢) يجوب يقطع (أجواز) أوساط • الفلا جمع فلاة وهى القفر من الارض . دجى جمع دجية وهى الظلمة • انبرى اعترض (٣) سائله يعنى الخيال • عن أنبائه أى عن أخباره ان أفصح أى ان أبان • أنى كيف تسدى قطع الليل بالسير • أم أنى اهتدى معناه من أين اهتدى (٤) أو كان يدرى قبلها يريد قبل هذه الزروة. مافارس يريد فارس • المواسى واحدها موماة وهى الارض المقفرة (٥) بمزعجى بمريلى ومخرجى والباء بمعنى عن فكأنه قال وسائلى عن مزعجى • الجناب بفتح الجيم الناحية • ولانبا ولا ضاق (٦) لا تسألنى يخاطب السائل الذى حكى عنه سؤاله عن انزعاجه عن وطنه . المقدار القدر . يعصم يمنع . وزر الجبل المنيع والملجأ • مزدرى محتقر (٧) ووحى معطوف على خطه ومعنى وحى كتب

لا غرو إن لج زمان جائر فاعترق العظم الممخ وانتقى (١)
فقد ترى القاحل المخضرا وقد تلقى أخا الإقتار يوما قد نما (٢)
يا هؤليا هل نشدتن لنا ناقبة البرقع عن عيني طلا (٣)
ما أنصفت أم الصبيين التى أصبت أخا الحلم ولما يصطبى (٤)
استحى بيضا بين أفوادك أن يقتادك البيض اقتياد المهتدى (٥)
هيهات ما أسفع هاتا زلة أطربا بعد المشيب والجلا (٦)
يارب ليل جمعت قطريه لى بنت ثمانين عروسا تجتلى (٧)

(١) لا غرو لا عجب . لج عرض . فاعترق المظم أى أزال عنه اللحم . الممخ الذى فيه المخ . انتقى استخرج منه النقى وهو المخ (٢) القاحل اليابس أخا الاقتار المقل من المال . نما زاد واستغنى (٣) ياهؤليا تصغير هؤلاء . نشدتن طلبتن . ناقبة البرقع أى المتقنعة به . طلا بفتح الطاء ولد البقرة الوحشية (٤) ما أنصفت أم الصبين هذا لفظ تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة العقل والصبيان ما يتخايل فى بوبؤ العين . أصبت أخا الحلم أى رددته الى الصبا وهو اللهو . الحلم العقل . ولما يصطبى أى لم يرد الى الصبا فلما أخت لم النافية (٥) استحى فعل أمر من الاستحياء بمعنى الحياء . بيضا شيباً . بين افوادك جمع فود والفودان جانبا الرأس أى ناحيتاه من يمين وشمال يقتادك يقودك . البيض الثانية النساء . المهتدى الاسير (٦) هيهات كلمة تبعيد . هاتا اشارة للؤنث . زلة خطية وسقطة . الجلا بفتح الجيم انحسار الشعر عن مقدم الرأس (٧) جمعت قطريه أى جانبيه أول الليل وآخره . بنت ثمانين هنا الخمر وانما سماها بنت ثمانين لانه من شربها أوجبت عليه ثمانين جلدة . تجتلى تجلى من جلوت العروس وهو اظهارها

لَمْ يَملِكِ الماءُ عليها أمرَها ... ولم يُدَنِّسْها الضِّرامُ المُحتَضَى (١)

حِيناً هِيَ الدَّاءُ وأحْياناً بِها ... مِنْ دائِها اذا يَهِيجُ يُشتَفَى

قد صانَها الخَمَّارُ لَمَّا اختارَها ... ضِناً بها على سِواها واختَبَى (٢)

فَهِيَ تُرَى من طولِ عهدٍ إنْ بَدَتْ ... فى كأسِها لأعيُنِ النَّاسِ كَلا (٣)

كأنَّ قَرْنَ الشمسِ فى ذُرُورِها ... بِفعلِها فى الصَّحْنِ والكأسِ اقتَدَى (٤)

نازَعتُها أروعَ لا تَسطُو على ... نَديمِهِ شِرَّتُهُ اذا انتَشَى (٥)

كأنَّ نَوْرَ الروضِ نَظْمُ لفظِه ... مُرتَجِلاً أو مُنشِدًا أوْ إنْشَدَا (٦)

مِنْ كلِّ ما نالَ الفَتى قد نِلتُهُ ... والمرءُ يبقى بعدَه حُسْنُ الثَّنا (٧)

فإنْ أُمِتْ فقد تناهت لَذَّتى ... وكلُّ شىءٍ بَلَغَ الحَدَّ انتَهى (٨)

وإنْ أعِشْ صاحَبْتُ دهرى عالِماً ... بما انطَوَى من صَرْفِه وما انتَشَى (٩)

---

(١) لم يملك الماء عليها أمرها يريد لم تمزج بالماء فتكسر حدتها وسورتها ولم يدنسها أى ولم يغيرها • الضرام الحطب الدقيق يوقد به الحطب الغليظ • المحتضى العود الذى تحرك به النار (٢) صانها حفظها • ضناً بخلا اختبى ستر (٣) كلا عمى يعنى انه يعمى من نظر اليها فكيف من شربها (٤) قرن الشمس شعاعها • ذرورها طلوعها يقال ذرت الشمس اذا طلعت الصحن القدح الكبير الواسع الكاس القدح اذا كان فيه خمر • اقتدى أتبع أثره (٥) نازعتها ناولتها وأدرتها • أروع الحسن المنظر الجميل • لا تسطو لا تعدو • النديم الصاحب • الشرة الحدة • انتشى سكر (٦) نور الروض زهر الروض • مرتجلا الذى يأتى بما يخطر على باله على البديهة بغير استعداد شدا غنى ومنه الشادى (٧) الثنا المراد به هنا الثناء وهو فى الأصل أعم للخير والشر (٨) تناهت لذتى بلغت النهاية • الحد هو الشئ الذى لا يتجاوزه (٩) انطوى

حاشا لِمَا أسأرهُ فىَّ الحِجا والحِلمُ أن أتبَعَ رُوَّادَ الخنا (١)
أوْ أن أرَى لِنَكْبَةٍ مُختَضِعاً أو لابتهاجٍ فَرِحاً ومُزْدَهى (٢)

﴿ وقال المثقب العبدى (٣) منها قصيدة ﴾

لا تقولن اذا مالم تُرِدْ أنْ تَمَّ الوعد فى شىء (نَعَم)
حسنٌ قول (نعم) من بعد (لا) وقبيحٌ قول (لا) بعد (نعم)
انّ (لا) بعد (نَعَم) فاحشةٌ فبِلا فابدأ اذا خِفتَ النّدم
واذا قلتَ (نَعم) فاصبر لها بنجاز الوعد انّ الخُلف ذم
أكرِمِ الجار وراعِ حقّه انّ عرفان الفتى الحقّ كَرَم
انّ شرّ الناس من يمدَحنى حين يلقانى وإن غبتُ شَتَم

﴿ ومنها معلقة زهير بن أبى سلمى المزنى ﴾

وأعلمُ مافى اليوم والأمس قبله ولكنّنِى عن عِلمِ مافى غَدٍ عمى
رأيتُ المنايا خَبْطَ عَشواءَ مَن تُصِب تُمِتْهُ ومَن تُخطئْ يُعَمَّرْ فيهرِمِ
ومَن لا يُصانِع فى أمورٍ كثيرة يُضَرَّس بأنياب ويُوطَأْ بِمَنسِمِ
ومن يجعل المعروفَ من دون عِرضه يَفِرْهُ ومَن لا يَتّقِ الشّتمَ يُشتَمِ

استتر . انتشى ظهر (١) حاشا كلمة تبرئة . أسأره أبقاه . الحجا العقل . الحلم التغافل عن كل مكروه يقابل به ويواجه . رواد جمع رائد ورائد القوم رسولهم . الخنا الفحش فى النطق (٢) مختضعاً متذللا . لابتهاج السرور مزدهى المستخف وقيل المعجب (٣) هو محض بن ثعلبة العبدى الشاعر المشهور من أهل العراق وهو جاهلى قديم توفى سنة ١٠٢ قبل الهجرة

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يُستغنَ عنه ويذمم
ومن يوف لا يُذمم ومن يهد قلبه الى مُطمئنّ البرّ لا يتجمجم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرقَ أسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف فى غير أهله يكن حمدُه ذمًّا عليه ويندم
ومن يعص أطراف الزّجاج فإنه يُطيعُ العوالى ركّبت كل لهذم
ومن لا يذُد عن حوضه بسلاحه يُهدّم ومن لا يظلم الناسَ يُظلم
ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقه ومن لا يُكرّم نفسه لا يُكرّم
ومن لم يزل يستر حلُ الناس نفسه ولا يُعفِها يوما من الذُّلّ يندم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلَم
وكائن ترى من صامتٍ لك مُعجب زيادتُه أو نقصُه فى التكلّم
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فُؤاده فلم يَبْقَ إلاّ صورة اللّحم والدّم

وقال الامام على

أما واللهِ انّ الظلم شُومُ ولا زال المسىءُ هو الظّلومُ
الى الدّيّان يوم الدين نمضى وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم فى الحساب اذا التقينا غداً عند المليك مَن الملوم
ستنقطع اللّذاذة عن أناسٍ من الدّنيا وتنقطع الهموم
لأمرٍ ما تصرمت اللّيالى لأمرٍ ما تحرّكت النّجوم
سَلِ الأيّام عن أممٍ تقضّت ستنبيك المعالم والرّسوم
تروم الخُلد فى دار الدنايا فكم قد رام غيرك ما تروم
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبّه للمنيّة يا نؤوم

لهوتَ عن الفناء وأنت تفنى ... فما شىءٌ من الدنيا يدوم
تموتُ غدا وأنت قرير عين ... من الشهوات فى لُجَجٍ تعوم

وقال أيضا

عليك ببرّ الوالدين كليهما ... وبرّ ذوى القربى وبرّ الأباعدِ
ولا تَصحَبَنْ إلاّ تقيّاً مُهذّباً ... عفيفاً زكيّاً مُنجزاً للمواعد
وقارن اذا قارَنتَ حُرّاً مؤدّباً ... فتى من بنى الأحرار زينَ المَشاهد
وكُفّ الأذى واحفَظ لسانَك واتّق ... فَدَيتك فى ودّ الخليل المساعد
ونافِس ببذْل المال فى طَلَبِ العُلى ... بهمّةِ محمودِ الخلائق ماجد
وكن واثقاً باللهِ فى كلّ حادثٍ ... يَصُنْكَ مدى الأيام من شرّ حاسد
وبالله فاستَعصِم ولا ترجُ غيرَه ... ولا تكُ فى النَّعماء عنه بجاحد
وغُضّ عن المكروه طرفَك واجتنِبْ ... أذى الجارِ واستمسك بحبل المحامد
ولا تبْنِ فى الدنيا بناءً مُؤَمِّلٍ ... خُلوداً فما حيٌّ عليها بخالد

وقال أيضا

قَدِّمْ لنفسك فى الحياة تزوُّداً ... فلقد تُفارِقُها وأنت مُوَدِّعُ
واهتَمَّ للسَّفر القريبِ فانّه ... أنأى من السفر البعيد وأشنَعُ
واجعل تزوُّدَك المخافةَ والتُّقى ... فلعلّ حتفَكَ فى مسائكَ أسرَعُ
واقنع بقُوتك فالقَناعُ هو الغنَى ... والفقر مقرون بمن لا يقنَعُ
واحذَر مصاحبة اللئام فانهم ... مَنعوك صفو ودادهم وتصنّعوا
أهلُ المودّةِ ما أُلِمْتَهمُ الرضا ... وإذا منعتَ فسَمُّهم لك مُنقَعُ
لا تُفشِ سرّاً ما استطعتَ الى امرئٍ ... يُفشى اليك سرائراً يستَودِعُ

فكما تراهُ بسرّ غيرك صانعاً ... فكذا بسرّك لا محالة يَصنَع
لا تبدأنّ بمنطق فى مجلس ... قبل السُّؤال فانّ ذلك يَشنَع
فالصّمت يحسن كلّ ظنّ بالفتى ... ولعلّهُ خرقٌ سفيهٌ أرقَع
ودَعِ المُزاحَ فربّ لَفظةِ مازِحٍ ... جلبَت اليك بَلا بلاً لا تُدفع
وحِفاظَ جارٍ لا تُضِعهُ فانه ... لا يبلغُ الشّرف الجسيم مُضيّع
واذا استقالكَ ذو الإساءةِ عثرةً ... فأقِلهُ إنّ ثواب ذلك أوسع
واذا ائتُمنتَ على السّرائر فاخفِها ... واستُر عيوب أخيك حين تَطلّع
لا تجزَعَنّ من الحوادث إنما ... خَرَقُ الرّجال على الحوادث يَجزع
وأطع أباك بكلّ ما أوصى به ... إنّ المُطيع أباه لا يَتضعضَع

﴿ وقال أيضا ﴾

صُن النّفس واحمِلها على ما يَزينُها ... تَعِشْ سالِماً والقول فيك جميلُ
ولا تُرِيَنّ الناس إلاّ تجَمّلا ... نبابك دهرٌ أو جفاك خليل
وان ضاق رزق اليوم فاصبِر الى غدٍ ... عسى نكبات الدّهر عنك تزُول
يَعزُّ غنيُّ النّفس ان قلّ مالهُ ... ويَغنى غنيُّ المال وهو ذليل
ولا خير فى وِدّ امرئٍ مُتلوّنٍ ... اذا الرّيح مالت مال حيث تميل
جوادٌ اذا استغنيت عن أخذِ مالهِ ... وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوان حين تَعُدُّهم ... ولكنّهم فى النّائباتِ قليل

﴿ وقال أبو الاسود الدؤلى ﴾

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيَه ... فالقوم أعداءٌ له وخصومُ
وترى اللّبيب مُحسّدًا لم يجترم ... شَتْمَ الرّجال وعرضهُ مشتُوم

وكذاك من عظمت عليه نعمةٌ حُسّادُهُ سيفٌ عليه صَرُوم
فاترُكْ مُجاراة السفيهِ فانها ندمٌ وغبٌّ بعد ذاك وخيم
فاذا جريتَ مع السفيه كما جرى فكلاكما فى جريه مذموم
واذا عتبتَ على السفيه ولمتهُ فى مثل ماتأتى فأنتَ ظلوم
يا أيها الرجل المعلّم غيره هلاّ لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى كيما يصحُّ به وأنت سقيم
وأراك تصلحَ بالرشاد عقولنا أبداً وأنت من الرشاد عقيم
لا تنهَ عن خُلقٍ وتأتى مثله عارٌ عليك اذا فعلت عظيم
إبدأ بنفسكَ فانهها عن غيّها فاذا انتهت عنه فأنتَ حكيم
فهناك يُقبلُ ماوعظتَ ويُقتدى بالعلم منك وينفع التعليم
لا تكلمنَ عِرضَ ابن عمك ظالماً فاذا فعلتَ فعِرضُكَ المكلوم
وحريمه أيضاً حريمك فاحمِه كيلا يُباع لديك منه حريم
واذا اقتصصتَ من ابن عمك كلمةً فكلومه لك إن عقلتَ كلوم
واذا طلبتَ الى كريمٍ حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم
فاذا رآك مُسلماً ذكر الذى كلمتَه فكأنه ملزوم
ورأى عواقبَ حمدِ ذاك وذمّه للمرء تبقى والعظام رميم
فارجُ الكريم وان رأيتَ جفاءه فالعتبُ منه والكريم كريم
ان كنت مُضطرًّا والاّ فاتخذْ نفقاً كأنكَ خائفٌ مهزوم
واتركه واحذَر ان تمرَّ ببابه دهراً وعرضُك ان فعلتَ سليم
فالناس قد صاروا بهائمَ كلُّهم ومن البهائم قائلٌ وزعيم

عُمىٌ وبُكمٌ ليس يُرجى نفعهم ... وزعيمهم فى النائباتِ مُليم
واذا طلبتَ إلى لئيمٍ حاجة ... فألِحَّ فى رفق وأنت مُديم
والزَم قُبالةَ بيتهِ وفِناءهُ ... بأشدِّ مالزمَ الغريمَ غريمُ
وعجبتُ للدنيا ورغبة أهلها ... والرزقُ فيما بينهم مقسوم
والأحمقُ المرزوقُ أعجبُ من أرى ... من أهلها والعاقلُ المحروم
ثم انقضى عجبى لِعلمى أنه ... رزقٌ موافٍ وقتهُ معلوم

﴿ وقال العباس بن مرداس (١) ﴾

ترى الرجلَ النحيف فتزدريهِ ... وفى أثوابه أسدٌ مَزيرُ (٢)
ويُعجبك الطّرير (٣) فتبتليه ... فيُخلف ظنّك الرّجل الطرير
فما عِظمُ الرجال لهم بفخر ... ولكن فخرهم كرمٌ وخِير
بغاث (٤) الطّير أكثرها فِراخاً ... وأمّ الصقر مِقلاتٌ نزور
ضِعاف الطّير أطولها جسوما ... ولم تَطُل البُزاة ولا الصقُور
لقد عُظم البعير بغير لُبٍّ ... فلم يستغن بالعِظَم البعير
يُصَرّفه الصّبىّ بكلّ وجهٍ ... ويحبسه على الخسفِ الجرير
فان أكُ فى شِراركمُ قليلا ... فانّى فى خياركمُ كثير

﴿ وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ﴾

دَعِ الأيّام تفعل ما تشاء ... وطِب نفساً اذا حكم القضاء

---

(١) هو أبو الهيثم العباس بن مرداس من شعراء الطبقة الثالثة توفى سنة ١٦ هجرية
(٢) المزير العاقل الحازم (٣) الشاب الناعم (٤) البغاث مالا يصيد من الطير والمقلات من القلت وهو الهلاك

ولا تجزع لحادثة الليالى فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال جلدا وسيمتك السماحة والسخاء
يغطى بالسماحة كل عيب وكم عيب يغطيه السخاء
ولا حزن يدوم ولا سرور ولا بأس عليك ولا رخاء
ولا ترى الأعادى قط ذلا فان ثمانة الأعدا بلاء
ولا ترج السماحة من بخيل فما فى النار للظمآن ماء
ورزقك ليس ينقصه التأنى وليس يزيد فى الرزق العناء
اذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن اذا نزل القضا ضاق الفضاء
دع الأيام تغدر كل حين ولا يغنى عن الموت الدواء

وقال عبرة بهاء الطيب

أبنى إنى قد كبرت ورابنى بصرى وفى لمنظر مستمتع
أوصيكم بتقى الإله فإنه يعطى الرغائب من يشاء ويمنع
وببر والدكم وطاعة أمره إن الأبر من البنين الأطوع
إن الكبير اذا عصاه أهله ضاقت بداه بأمره ما يصنع
ودعوا الضغائن لا تكن من شانكم إن الضغائن للقرابة توضع
يزجى عقاربه ليبعث بينكم حربا كما بعث العروق الأخدع
ان الذين ترونهم إخوانكم يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا
واذا مضيت الى سبيلى فابعثوا رجلا له قلب حديد أصمع

إن الحوادث تختزمن وانما عمرُ الفتى فى أهله مُستودَع
يسعى ويجمعُ جاهداً مُستهتراً جداً وليس بآكلٍ مايجمع

﴿ وقال قيس بن الخطيم من قصيدة ﴾

وما بعضُ الإقامة فى ديار يهانُ بها الفتى إلاّ بلاء
وبعضُ خلائقِ الأقوام داءٌ كداء البطنِ ليس له دواء
يُريدُ المرءُ أن يُعطى مُناهُ ويأبى الله إلاّ ما يشاءُ
وكلُّ شديدة نزلت بقوم سيأتى بعدَ شدّتها رخاءُ
ولا يُعطى الحريص غِنَى لحرص وقد يَنمى على الجود الثّراء
غِنَى النّفسِ ما عمرتْ غِنىٌّ وفقرُ النّفسِ ما عَمِرَتْ شقاء
وليس بنافعٍ ذا البُخلِ مالٌ ولا مُزرٍ بصاحبه السّخاء
وبعض الداء ملتمسٌ شفاء وداءُ النُّوكِ ليس له شفاء
وبعض القول ليس له عِناجٌ كمحضِ الماء ليس له إناء
ولم أر كامرئٍ يدنو لخسفٍ له فى الأرضِ سَيْرٌ واستواء
يصوغ لك اللّسان على هواهُ ويَفضَحُ أكثرَ القيلِ البلاء
ألاَ مَن مُبلغِ الشعراءِ عنى فلا ظلم لدىّ ولا ابتداء
ولستُ بغائظِ الأكفاءِ ظلماً وعندى للمُلمّاتِ اجتراء

﴿ وقال صالح بن عبد القدوس ﴾

المرء يَجمعُ والزّمان يُفرّقُ ويظلّ يرقَع والخطوب تُمزّقُ
ولأن يُعادَى عاقلا خيرٌ له مِن أن يكون له صديقٌ أحمق
فاربأ بنفسك أن تُصادق أحمقا ان الصّديق على الصّديق مصدّق

وزن الكلام اذا نطقتَ فانما ... يُبدى عقولَ ذوى العقول المنطِق
ومنَ الرّجال اذا استوت أخلاقهم ... مَن يُستَشارُ اذا استُشيرَ فيُطرِق
حتى يَحُلّ بكلّ وادٍ قلبه ... فيرى ويعرف مايقول فينطِق
لا الفِينَكَّ ثاوياً فى غُربةٍ ... إنَّ الغريب بكل سهم يُرْشَق
ما الناسُ إلاّ عامِلانِ فعامل ... قد مات من عطش وآخر بغرَق
والناسُ فى طلب المعاش وإنّما ... بالجدّ يُرْزَقُ منهمُ مَن يُرزق
لو يُرْزَقون الناسُ حسبَ عقولهم ... ألفَيتَ أكثرَ من ترى يتصدَّق
لكنهُ فضل المليك عليهم ... هذا عليه مُوَسَّعٌ ومُضَيَّق
واذا الجنازة والعروس تلاقيا ... ورأيت دمع نوائحٍ يترقرق
سكتَ الذى تبع العروس مُبَهِّتاً ... ورأيت من تبع الجنازة ينطق
وإذا امْرُؤٌ لسعته أفعى مَرّةً ... تَرَكتْهُ حينَ يُجَرُّ حبل يفرَق
بقىَ الذين اذا يقولوا يكذبوا ... ومضى الذين اذا يقولوا يَصدُقوا

وقال أيضا

صَرَمَتْ حِبالَكَ بعد وصلك زينبُ ... والدّهر فيه تصرُّمٌ وتقلُّبُ
وكذاك وصلُ الغانياتِ فانهُ ... آلٌ ببَاقِعَةٍ وبرقٌ خُلَّبُ
فدعِ الصِّبَا فلقد عداك زمانه ... واجهدْ فعمرك مرّ منه الأطيَبُ
ذهب الشّباب فما له من عودةٍ ... وأتى المشيب فأين منه المهرَب
دَع عنك ماقد فات فى زمن الصّبا ... واذْكُرْ ذُنُوبَكَ وابْكِها يامُذْنِب
واخشَ مُناقشة الحسابِ فانهُ ... لابُدَّ يُحصَى ماجَنَيْتَ ويُكتَب
والليل فاعلم والنّهار كلاهما ... أنفاسنا فيه تعَدُّ وتُحسَب

لم ينسهُ المكانِ حين نسيتهُ ... بل أثبتاهُ وأنت لاهٍ تلعب
والرُّوح فيك وديعةٌ أودعتها ... سترُدُّها بالرَّغم منك وتسلبُ
وغُرُورُ دُنياك التى تسعى لها ... دار حقيقتها متاع يذهب
وجميع ماحصَّلته وجمعته ... حقًّا يقيناً بعد موتك يُنهب
تبًّا لدار لايدوم نعيمها ... ومشيدها عمّا قليل يخرب
فاسمع هديت نصائحاً أولاكها ... برٌّ نصوح للأنام مجرّب
أهدى النصيحة فاتّعظ بمقاله ... فهو التقىُّ اللوذعىُّ الأدرب
لاتأمنَ الدّهرَ الخؤونَ لأنّه ... مازال قِدْماً للرجال يُهذِب
وكذلك الأيّام فى غصّاتها ... مَضَضٌ يذِلُّ له الأعزّ الأنجب
ويفوز بالمال الحقيرُ مكانةً ... فتراهُ يُزجى مالديه ويُرغب
ويُسَرُّ بالترحيب عند قدومه ... ويُقامُ عند سلامه ويُقرَّب
فاقنَع ففى بعض القناعة راحة ... ولقد كُسِى ثوبَ المذلّة أشعب
لاتحرصن فالحرص ليس بزائدٍ ... فى الرّزق بل يُشقِى الحريص ويُتعب
كم عاجزٍ فى النّاس يأتى رزقه ... رغداً ويُحرَمُ كيّسٌ ويُخيَّبُ
فعليك تقوى اللهِ فالزمها تفُز ... إنّ التقىَّ هو البهىُّ الأهيب
واعملْ بطاعته تنَلْ منه الرّضا ... انّ المُطيع لربّه لمُقرَّب
أدِّ الأمانة والخيانة فاجتنب ... واعدِل ولا تظلم يطيبُ المكسَب
واحذر من المظلوم سهماً صائباً ... واعلم بأنّ دعاءهُ لا يُحجب
واخفِض جناحك للأقارب كلّهم ... بتذلُّلٍ واسمح لهم إن أذنبوا
واذا بُليتَ بنكبةٍ فاصبِرْ لها ... مَن ذا رأيتَ مُسلَّماً لا يُنكَب

واذا أصابك فى زمانك شدّةٌ ... وأصابك الخطبُ الكريهُ الاصعب
فادعُ لربّك إنه أدنى لِمَن ... يدعوه من حبل الوريد وأقرب
واحذر مُؤاخاة الدَّنىّ لأنه ... يُعدى كما يعدى الصحيحَ الأجربُ
واختر صديقك واصطفيه تفاخرًا ... إن القرينَ الى المُقارِنِ يُنسب
ودع الكَذوب ولا يكن لك صاحباً ... إنّ الكذوب لبئس خلاً يُصحب
وذر الحقودَ ولو صفا لك مرّةً ... وابعدهُ عن رُؤياك لا يُستجلب
انّ الحقود وان تقادم عهدُه ... فالحِقدُ باق فى الصُّدور مُغيَّب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم بالّلسان ويَعطَبُ
وزِن الكلام اذا نطقتَ ولا تكن ... ثرثارةً فى كلّ نادٍ تخطُب
والسِّرَّ فاكتُمهُ ولا تنطق به ... فهُو الأسيرُ لديك اذ لا يَنشَب
واحرِص على حفظ القلوب من الأذى ... فرجُوعها بعد التَّنافُر يَصعُب
انّ القلوب اذا تنافر وُدُّها ... شِبهُ الزُّجاجة كَسرُها لا يُشعَب
واحذر عَدُوَّك اذ تراه باسما ... فالّليثُ يبدو نابُهُ إذ يغضَب
واذا الصديق رأيتَه مُتملّقاً ... فهو العدوُّ وحقُّه يتجنّب
لاخير فى ودّ امرئٍ مُتملّق ... حُلوِ اللسان وقلبُه يَتلهَّب
يُعطيك من طرَف اللسان حلاوة ... ويَروغُ منك كما يَروغ الثَّعلَب
يلقاك يَحلِفُ أنه بك واثقٌ ... واذا تَوارى عنك فهو العقرَب
واذا رأيتَ الرّزق ضاق ببلدة ... وخشيت فيها أن يضيق المَكسَب
فارحل فأرضُ اللهِ واسِعةُ الفضا ... طولاً وعَرضاً شَرقُها والمغرب
فلقد نصحتك ان قَبلتَ نصيحتى ... فالنُّصحُ أغلى ما يُباع ويوهَب

خذها اليك قصيدة منظومة جاءت كنظم الدرّ بل هى أعجب
حِكَمٌ وآدابٌ وجُلُّ مواعظ أمثالها لذوى البصائر تُكتَب
فاصغ لوعظ قصيدةٍ أولاكها طودُ العلوم الشامخات الأهيب

وقال أبو الفتح البستى

زيادة المرء فى دُنياه نُقصانُ وربحه غير محض الخير خسران
وكلُّ وجْدَانِ حَظٍّ لاثبات لَهُ فانّ معناه فى التحقيق فقْدَان
ياعامراً لخراب الدهر مجتهداً بالله هل لخَرَابِ العمر عُمرَان
وياحريصاً على الأموال تجمَعُهَا أُنسِيتَ أنّ سرور المال أحزان
دعِ الفؤاد عن الدنيا وزينتها فصفوها كدر والوصل هِجرَان
وأرعِ سمعك أمثالا أُفصّلُها كما يُفَصّلُ ياقوت ومرْجان
أحسِنْ الى النّاس تستعبِدْ قلوبهمُ فطالَمَا اسْتَعْبَدَ الانسانَ إحسان
ياخادِمَ الجسم كم تسعى لخدمته أتطلُبُ الرّبح فى مافيه خُسرَان
أقبل على النفْسِ واستكمل فضائلَها فأنت بالنفسِ لا بالجسمِ انسان
وكن على الدّهرِ معوَاناً لذى أمل يرجو نَداك فانّ الحُرّ معوَان
واشدُدْ يديك بحبل الله مُعتَصِما فانهُ الرُّكنُ إن خانتك اركان
مَن يتّقِ الله يُحمَد فى عواقبه ويكفِهِ شرّ من عزّوا ومن هَانوا
مَن اسْتعانَ بغير الله فى طَلَب فَانّ ناصره عجزٌ وخِزلان
من كان للخيرِ منّاعاً فليس له على الحقيقة اخوانٌ وأخدَان
من جاد بالمال مال النّاس قاطبة اليه والمال للانسان فتّان
مَن سالمَ النّاسَ يَسلم من غوائلهم وعاش وهو قرير العين جَذلان

من كان للعقل سلطان عليه غدا ... وما على نفسه للحرص سلطان

من مدّ طَرفاً بفرط الجهل نحو هوًى ... أغضى على الحقّ يوماً وهو خزيان

من استشار صُروف الدهر قام له ... على حقيقة طَبع الدهر بُرهان

من يَزرَع الشرّ يَحصُد فى عواقبه ... نَدامةً ولحصد الزرع اٰبان

من اٰستَنامَ الى الأشرار نام وفى ... قميصه منهمُ صِلٌّ وثُعبان

كُن رِيقَ البشرِ انّ الحرّ همته ... صحيفةٌ وعليها البشرُ عُنوان

ورافِق الرِّفق فى كل الأمور فلم ... يَندَم رفيق ولم يَذممهُ انسان

ولا يغرّنك حظ جرّه خرَقٌ ... فالخُرقُ هَدمٌ ورِفق المرء بُنيان

أحسِن اذا كان امكانٌ ومَقدُرَة ... فلن يدوم على الاحسان امكان

فالرَّوضُ يزدان بالأنوار فاغِمَة ... والحرُّ بالعدل والاحسان يزدان

صُن حُرّ وجهك لا تَهتك غلالَتَهُ ... فكلُّ حُرّ لحُرّ الوجه صوّان

دَع التكاسل فى الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيراتِ كسلان

لا ظِل للمرء يَعرَى من نُهًى وتُقًى ... وان أظلّته أوراق وأفنان

والنّاس أعوان مَن والته دَولته ... وهم عليه اذا عادته أعوان

سَحبانُ من غير مال باقلٌ حَصِرٌ ... وباقلٌ فى ثَراء المال سَحبان

لا تودِع السِّرّ وَشّاءً به مذِلاً ... فما رَعى غنما فى الدوّ سِرحان

لا تَحسَبِ الناس طبعاً واحداً فلهم ... غَرَائزٌ لستَ تحصيهنّ ألوان

ما كلّ ماء كصَدّاء لوارده ... نَعم ولا كلُّ نبتٍ فهو سَعدان

لا تَخدِشَنّ بمَطل وجه عارفة ... فالبِرُّ يَخدِشهُ مَطلٌ وليّان

لا تَستَشِر غير ندب حازمٍ يقظٍ ... قد استوَى فيه اسرارٌ واعلان

فللتدابير فرسان اذا ركضوا فيها أبرّوا كما للحرب فرسان
وللأمور مواقيت مقدّرة وكلّ أمر له حدّ وميزان
فلا تكن عجلاً فى الأمر تطلبه فليس يُحمَدُ قبل النُّضج بُحران
كفى من العيش ما قد سدّ من عَوَز ففيه للحرّ قُنيانٌ وغُنيان
وذو القناعة راضٍ من معيشته وصاحب الحرص ان أثرى فغضبان
حسبُ الفتى عقله خِلاً يعاشرهُ اذا تحاماه اخوانٌ وخُلّان
هما رضيعا لبانٍ حكمةٌ وتُقى وسا كنا وطنٍ مالٌ وطغيان
اذا نبا بكريم موطنٌ فله وراءهُ فى بسيط الأرض أوطان
يا ظالماً فرحاً بالعزّ ساعدهُ ان كنت فى سنة فالدهر يقظان
ما استمرأ الظلم لو أنصفت آكلهُ وهل يلذُّ مذاق المرء خُطبان
يا أيُّها العالم المرضىُّ سيرتهُ أبشر فأنت بغير الماء رَيّان
ويا أخا الجهل لو أصبحتَ فى لُجج فأنتَ ما بينها لاشكَّ ظمآن
لا تحسبنَّ سروراً دائماً أبدا من سرّهُ زمن ساءته أزمان
يا رافلاً فى الشباب الوحف مُنتشياً من كأسه هل أصاب الرُّشد نشوان
لا تغترر بشباب رائق خضل فكم تقدّم قبل الشيب شُبّان
ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم يكن لمثلك فى الاسراف إمعان
هب الشبيبة تُبلى عُذر صاحبها ما عُذرُ أشيب يستهويه شيطان
وكلُّ كسرٍ فإنّ الدين يجبره وما لكسر قناة الدين جبران
خُذها سوائر أمثالٍ مهذّبة فيها لمن يبتغى التبيان تبيان
ما ضرّ حسّانها والطبع صائغها ان لم يصُغها فريع الدهر حسّان

وقال ابنه أبى بكر المقرئ

زيادةُ القول تحكى النّقص فى العمل ... ومَنطق المرء قد يَهديه للزَّلَلِ
إنّ اللسان صغيرٌ جرمُه وله ... جُرمٌ كبيرٌ كما قد قيل فى المثَل
عقلُ الفتى ليس يُغنى عن مشاورةٍ ... كحِدَّة السَّيف لا تُغنى عن البطَل
ان المشاورَ إنّما صائبٌ غرَضاً ... أو مُخطئٌ غيرُ منسوب الى الخطَل
لا تحقِرِ الرَّأىَ يأتيك الحقيرُ به ... فالنحلُ وهو ذُبابٌ طائرُ العسَل
ولا يَغُرَّنك ودٌّ من أخى أملٍ ... حتى تجرّبَهُ فى غيبةِ الأمَل
لا تَعجزَنَّ لخطبٍ ما به حيلٌ ... تغنى والاّ فلا تعجز عن الحيَل
وقدرُ شكر الفتى لله نِعمتُه ... كقدرِ صبرِ الفتى للحادثِ الجلل
وانّ أخوَفَ نَهجٍ ماخشيتَ به ... ذَهابَ حُرّيّةٍ أو مُرتضى عمَل
لا تفرَحنَّ بسَقطات الرّجال ولا ... تهزأ بغيرِك واحذر صَولةَ الدُّوَل
أحقُّ شىءٍ بردِّ ماتخالُفه ... شهادةُ الدّين فافهَم صنعَة الجدَل
وقيمةُ المرءِ ماقد كان يُحسنُه ... فاطلُب لنفسك ماتعلو به وصِل
وكلُّ علمٍ جناه ممكنٌ أبداً ... الاّ اذا اعتصمَ الانسانُ بالكسَل
والمالَ صُنهُ وورّثهُ العدوّ ولا ... تحتج حياتَك للاخوان فى الأكل
خيرُ مالِ الفتى مال يصون به ... عِرضاً ويُنفقهُ فى أشرف السُّبُل
وأفضلُ البرّ مالا مَنَّ يتبَعُهُ ... ولا تقدّمه شئٌ من المطَل
فانما الجودُ بذلٌ لم تكاف به ... صُنعاً ولم تنتظر فيه جزاءَ رَجُل
انّ الصنائعَ أطواقٌ اذا شُكرت ... وإن كُفرن فأغلال لِمُنتحِل
وانّ عندى الخطا أفضلُ من ... إصابةٍ حصلت بالمنع والبُخل

خيرٌ من الخير مُسديهِ اليك كما ... شرٌّ من الشرّ أهلُ المطل والدَّخَل
ظواهرُ العتب للاخوان أيسرُ من ... بواطن الحقدِ فى التسديد للخلل
دعِ الجموحَ وسامِحهُ تفِظهُ ولا ... تصحَب سوى السمح واحذر سقطة العجل
وألقَ الأحبَّة والاخوان إن قطعوا ... حبلَ الوداد بحبل منك مُتّصل
فأعجزُ الناس حرٌّ ضاع من يده ... صديق ودّ فلم يردده بالحيَل
من يَقْظةٍ بالفتى إظهارُ غفلته ... مع التّحفُّظِ من غدرٍ ومن ختَل
وكن مع الخلق ما كانوا لخالقهم ... واحذر معاشرةَ الأوغاد والسّفل
واخشَ الأذى عند إكرام اللئيم كما ... تخشى الأذى ان أهنتَ الحرَّ ذا النُّبَل
واصبِرْ لواحدةٍ تأمَنْ توابعها ... فربما كانت الصُّغرى من الأول
ولا يغرَّنك من مَرقى سهولتُهُ ... فربما ضِقتَ ذرعاً منه فى النُّزُل
مِنَ المروءةِ تركُ المرءِ شهوتَهُ ... فانظرْ لأيّهما آثرتَ فاحتمل
شرُّ الورى من بعيب الناس مشتغل ... مثلُ الذُّباب يُراعى موضعَ العِلَل
لو كنت كالرمح فى الأعمال معتدلاً ... لقالت الناسُ هذا غيرُ معتدِل
يا ظالماً جارَ فيمن لا نصيرَ له ... الا المهيمنُ لا تغترّ بالمَهَل
غداً تموتُ ويقضى الله بينكما ... بحُكمِهِ الحقّ لا بالزيغ والمَيل
وإنّ أولى الملا بالعفو أقدرُهم ... على العقوبة إنْ يظفرْ بذى زَلَل

وقال تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى

(من كتاب الصادح والباغم)

العَيش بالرزق وبالتقدير ... وليس بالرأى ولا التدبير
فى الناس مَنْ تُسْعِدُه الأقدار ... وفعلُه جميعُه إدبار

مَن عرَف الله أزالَ التُهَمَهْ وقال كلُّ فعلِهِ للحِكمَهْ
مَن أنكرَ القضاءَ فهو مُشْرِك إنّ القضاء بالعباد أملك
ونحن لا نُشْرك بالله ولا نقنَط من رحمته إذ نُبتَلَى
عارٌ علينا وقبيحُ ذكرِ أن نجعل الكُفرَ مكانَ الشكرِ
وليس فى العالمِ ظلمٌ جارى اذ كان مايجرى بأمر البارى
وأسعدُ العالَم عند الله مَن ساعَدَ الناسَ بفضل الجاه
ومَن أغاثَ البائسَ الملهوفا أغاثَه اللهُ اذا أُخيفا
إنّ العظيمَ يدفع العظيما كما الجسيمُ يحمل الجسيما
فانّ من خلائقِ الكرام رحمةَ ذى البلاء والأسقام
وانّ من شرائط العُلوّ العطفَ فى البؤس على العدوّ
قد قضَتِ العقول أنّ الشفقه على الصديق والعدوّ صدقه
وقد عَلِمتَ واللبيب يعلم بالطبع لايُرْحَم مَن لايَرْحَم
فالمرء لايدرى متى يُمتحن فانه فى دهره مُرْتَهَن
وان نجا اليومَ فما ينجو غدا لايأمن الآفاتِ الا ذو الرَدَى
لا تَغْتَرِرْ بالخفْض والسلامه فانما الحياة كالمُدامه
والعمرُ مثلُ الكأسِ والدهرُ القَدَرْ والصفْوُ لا بُدَّ له من الكدَرْ
وكلُّ انسانٍ فلا بُدَّ لَهُ من صاحبٍ يَحْمِل ما أثقلَه
جَهْدُ البلاء صحبة الاضداد فانها كَيٌّ على الفؤاد
أعظمُ ما يلقَى الفتى من جَهْدِ أن يُبتَلَى فى جنسه بالضِدّ
فانما الرجالُ بالإخوان واليدُ بالساعِد والبَنان

لا يحقر الصحبة الا جاهل ... أو مارق عن الرشاد غافل
صحبة يوم نسب قريب ... وذمة يحفظها اللبيب
ومُوجب الصداقة المساعده ... ومقتضى المودة المعاضده
لا سيما فى النوب الشدائد ... والمحن العظيمة الأوابد
فالمرء يحيى أبداً اخاه ... وهو اذا ماعد من أعداه
وان من عاشر قوماً يوما ... ينصرهم ولا يخاف لوما
وان من حارب من لا يقوى ... لحربه جر اليه البلوى
فحارب الأكفاء والأقرانا ... فالمرء لا يحارب السلطانا
واقنع اذا حاربت بالسلامه ... واحذر فعالاً توجب الندامه
فالتاجر الكيس فى التجاره ... من خاف فى متجره الخساره
يجتهد فى تحصيل رأس ماله ... ثم يروم الربح باحتياله
وان رأيت النصر قد لاح لكا ... فلا تقصر واحترز أن تهلكا
وانسبق الى الأجود سبق الناقد ... فسبقك الخصم من المكايد
وانتهز الفرصة ان الفرصه ... تصير إن لم تنتهزها غصه
كم بطر الغالب يوماً فترك ... عنه التوقى واستهان فهلك
ومن أضاع جنده فى السلم ... لم يحفظوه فى لقاء الخصم
وان من لا يحفظ القلوبا ... يخذل حين يشهد الحروبا
والجند لا يرعون من أضاعهم ... كلاً ولا يحمون من أجاعهم
وأضعف الملوك طراً عقدا ... من غره السلم فأقصى الجندا
والحزم والتدبير روح العزم ... لا خير فى عزم بغير حزم

والحزم كل الحزم فى المطاوله ... والصبر لا فى سرعة المزاوله
وفى الخطوب تظهر الجواهرُ ... ما غلَبَ الأيامَ الا الصابر
لا تيأسن من فرَجٍ ولطف ... وقوة تظهر بعد ضعف
فربما جاءك بعدَ اليأس ... رَوْحٌ بلا كدٍّ ولا التماس
فى لمحة الطرف بُكاءٌ وضحكْ ... وناجذٌ بادٍ ودمعٌ ينسفكْ
تنال بالرِّفق وبالتأنى ... ما لم تنلْ بالحرص والتعنى
ما أحسنَ الثباتَ والتجلُّدا ... وأقبح الحيرة والتبلُّدا
ليس الفتى الا الذى إن طرَقَهْ ... خطْبٌ تلقَّاه بصبر وثقه
اذا الرزايا أقبلت ولم تقفْ ... فثَمَّ أحوالُ الرجال تختلف
وكم لقيتُ لذّةً فى زمنى ... فأصبرُ الآن لهذى المحن
فالموتُ لا يكون الا مرَّة ... والموتُ أحلى من حياةٍ مُرَّة
انى من الموت على يقين ... فأجهد الآن لما يقينى
صبراً على أهوالها ولا ضجَرْ ... وربما فازَ الفتى اذا صبَرْ
لا يجزع الحرُّ من المصائب ... كلا ولا يخضع للنوائب
فالحرّ للعبء الثقيل يحمِلُ ... والصبرُ عند النائبات يجمُلُ
لكل شىء مدة وتنقضى ... ما غلَبَ الأيامَ الا من رضى
قد صدَق القائلُ فى الكلام ... ليس النُهَى بعظم العظام
لا خيرَ فى جسامة الأجسام ... بل هو فى العقول والافهام
فالخيل للحرب وللجمال ... والابل للحمل وللترحال
لا تحتقِرْ شيأً صغيراً يُحتقَرْ ... فربما أسالتْ الدمَ الإبَرْ

لا تخرج الخصم فى احراجه ... جميع ما تكره من لجاجه
لا تطلب الفائت بالعجاج ... وكن اذا كوبت ذا انضاج
فعاجز من ترك الموجوداً ... طماعة وطلب المفقودا
وفتش الامور عن أسرارها ... كم نكتة جاءتك مع اظهارها
لزمت للجهل قبيح الظاهر ... وما نظرت حسن السرائر
ليس يضر البدر فى سناه ... ان الضرير قط لا يراه
كم حكمة أضحت بها المحافل ... نافقة وأنت عنها غافل
ويغفلون عن خفى الحكمه ... ولو رأوها لأزالوا التهمه
كم حسن ظاهره قبيح ... وسمج عنوانه مليح
والحق قد تعلمه ثقيل ... أبوه إلا نفر قليل
فالعاقل الكامل فى الرجال ... لا يثنى لزخرف المقال
ان العدو قوله مردود ... وقلما يصدق الحسود
لا تقبل الدعوى بغير شاهد ... لاسيما ان كان من معاند
أيؤخذ البرئ بالسقيم ... وألرجل المحسن باللئيم
كذاك من يستنصح الأعادى ... يردونه بالغش والفساد
ان أكل من ترى أذهانا ... من حسب الاساءة الاحسانا
فادفع اساءة العدى بالحسنى ... ولا تخل يمراك مثل اليمنى
وللرجال فاعلمن مكايد ... وخدع منكرة شدائد
فالندب لا يخضع للشدائد ... قط ولا يغتاظ بالمكايد
فرقع الخرق بلطف واجتهد ... وأمكر اذا لم ينفع الصدق وكد

فهكذا الحازم اذ يكيد يبلغ فى الأعداء ما يريد
وهو برئ منهم فى الظاهر وغيره مختضب الاظافر
والشهم من يصلح أمر نفسه ولو بقتل ولده وعرسه
فان من يقصد قلع ضرسه لم يعتمد الاصلاح نفسه
وان من خص اللئيم بالندى وجدته كمن يربى أسدا
وليس فى طبع اللئيم شكر وليس فى أصل الدنئ نصر
وان من ألزمه وكلفه ضد الذى فى طبعه ما أنصفه
كذاك من يصطنع الجهالا ويؤثر الأرذال والانذالا
لو أنكم أفاضل أحرار ماظهرت بينكم الأسرار
ان الاصول تجذب الفروعا والعرق دساس اذا أضيعا
ماطاب فرع أصله خبيث ولا زكا من تحته حديث
قد يدركون رتبا فى الدنيا ويبلغون وطرا من بقيا
لكنهم لا يبلغون فى الكرم مبلغ من كان له فيها قدم
وكل من تمائمت أطرافه فى طيبها وكرمت أسلافه
كان خليقا بالعلى وبالكرم وبرعت فى أصله حسن الشيم
لولا بنو آدم بين العالم ما بان للعقول فضل العالم
فواحد يعطيك فضلا وكرم فذاك من يكفره فقد ظلم
وواحد يعطيك للمصانعة أو حاجة له اليك واقعه
لا تشرهن الى حطام عاجل كم أكلة أودت بنفس الآكل
واحذر أخى يافتى من الشره وقس بما رأيته ما لم تره

فليس من عقل الفتى أو كرمه ... افسادُ شخصٍ كاملٍ لقرمه
فالبغيُ داءٌ ماله دواء ... ليس لملكٍ معه بقاء
والبغى فاحذرْه وخيمُ المرتَع ... والعُجْبُ فاتركه شديدُ المصرع
والغدْر بالعهد قبيحٌ جدا ... شرّ الورى مَن ليس يَرْعى العهدا
عند تمام الأمر يبدو نقصُه ... وربما ضرّ الحريصَ حرصُه
وربما ضرّكَ بعضُ مالكا ... وساءك المحسن من رجالكا
فالمرء يفدى نفسه بوَفْرِه ... عساه أن ينجُو به من أسرِه
لا تُعطِيَنْ شيئاً بغير فائده ... فانها من السجايا الفاسده

﴿ والامام على الرضا عليه السلام (١) ﴾

واعجباً للمرء فى ذاته ... يجرّ ذيل التيه فى خطرته
يزجره الوعظُ فلا ينتهى ... كأنه الميت فى سكرته
يبارز الله بعصيانه ... جهراً ولا يخشاه فى خلوته
وان يقع فى شدّة يبتهل ... فان نجا عاد الى عادته
ارغب لمولاك وكن راشداً ... واعلم بانّ العز فى خدمته
وأتل كتاب الله تهدى به ... واتبع الشرع على سنته
لاتحترص فالحرص يزرى الفتى ... ويذهب الرونق من بهجته
والحظ لا تجلبه حيلة ... كيف يخاف المرء من فوته

(١) هو أبو الحسن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن على زين العابدين ويقال له على الاصغر بن الحسين بن على بن أبي طالب المولود سنة مائة وثلاث وخمسين في المدينة المنورة والمتوفى سنة اثنين ومائتين بمدينة طوس مسموما

مافاتك اليوم سيأتى غدا ... مافى الذى قُدِّر من حيلته
قضاؤه المحتوم فى خلقه ... وحكمه النافذ مع قدرته
والرزق مضمون على واحد ... مفاتح الأشياء فى قبضته
قد يرزق العاجز مع عجزه ... ويحرم الكيس مع فطنته
لا تنهر المسكين يوماً أتى ... فقد نهاك الله عن نهرته
ان عضّك الدهر فكن صابراً ... على الذى نالك من عضّته
أو مسّك الضرُّ فلا تشتكى ... الا لمن تطمع فى رحمته
لسانك احفظه وصن نطقه ... واحذر على نفسك من عثرته
فالصمت زين ووقار وقد ... يؤتى على الانسان من لفظته
مَن أطلقَ القولَ بلا مهلة ... لا شك أن يعثر فى عجلته
من لزم الصمت نجا سالما ... لا يندم المرء على سكتته
من أظهر الناس على سرّه ... يستوجب الكىَّ على مقلته
من مازح الناس استخفوا به ... وكان مذموماً على مزحته
كن عن جميع الناس فى معزل ... قد يسلم المعزول فى عزلته
من جعل الخمر شفاء له ... فلا شفاه الله من علّته
من نازع الاقيال فى أمرهم ... بات بعيد الرأس عن جُثّته
من لاعب الثعبان فى كفه ... هيهات أن يسلم من لسعته
من عاشر الأحمق فى حاله ... كان هو الأحمق فى عشرته
لا تصحب النذل فتردى به ... لا خير فى النذل ولا صحبته
من اعتراك الشك فى جنسه ... وحاله فانظر الى شيمته
من غرس الحنظل لا يرتجى ... أن يجتنى السكر من غرسته
من جعل الحق له ناصراً ... أيّده الله على نصرته

واقنع بما أعطاك من فضله ... واشكر لمُوليك على نعمته
وانظر الى الحُر وأحواله ... وأجلسه بين الناس فى رتبته
لا بارك الله العلى فى امرئ ... يلدغ كالعقرب فى لدغته
لا تطلب الاحسان من غادر ... يروغ كالثعلب فى روغته
لاخير فى الجار اذا لم يكن ... ذا عفة يؤثر فى عفته
الناس خُدّام لذى نعمة ... وكلّهم يرغب فى خدمته
وان تزوجت فكن حاذقاً ... واسأل عن الغصن وعن منبته
وابحث عن الصهر واخواله ... من عنصر الحى وذى قربته
ياحافر الحفرة اقصر فكم ... من حافر يصرع فى حفرته
احذر دعا المظلوم فى ليله ... فربما يقبل فى دعوته
سيّما اذا كان أخا حرقة ... وبات يسقى الدمع من عبرته
اكرم غريب الدار واعمل على ... راحته مادام فى غربته
فمن غدا بالمال ذا شحة ... تذمه الناس على شحته
ياظالما قد غره ظلمه ... أى عزيز دام فى عزته
الموت محتوم لكل الورى ... لابد أن تجرع من غصته

﴿ ولعمر بن الوردى رحمه الله ﴾

ما للزمان عن المروءة عارى ... ماعنده فى منكر من عار
أشكو الى الله الزمان فدأبه ... عزّ العبيد وذلة الاحرار
لاغرّوان حسدت بنوه مناقبى ... كل على مجرى أبيه جارى
وارحمتا للحاسدين فنارهم ... قد سعّرت بُعداً لها من نار
واذا جرى ذكرى تكاد قلوبهم ... تنشق أو تغتالنى بشرار
كرهو اعطاء الله لى ياويحهم ... لشقائهم كرهوا صنيع البارى

ويزيدهم نارا وقود قريحتى ... وبلوغ أخبارى الى الاقطار
ياسعد ساعدنى على هجرانهم ... فى الله هجر مجانب متوارى
واحذر بنى الدنيا وكن فى غفلة ... عنهم وجانب كل كلب ضارى
واحفظ لصاحبك القديم مكانه ... لا تترك الود القديم لطارى
واذا أساء وفيك حمل فاحتمل ... ان احتمالك أعظم الانصار
سارع الى فعل الجميل وقلد الأعـ ... ـناق حسنى فالزمان عوارى
واجعل الى الاخرى بدارك بالتقى ... تغنم فما الدنيا بدار بدار
واعمل لتلك الدار ماهى أهله ... عمل المدارى أهل هذى الدار
وتوخ فعل المكرمات تبرعا ... فالمكرمات حميدة الآثار
لا تأسفن لماضى واحرص على ... اصلاح ما أبقيت باستكثار
فالمعسرون بنو كلاب عندهم ... واليوم أهل الفضل آل يسار
جاور اذا جاورت بحراً أوفتى ... فالجار يشرف قدره بالجار
كن عالما فى الناس أو متعلما ... أو سامعا فالعلم ثوب فخار
من كل فن خذ ولا تجهل به ... فالحر مطلع على الاسرار
واذا فهمت الفقه عشت مصدرا ... فى العالمين معظم المقدار
وعليك بالاعراب فافهم سره ... فالسر فى التقدير والاضمار
قِيَمُ الورى مايحسنون وزينهم ... ملح الفنون ورقة الاشعار
فاعمل بما علمت فالعلماء ان ... لم يعملوا شجر بلا أثمار
والعلم مهما صادف التقوى يكن ... كالريح اذ مرت على الازهار
ياقارئ القرآن ان لم تتبع ... ما جاء فيه فأين فضل القارى
وسبيل من لم يعلموا ان يحسنوا ... ظنا بأهل العلم دون نفار
قد يشفع العلم الشريف لاهله ... ويحل مبغضهم بدار بوار

هل يستوى العلماء والجهال فى ... فضل أم الظلماء كالانوار
ما العيش الا فى الخمول مع الغنى ... فى الاشتهار نهاية الاخطار
واقنع فما كنز القناعة نافداً ... وكفى بها عزا لغير ممارى
واسأل إلهك عصمة وحماية ... فالسيئات قواصف الاعمار
وان ابتليت بذلة وخطيئة ... فاندم وبادرها بالاستغفار
اياك من عسف الانام وظلمهم ... واحذر من الدعوات فى الاسحار
أطل افتكارك فى العواقب واجتنب ... أشياء محوجة الى الاعذار
ودع الورى وسل الذى اعطاهم ... لاتطلب المعروف من نكّار
جمد الندى لجمودة الكبرا وما ... جمد الندى لبرودة الاشعار
لم يبق خل للشدائد يرتجى ... فى نشر احسان وطى عوار
من أين يوجد صاحب مستحسن ... للخير أوزار على الاوزار
احذر عدوك والمعاند مرة ... واحذر صديق الصدق سبع مرار
فالاصدقاء لهم بسرك خبرة ... ولهم به سبب الى الاضرار
واصبر على الحساد صبر مدبر ... قد أظهر الاقبال فى الادبار
كم نال بالتدبير من هو صابر ... مالم ينله بعسكر جرار
الدّين شين الدّين قال نبينا ... فتوقه واصبر على الاقتار
دار العدى من أهل دينك جاهدا ... ما فاز بالعلياء غير مدار
فاذا رأيت الضيم مشتدا فلا ... تلبث وحاول غير تلك الدار
أيقيم حيث يضام الاجاهل ... قد عادل الاشرار بالأخيار
لا تودع السرّ النساء فما النسا ... أهلا الى مستودع الاسرار
كيد النساء ومكرهن مروع ... لاكان كل مكايد مكار
ان كن خلات الشبيبة والغنى ... صرن العدى فى الشيب والاعسار

أقلل زيارة من تحب لقاءه ... ان الملال نتيجة الاكثار
لا تكثرن ضحكا فكم من ضاحك ... أكفانه فى قبضة القصار
كم حاسد لك كائد كم مارد ... كم واجد كم جاحد كم زارى
لولا بناتى مت من شوقى الى ... موت أراح به من الاشرار
ابنات نعش أنجم وكمالها ... بالنعش فاطلب مثله لجوارى
أقسمت ما دفن البنات تلاعباً ... دفنوا البنات كراهة الاصهار
يالائمى فى ترك أوطانى لقد ... بالغت فى الاعذار والانذار
أصلى تراب فالانام بأسرهم ... لى أقربون وكل أرض دارى
أأطيل فى أرض مقامى لاهيا ... وقرار دارى غير دار قرارى
من كان للجيران يوما مسخطا ... فأنا لما يرضاه جارى جارى
امنتنى الجارات تجربة فلا ... يسبلن دون لقاى من أستار
عجبى لشارب خمرة ما خامرت ... لبّ امرئ الا عرته بعار
أنفت من العصار وهو يذلها ... دوسا لذا ثارت لأخذ الثار
يارب أمرد كالغزال لطرفه ... حكم المنية فى البرية جارى
تأليف طرته ونور جبينه ... تأليف ماء خدوده والنار
ومعذر كالمسك خط عذاره ... والخال فهو زيادة العطار
وبديعة ان لم تكن شمس الضحى ... فالوجه منها طابع الاقمار
أعرضت أعراض التعفف عنهم ... وقطعت وصلهم وقرّ قرارى
ماذاك جهلا بالجمال وانما ... ليس الخنا من شيمة الاحرار
ان أبق أو أهلك فقد نلت المنى ... وبلغت سؤلى قاضيا أوطارى
وحويت من علم ومن أدب ومن ... جاه ومن مال ومن مقدار
ورأيت للايام كل عجيبة ... وسئمت من صفو ومن اكدار

حتى لقد أصبحت لا أرجو ولا أخشى سوى ذى العزة القهار

﴿ وللشريف الرضى رحمه الله [1] ﴾

لغير العلى منى القلى والتجنب ولولا العلى ما كنت فى الحب أرغب
اذا الله لم يعذرك فيما ترومه فما الناس الا عاذل أو مؤنب
ملكت بحلمى فرصة ما استرقها من الدهر مفتول الذراعين أغلب
فان تك سنى ماتطاول باعها فلى من وراء المجد قلب مدرب
فحسبىَ انى فى الأعادى مبغض وانى الى عز المعالى محبب
وللحلم أوقات وللجهل مثلها ولكن أوقاتى الى الحلم أقرب
يصول علىَّ الجاهلون وأعتلى ويعجم فىَّ القائلون وأعرب
يرون احتمالى غصة ويزيدهم لواعج ضغن اننى لست أغضب
وأعرض عن كأس النديم كأنها وميض غمام غائر المزن خلب
وقور فلا الألحان تأسرا عزمتى ولا تمكر الصهباء بى حين أشرب
ولا أعرف الفحشاء الا بوصفها ولا أنطق العوراء والقلب مغضب
تحلم عن كرّ القوارض شيمتى كأن معيد المدح بالذم مطنب
لسانى حصاة يقرع الجهل بالحجى اذا نال منى العاضة المتوثب
ولست براض أن تمس عزائمى فضالات ما يعطى الزمان ويسلب
غرائب آداب حبانى بحفظها زمانى وصرف الدهر نعم المؤدب
تريثنا الأيام ثم تهيضنا إلا نعم ذا البادى وبئس المعقب

(١) هو محمد بن أبى أحمد الحسين بن موسى الابرش الشريف الملقب بالرضى ذي الحسبين نقيب الطالبين وأمير الحج البغدادى المولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة والمنشأ والوفاة سنة ست وأربعمائة ثم نقل الى مشهد سيدنا الحسين عليهما السلام بكر بلا فدفن عند أبيه وقبره ظاهر معروف

نهيتك عن طبع اللئام فاتنى أرى البخل يأتى والمكارم تطلب
تعلم فانّ الجودَ فى الناس فطنة تناقلها الأحرار والطبع أغلب

﴿ ولعلى الكبيدى (١) ﴾

تأمل ولا تعجل بما أنت باغيا وكن لازماً للعدل لاتك باغيا
وجاز الذى اسدى جميلا بمثله وسيئة فاجز مسيئاً وعاتيا
ولن جانباً للخل وارع وداده ووف بمكيال الذى كان وافيا
ورغ عند روّاغ وزغ عند زائغ ومع مستقيم العدل كن متساويا
تحل بحسن الخلق للخلق كلهم وكن سهلا صعباً نفوراً مؤاتيا
ودار جميع الناس مادمت بينهم وكن تابعاً حقاً نبياً مداريا
تحمل لجور الجار وارع جواره وواصل ذوى الأرحام واجف المجافيا
وكن بإله الناس ظنك محسناً وبالناس سوء الظن دوما مراعيا
ولا تغترر بالهش والبش من فتى وحفظ ولين مثل مس الأفاعيا
لتعلم ان الناس لا خير فيهم ولا بد منهم فالتبسهم مزاويا
اذا ماصددت المرء عند هوائه جهاراً وسراً عند ذاك معاديا
وان تبد يوماً بالنصيحة لامرئ بتهمته إياك كان مجازيا
وان تتحلى بالسماحة والسخا يقال سفيه أخرق ليس واعيا
وان أمسكت كفاك حال ضرورة يقال شحيح ممسك لامواسيا
وان ظهرت من فيك ينبوع حكمة يقولون مهذاراً بذياً مباهيا
وعن كل مالا يعن ان كنت تاركا يقولون عن عى من العجز صاغيا
وان كنت مقداماً لكل ملمة يقول عجول طائش العقل واهيا

(١) هو على بن يحيى بن أحمد بن على بن أحمد بن قاسم الحموى المولد سنة أربعين وألف والمنشأ والوفاة سنة ثلاث عشرة ومائة وألف

وان تتغاضى عن جهالة ناقص ... يعدوك خوّاراً جباناً ولاهيا
وان تتقاصى باعتزالك عنهمُ ... يخالوك من كبر وتيه مجافيا
وان تتدانى منهمُ لتألف ... يظنوك خدّاعاً كذوباً مرائيا
ترى الظلم منهم كامناً فى نفوسهم ... كذا غدرهم فى طبعهم متواريا
ففى قوة الانسان يظهر ظلمه ... وفى عجزه يبقى كما كان خافيا
وهيهات تنجو من غوائل فعلهم ... وأقوالهم مهما تكن متحاشيا
فمن رام ارضاء الأنام بقوله ... وفعل غدا للمستحيل معانيا
ومن ذا الذى أرضى الخلائق كلهم ... رسولا نبياً أم ولياً وقاضيا
وأعظم من ذا خالق الخلق هل ترى ... جميع الورى فى قسمة منه راضيا
اذا كان رب الخلق لم يرض خلقه ... فكيف بمخلوق رضاهم مراجيا
فلازم رضا رب العباد مدى ولا ... تبال بمخلوق اذا كنت زاكيا
وسدد وقارب ما استطعت فانما ... يكلف عبد فعل ما كان قاويا

﴿ وقال أبو العتاهية (١) ﴾

اسلك بُنيّ مناهج السادات ... وتخلقنّ بأشرف العادات
لا تلهينك عن معادك لذة ... تفنى وتورث دائم الحسرات
إن السعيد غداً زهيد قانع ... عبد الإله بأخلص النيات
أقم الصلاة لوقتها بشروطها ... فمن الضلال تفاوت الميقات
واذا اتسعت برزق ربك فاجعلن ... منه الأجلّ لأوجه الصدقات
فى الأقربين وفى الأباعد تارة ... إن الزكاة قرينة الصلوات

(١) هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية . ولد بعين التمر بالحجاز سنة ١٣٠ هجرية ونشأ بالكوفة وسكن بغداد وهو من مقدمي المولدين فى طبقة بشار وله شعر كثير وتوفى ببغداد سنة ٢١١ هجريه

وارع الجوار لأهله متورعاً بقضاء ما طلبوا من الحاجات
واخفض جناحك إن منحت إمارة وارغب بنفسك عن ردى اللذات

﴿ وله أيضا ﴾

أنلهو وأيامنا تذهب ونلعب والموت لا يلعب
عجبت لذى لعب قد لها عجبت وما لى لا أعجب
أيلهو ويلعب مَن نفسُه تموت ومنزله يخرب
نرى كل ما ساءنا دائماً على كل ما سرنا يغلب
نرى الليل يطلبنا والنهار ولم ندر أيهما أطلب
أحاط الجديدان جمعاً بنا فليس لنا عنهما مهرب
وكلٌّ له مدة تنقضى وكل له أثر يكتب

﴿ وقال صلاح الدين الصفدى (١) ﴾

ألجدُّ فى الجِدّ والحرمانُ فى الكسلِ فانصَب تُصبْ عن قريب غايةَ الأمل
واصبِرْ على كلّ ما يأتى الزّمان به صبرَ الحسام بكفّ الدارع البطَلِ
وجانبِ الحرصَ والأطماع تحظَ بما ترجو من العزّ والتأييد فى عجل
ولا تكونَنْ على ما فاتَ ذا حزَن ولا تظلّ بما أُوتيتَ ذا جذل
واستشعرِ الحلمَ فى كلّ الامور ولا تُسرع ببادرةٍ يوماً الى رجل
وإن بُليت بشخص لا خلاقَ له فكن كأنّك لم تسمَع ولم يقل
ولا تُمارِ سفيهاً فى محاورةٍ ولا حليماً لكى تُقصَى عن الزّلل
ولا يغُرّك من يُبدى بشاشته اليك خَدعاً فانّ السمّ فى العسَل

(١) هو خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤

وان أردتَ نجاحاً فى كلّ آونةٍ ... فاكتُم أمورك عن حافٍ ومنتعل

انّ الفتى مَن بماضى الحزم متّصف ... وما تعوّد نقصَ القول والعَمل

ولا يُقيمُ بأرضٍ طاب مسكنُها ... حتى يَقُدّ أديمَ السّهل والجبل

ولا يُضيّعُ ساعاتِ الزّمان فلن ... يعود مافات من ايّامه الأول

ولا يراقبُ الّا من يراقبهُ ... ولا يُصاحبُ الّا كلّ ذى نبَل

ولا يعُدّ عيوباً للورى أبداً ... بل يعتنى بالذى فيهِ من الخلَل

ولا يظنّ بهمْ سوءًا ولا حَسَناً ... بل التّجاربُ تهديه على مهل

ولا يُؤمّل آمالاً بصبح غدٍ ... الّا على وجلٍ من وثْبةِ الأجل

ولا يصُدّ عن التقوى بصيرته ... لأنها للمعالى أوضحُ السُّبل

فمن تكن حلّةُ التّقوى ملابسَهُ ... لم يخشَ فى دهره يوماً من العطَل

من لم تفِده صروف الدّهر تجربةً ... فيما يحاول فليسكُن مع الهمل

من سالمتْهُ الليالى فليثقْ عجَلاً ... منها بحرب عدوّ جاء بالحيل

من ضيّع الحزمَ لم يظفر بحاجتهِ ... ومن رَمى بسهام العُجب لم يَنل

من جاد ساد وأحيى العالَمون له ... بديعَ حمدٍ بمدحِ الفعل متّصل

من رام نيلَ العلى بالمال يجمعُهُ ... من غير حلّ بُلى من جهله وبَلِى

من لم يُصن نفسه ساءت خليقته ... بكلّ طبعٍ ردىءٍ غير منتقل

من جالس الوغدَ والحمقى جنى ندما ... لنفسه ورمى بالحادث الجلل

فخذ مقالَ خبيرٍ قد حوى حِكما ... اذ صغتُهُ بعدَ طول الخبُر فى عملى

﴿ وقال حسام الدين الواعظ ﴾

من ضيّع الحزم فى أفعاله ندما ... وظلّ مكتئباً والقلبُ قد سقِما

ما المرء الا الذى طابت فضائلهُ ... والدّين زَينٌ يزين العاقل الفهما
والعلم أنفس شئ أنت ذاخرُه ... فلا تكن جاهلا تستورث النّدَما
تعلم العلم واجلس فى مجالسه ... ما خاب قطّ لبيبٌ جالَسَ العلما
والوالدين فأكرم تنج من ضرر ... ولا تكن نكِداً تستوجب النّقما
ولازمِ الصمت لاتنطق بفاحشة ... وأكرم الجار لاتهتك له حُرُما
واحذر من المزح كم فى المزح من خطر ... كم من صديقين بعد المزح فاختصما
وصبّرِ النّفس وارشدها اذا جهلت ... وان حضرتَ طعاماً لا تكن نَهِما
آسِ اللّهيفَ اذاما كنت مقتدرا ... على الزمان وكن للخير مقتسما
وصُدّ نفسكَ عن لهو وعن مَرحٍ ... وان حَضرت مقاماً كنت فيه سَما

﴿ وقال عمر بن الوردى (١) ﴾

إعتزل ذِكر الأغانى والغزل ... وقل الفصل وجانب مَن هزَل
ودَعِ الذّكر لأيام الصّبا ... فلأيام الصِّبا نجمٌ أفل
واترك الغادَة لا تحفل بها ... تُمس فى عِزّ رفيع وتُجل
وافتكر فى مُنتهى حُسن الذى ... أنت تهواهُ تجد أمراً جلل
واهجُرِ الخمرة إن كنت فتًى ... كيف يسعى فى جنونٍ مَن عقل
واتّقِ الله فتقوى الله ما ... جاورت قلب امرئ إلا وصل
ليس مَن يقطعُ طُرقاً بَطلاً ... إنما مَن يتّقى الله البطل
كُتبَ الموت على الخلق فكم ... فلّ من جيش وأفنى من دُول
أين نمرُودُ وكنعانُ ومَن ... مَلك الارض وولّى وعزل

(١) هو الامام سراج الدين عمر بن الوردي توفى سنة ٧٤٩ هجريه

أين مَن سادوا وشادوا وبنَوا ... هلك الكلُّ ولم تغنِ القلل
أين أرباب الحِجَى أهل النُّهى ... أين أهل العلم والقوم الاوَل
سيَعيدُ اللهُ كلاًّ منهمُ ... وسيجزى فاعلا ما قد فعل
يا بُنَيَّ اسمَعْ وصايا جمعت ... حِكَما خُصَّت بها خير المِلل
اُطلُبِ العلم ولا تكسل فما ... أبعدَ الخير على أهل الكسل
واحتفِل للفقه فى الدّين ولا ... تشتغل عنه بمال وخَوَل
وأهجرِ النَّومَ وحصّلهُ فمن ... يعرفِ المطلوبَ يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه ... كلُّ من سار على الدّرب وصل
فى ازدياد العلم إرغامُ العِدى ... وجمال العلم إصلاحُ العمل
جمّل المنطق بالنّحو فمن ... يُحرَم الإعراب بالنطق اختبل
إنظمَ الشّعر ولازم مذهبى ... فى اطّراحِ الرِّفدِ لا تبغ النِّحل
فهوَ عُنوان على الفضل وما ... أحسنَ الشّعر اذا لم يُبتذَل
أنا لا أختار تقبيل يدٍ ... قطعُها أجملُ من تلك القُبَل
مُلكُ كِسرى عنه تُغنى كِسرَةٌ ... وعن البحرِ اجتزاءٌ بالوَشَل
إطرَحِ الدُّنيا فمن عاداتها ... تخفِضُ العالِى وتُعلِى مَن سفل
عيشةُ الرّاغبِ فى تحصيلها ... عيشة الجاهل فيها أو أقل
كم جهُولٍ بات فيها مُكثِراً ... وعليمٍ بات منها فى عِلَل
كم شجاعٍ لم يَنَل فيها المُنى ... وجبانٍ نال غايات الأمل
فاترك الحيلة فيها واتّكل ... إنما الحيلة فى ترك الحيل
لا تقُل أصلى وفصلى أبداً ... إنما أصل الفتى ما قد حصل

قد يسود المرء من دون أبٍ ... وبحسن السَّبكِ قد يُنفَى الدَّغل
انما الوَردُ من الشَّوكِ وما ... يَنبُتُ النَّرجس الاّ من بصل
قيمة الانسان ما يُحسنهُ ... أكثرَ الانسانُ منه أم أقل
بين تبذيرٍ وبُخلٍ رُتبةٌ ... وكلاَ هذَين إن زاد قتل
ليس يخلو المرء من ضدٍّ ولو ... حاول العُزلةَ فى رأس الجبل
دار جار السَّوء بالصَّبرِ وإن ... لم تجد صبراً فما أحلَى النُّقل
جانب السلطان واحذَر بطشهُ ... لا تُعانِدْ مَن اذا قال فعل
لا تَلِ الأحكامَ إن هم سألوا ... رَغبةً فيك وخالف مَن عذَل
انّ نصف الناس أعداءٌ لِمَن ... وَلِىَ الأحكامَ هذا ان عدَل
قَصّرِ الآمالَ فى الدُّنيا تَفُزْ ... فدليل العقل تقصيرُ الأمل
غِب وَزُر غِبّاً تَزِد حُباً فمن ... أكثرَ التَّردَاد أقصاهُ المَلل
لا يَضُرُّ الفضلَ إقلالٌ كما ... لا يَضُرُّ الشمسَ إطباقُ الطَّفَل
خُذ بنَصل السيف واترُك غِمدَهُ ... واعتبر فضل الفتى دُونَ الحلل
حبك الأوطان عجزٌ ظاهرٌ ... فاغتَرِب تَلقَ عن الأهل بدل
فبمُكث الماء يبقى آسناً ... وسُرَى البدر به البدر اكتمل

﴿ وقال أبو الطيب المتنبى ﴾

ذو العقل يَشقى فى النعيم بعقله ... وأخو الجهالة فى الشقاوة يَنعَمُ
والناس قد نبذوا الحِفاظ فمُطلَقٌ ... ينسى الذى يُولى وعافٍ يندمُ
لا يَخدَعنّكَ من عدوّ دمعه ... وارحَم شبابك من عدوٍّ ترحَم
لا يَسلَمُ الشّرف الرَّفيع من الأذى ... حتى يُراق على جوانبه الدَّم

والظُّلْمُ من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
ومن البلية عذل من لا يرعوى عن جهله وخطاب من لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضرّ ويُؤلم
والذلّ يُظهرُ فى الذليل مودّة وأودّ منه لِمن يَوَدّ الأرقم

﴿ وقال الطغرائى (١) ﴾

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل وحلية الفضل زانتنى لدى العطل (٢)
مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل (٣)
فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى بها ولا ناقتى فيها ولا جملى (٤)
ناء عن الأهل صفر الكف منفرد كالسيف عرى متناه عن الخلل
فلا صديق اليه منتهى حزنى ولا أنيس اليه منتهى جذلى (٥)

(١) هو العميد أبو اسماعيل الحسين بن على الملقب مؤيد الدين المشهور بالطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هجريه (٢) صانتنى حفظتنى والخطل الخطاء (المعنى) جودة عقلى حفظتنى من الخطاء فى قولى وفعلى . وصفة زيادتى فى العلم والأدب حسنتنى عند الخلو من الامارة (٣) مجد شرف وشرع سواء ورأد الوقت الذى فويقه الضحى والطفل الوقت الذى بعد العصر وقبل الغروب (المعنى) شرفى وقت تجردى من الامرة وشرفى وقت تسربلى بها سواء كالشمس فى كون ضوئها أو ارتفاعها لم ينقص منه شئ فى هذين الوقتين المختلفين . يفتخر بدوام شرفه على اختلاف الازمان (٤) الزوراء اسم لبغداد وناء بعيد وصفر خالى وعرى جرد ومتناه جانباه والخلل كسوة غمد السيف (المعنى) لأى شئ مكثى ببغداد مبتوت العلائق بعيداً فيها عن أقاربى فقيراً وحيداً رث المنظر كالسيف تجرد جانبا غمده من البطائن التى يتحليان بها (٥) الجزل السرور

طالَ اغترابى حتى حَنَّ راحِلَتى ... ورَحلُها وقَرَا العَسَّالةِ الذُّبُل (١)
وضَجَّ من لَغَبٍ نِضْوى وعَجَّ لِمَا ... ألقَى رِكابى ولَجَّ الرَّكْبُ فى عَذَلى (٢)
أُريدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أستعين بها ... على قَضاء حقوقٍ للعُلى قِبَلى
والدَّهرِ يعكِسُ آمالى ويُقْنِعُنى ... من الغنيمة بعد الكَدِّ بالقَفَل (٣)
وذى شَطاطٍ كصَدرِ الرُّمحِ مُعْتَقِلٍ ... بمثلِه غيرِ هَيَّابٍ ولا وَكِلِ (٤)

(المعنى) اعتزانى الناس ببغداد فلم يأو الى بها حبيب أبث اليه كدرى من جور الزمان فيفرجه عنى ويساعدنى على صرفه ولا سمير أوصل اليه فرحى فيزيد سرورى ويدفع وحشتى (١) حن مال والراحلة ما يرحل عليه من الابل مذكراً كان أو مؤنثاً والرحل العدة التى يركب عليها وقرا ظهره والعسالة الأهتزاز والذبل الجافة (المعنى) امتد بعدى عن وطنى بموالاتى السفر الى أن مالت ناقتى للرجوع الى وطنها وحن القتب لشدة تأثره بالرياح (٢) ضج صوت واللغب التعب ونضوى أى منضو بمعنى مهزول وعج صوت ولج تمادى والعزل اللوم (المعنى) امتد بعدى حتى صوت من أجل تعبه ركوبتى وصوت لمثل ما أصادف من تعب السفر إبل أصحابى الذين معى فيه وتمادوا فى لومى على هذا السفر الذى امتد ولم ينته لأطلب بامتداد بعدى عن وطنى ثروة أتساعد بسببها على أداء عادة ثابتة ثبوت مروءة جهتى (٣) يعكس يرد ويقنعنى يرضينى والكد التعب والقفل الرجوع (المعنى) والزمن يرد على ما أرجوه ويجعانى بعد التعب فى السفر والتغرب راضياً بالرجوع بدل الغنية التى هى مطمح نظرى فى تكبد المصاعب (٤) شطاط اعتدال القامة ومعتقل قابض وهياب خواف ووكل عاجز (المعنى) ورب صاحب اعتدال قامة كاعتدال صدر الرمح معتقل برمح مثله لا يخاف المخاوف ولا يعجز عن شئ من شؤونه ... التفت الى وصف صاحب له بهذه الاوصاف وغيرها وهو اقتضاب على عادة البلغاء من

حُلو الفُكاهةِ مُرِّ الجِدِّ قد مُزِجَتْ بشدّة البأس منه رقّةُ الغزل (١)
طَرَدْتُ سَرْحَ الكَرى عن وِرْدِ مُقْلَتِه والليل أغرى سَوامَ النوم بالمُقَل (٢)
والرَّكبُ مِيلٌ على الأكوار من طَرَبٍ صاحٍ وآخرُ من خمر الكرى ثَمِل (٣)
فقلتُ أدعوك للجُلّى لتنصُرَنى وأنتَ تخذُلُنى فى الحادث الجَلَل (٤)
تنام عينى وعينُ النجم ساهرةٌ وتستحيل وصِبغُ الليل لم يَحُل (٥)
فهل تعينُ على غَىٍّ هممتُ به والغَىُّ يَزجر احياناً عن الفَشَل (٦)
إنّى اريدُ طُروقَ الحىّ من إضَمٍ وقد حماهُ رُماةٌ من بنى نُعَل (٧)

الالتفات من فن الى آخر تنشيطاً للسامع (١) مزجت خلطت والبأس الشجاعة ورقة الغزل لطف الكلام (المعنى) يصف صاحبه أيضاً بأنه قد ركب فيه لطف المزح بقوة الشجاعة (يضع كلا منهما فى موضعه) (٢) طردت أبعدت وسرح وثبات والكرى النوم والورد الوصول والمقلة شحمة العين الجامعة للسواد والبياض وأغرى أولع وسوام وثبات (المعنى) أبعدت عن رفيقى وثبات النوم عن وصولها عينه والليل أولع وثبات النوم بالعيون (٣) ميل منحنى وطرب نشط وثمل سكر (المعنى) وأصحابى منحنون على رحالهم فريق منهم نشط يقظ لم يتغلب عليه النوم وفريق آخر خمل متثاقل من تغلبه عليه (٤) الجلى الأمر العظيم وتخذلنى تتركنى والحادث الجلل الحقير (المعنى) فقلت له موبخاً أأطلبك وأعدك للأمر العظيم لتساعدنى عليه وأنت تترك نصرتى فى الامر الحقير مع أن النفوس الكريمة مجبولة على تحقيق ما يرجى فيها (٥) تستحيل تتحول وصبغ ظلام ويحل ينتقل (٦) غى ضلال ويزجر يمنع (المعنى) قد غفرت ما حصل من تقصيرك فى شأنى بنومك فهل تساعدنى على ضلال أردته ولا تخش عقباه بالذم على فعله (٧) طروق

يَحْمُونَ بالبيضِ والسُّمرِ اللِّدانِ به ... سودَ الغدائرِ حُمرَ الحلْى والحُلَلِ (١)

فسِر بنا فى ذِمامِ الليلِ مُعتسِفاً ... فنفحة الطِّيبِ تَهدينا الى الحِلَلِ (٢)

فالحبُّ حيث العدا والاسْدُ رابضةٌ ... حولَ الكِناسِ لها غابٌ من الأسَلِ (٣)

نَؤُمُّ ناشئة بالجزْعِ قد سُقِيَتْ ... نِصالُها بمياهِ الغُنجِ والكَحَلِ (٤)

قد زاد طِيبَ أحاديثِ الكِرامِ بها ... ما بالكَرائمِ من جُبنٍ ومن بَخَلِ

تَبيتُ نارُ الهوى منهنَّ فى كَبِدٍ ... حرَّى ونارُ القِرَى منهم على القُلَلِ (٥)

المجئ ليلا والحى القبيلة واضم اسم جبل وحماه منعه ورماة كسعاة خفراء وسعل قبيلة من طيئ (المعنى) انى أرغب النزول بالقبيله المعهودة ليلا من طريق هذا الجبل وقد منعها ممن يسطو عليها رجال مجيدون رمى النبال من أبناء قبيلة سعد (١) البيض السيوف والسمر الرماح واللدان اللينة والغدائر الضفائر من الشعر والحلى ما تتحلى به المرأة والحلل الثياب المزركشة (المعنى) يمنع هؤلاء الرماة فى الحى بالسيوف والرماح اللينة نساء سود الضفائر متحليات بالذهب الاحمر وملابس الحرير الحمراء (٢) زمام كفالة ومعتسفا متكلفاً طريقاً غير مألوف والحلل بيوت القوم التى يحلونها (المعنى) اذهب بنا فى ضمانة الليل غير سالك طريقاً مالوفاً خشية من قطاع الطريق ولاتخش الضلال فى الوصول الى الحى فان رائحة طيبه تدلنا عليه (٣) الحب المحبوب ورابضة واقفة والكناس بيت الظبى والغاب شجر يسمى بالاسل ملتف على بعضه ويكون مأوى الاسود (المعنى) المحبوب فى مكان به الرقباء ورجال الحى مقيمة حول مكانه مستعدة برماح تصول بها على من يقرب منه (٤) نؤم نقصد والجزع منعطف الوادى والنصال السيوف والغنج حسن شكل العيون والكحل سواد يعلو جفون العين خلقة (المعنى) نقصد بسيرنا قبيلة تربت فى منعطف الوادى قد أعطيت عيونها حسن الشكل والكحل (٥) القرى الكرم والقلل جمع قلة أعلى الجبل

يَقْتُلْنَ أَنضاءَ حُبٍّ لا حَرَاكَ بهم ... ويَنحرون كِرام الخيل والإبل (١)
يُشْفَى لدِيغُ العَوالى فى بيوتهمِ ... بِنَهلةٍ من غَدِير الخمر والعَسَل (٢)
لعَلَّ إلْمامَةً بالجزع ثانيةً ... يَدِبُّ منها نسيم البُرْءِ فى عِلَلى (٣)
لا أكرَهُ الطَّعنةَ النَّجلاءَ قد شُفِعتْ ... بِرَشْقَةٍ من نِبال الأعيُنِ النُّجُل (٤)
ولا أهابُ الصِفاحَ البيضَ تُسعِدُنى ... باللَّمحِ من خَلَلِ الأستارِ والكِلَل (٥)
ولا أخلُّ بغِزْلانٍ تُغازِلُنى ... ولو دَهَتْنى أُسودُ الغِيل بالغِيَل (٦)
حُبُّ السَّلامة يَثنى عَزْمَ صاحبه ... عن المعالى ويُغرِى المرءَ بالكسل (٧)

(المعنى) يمكث طول الليل وجد الحب من كرائم هذه القبيلة ملتهباً فى كبد محبهن الحارة بسببه وتمكث نار الاكرام ملتهبة على أعالى الجبال ليهتدى بها الضال فى الليل (١) ان نساء هذه القبيلة يقتلن ببراعة جمالهن عشاقهن حتى أعدم حركتهم عشقهم لهن ورجالها بفرط كرمهم يذبحون جياد الافراس والجمال لضيوفهن (٢) أى يبرأ من قتل فى حبهن بأول شربة من ريق ثغرهن (٣) المامة نزولا ويدب يسرى (٤) أكره أبغض والطعنة النجلاء الجرح المتسع برمح وشفعت قرنت ورشقة رمية ونبال السهام المراد بها هنا اللحاظ والنجل الواسعات (المعنى) لاأبغض الوخذة الواسعة من رماح رجال هذه القبيلة مقرونة برمية من لحاظ الأعين الواسعات لنسائها (٥) الصفاح السيوف وخلل الثقب الخفيف النافذ فى الشئ والكلل ستر يخاط شبه الناموسية (المعنى) ولا أخاف ضرب السيوف من رجال هذه القبيلة مسعدة لى بخفيف نظرى لها من ثقوب استار بيوتهن وحجراتهن (٦) أى لا أترك النظر من خلل الأستار الى نساء هذه القبيلة التى تحادثنى ولو أصابتنى شجعانها باهلاكاتها فجأة (٧) أى الرغبة فى النجاة من المشاق تصرف عزم ملازمها عن مكاسب الشرف

فان جنحتَ اليه فاتخذْ نَفَقاً ... فى الأرض أو سُلَّماً فى الجوّ فاعتزل (١)

ودَعْ غِمارَ العُلى للمُقدِمين على ... ركوبها واقتنع منهنَّ بالبَلل (٢)

يَرضى الذَّليل بخفض العيش مَسكنةً ... والعزُّ عند رَسيم الأينُق الذُّلُل (٣)

فادرَأ بها فى نُحور البِيدِ جافلةً ... مُعارضاتٍ مثانى اللُّجم بالجُدُل (٤)

إنّ العُلى حدَّثتنى وهى صادقةٌ ... فيما تُحَدِّثُ أنّ العزَّ فى النُّقَل (٥)

لو أنّ فى شرَفِ المأوى بُلوغ مُنًى ... لم تبرَحِ الشّمس يوماً دارَة الحَمَل

أهبْتُ بالحظّ لو ناديتُ مُستمعاً ... والحظُّ عنّى بالجهّال فى شُغُل

لعلّهُ إن بدا فضلى ونقصُهمُ ... لِعينه نام عنهم أو تنبّه لى

أُعلِّلُ النّفس بالآمال أرقُبُها ... ما أضيقَ العيش لولا فُسحة الأمل

لم أرتَضِ العيش والأيامُ مُقبلةٌ ... فكيف أرضَى وقد ولَّتْ على عَجَل

غالَى بنفسى عِرْفانى بقيمتها ... فَصُنتُها عن رَخيص القَدْر مُبتَذَل

وعادةُ السيفِ أن يزْهَى بجوهره ... وليس يَعْمَل إلاَّ فى يَدَىْ بَطَل

ما كنتُ أُوثِرُ أن يَمتدَّ بى زمنى ... حتى أرى دولة الأوغادِ والسِّفَل

تقدَّمَتْنى أُناسٌ كان شوطُهمُ ... وراء خَطْوِىَ لو أمشِى على مَهَل

وتولعه بالتثاقل والفتور عنها (١) النفق كجبل سرب فى الارض له منفذ من مكان آخر (المعنى) فان ملت الى حب السلامة فاجعل لك سربا فى الارض تسكنه أو سلماً ترقى عليه فى الجوّ فتسكن (٢) غمار كثير والبلل القليل (٣) رسم سرعة والاينق الذلل أى الابل المروضة التى ليست بجموحة (٤) ادفع بهذه الاينق فى أوائل الصحارى مسرعة مقابلات بأزمتها أعنة الخيل التى تصحبها فى السير أى غير متأخرة عنها فيه (٥) النقل التحول والانتقال

هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا ... من قبله فتمنى فسحة الأجل

فان علانى من دونى فلا عجب ... لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

فاصبر لها غير محتال ولا ضجر ... فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل

أعدى عدوك أدنى من وثقت به ... فحاذر الناس واصحبهم على دخل

فانما رجل الدنيا وواحدها ... من لا يعول فى الدنيا على رجل

وحسن ظنك بالأيام معجزة ... فظن شرا وكن منها على وجل

غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت ... مسافة الخلف بين القول والعمل

وشان صدقك عند الناس كذبهم ... وهل يطابق معوج بمعتدل

إن كان ينجع شىء فى ثباتهم ... على العهود فسبق السيف للعذل

ياوارداً سؤر عيش كله كدر ... أنفقت صفوك فى أيامك الأول

فيم اقتحامك لجج البحر ترکبه ... وأنت تكفيك منه مصة الوشل (١)

ملك القناعة لا يخشى عليه ولا ... يحتاج فيه الى الأنصار والخول

ترجو البقاء بدار لا ثبات بها ... فهل سمعت بظل غير منتقل

وياخبيراً على الأسرار مطلعاً ... اصمت ففى الصمت منجاة من الزلل

قد رشحوك لأمر إن فطنت له ... فارأب بنفسك أن ترعى مع الهمل

﴿ وقال المرحوم عبد الله باشا فكرى يخاطب نجله ﴾

اذا نام غرّ فى دجى الخطب فاسهر ... وقم للمعالى والعوالى وشمر

---

(١) الاقتحام الأخطار ومصة الوشل هنا قليل الماء (المعنى) لأى شىء تدخل فى أخطار صعب الأمور راكباً مشاقه فى طلبه وأنت يجزئك فى حاجاتك القليل من قليله

وخلّ أحاديث الأمانى فانها ... علالة نفس العاجز المتحير
وسارع الى مارُمت مادمت قادراً ... عليه فان لم تبصر النجح فاصبر
ولا تأت أمراً لا ترجّى تمامه ... ولا مَوْرداً مالم تجد حُسن مصدر
وأكثِرْ من الشورى فانك ان تصب ... تجد مادحاً أو تخطئ الرأى تعذر
ولا تستشر فى الأمر غير مجرّب ... لأمثاله أو حازم متبصّر
ولا تبغ رأياً من خؤون مخادع ... ولا جاهل غِرّ قليل التدبّر
فمن يتبع فى الخطب خدعة خائن ... يعضّ بنان النادم المتحسّر
ومن يتبع فى أمره رأى جاهل ... يَقُدْه الى أمرٍ من الغىّ منكر
كمن يهتدى فى جوف ظلماء داجر ... بأكمه فى نور الضحى غير مبصر
وكم من نصوح أبصر الخلف فاتنى ... يبيع الهدى بالغىّ غير مفكّر
ولا تصغ فى ودّ الصديق لكاذب ... نموم وان يعرض لك الشكّ فاخبر
ولا تغترر تندم ولا تك طامعاً ... تُذلّ ولا تحقر سِواك تُحقّر
وعوّد مقال الصدق نفسك وارضه ... تصدق ولا تركن الى قول مُفترى
ودع عنك اسراف العطاء ولا يكن ... لكفيك فى الانفاق امساك مقتر
ألا ان أوساط الأمور خيارها ... مقال نبىّ عن هدى الله مُخبر
وألأمُ هذا المال مالٌ تصيبه ... بظلم وتعطيه عطاء المبذّر
وأكرَمُه مالٌ أُصيب بحقّه ... وأُنفق فى نهج من الحقّ نيّر
وأشقى الورى مَن باع أخراه ضالّة ... بدنيا سواه وهو للغبن مشترى
وخير عباد الله أنفعهم لهم ... كما جاء فى قول النذير المبشّر
فكن راغباً فى الخير ماعشت وانتصب ... لنفع الورى مااستطعت والشرّ فاحذر

ولا تقف زلاّتِ العباد تعدّها فلست على هذا الورى بمسيطر
ولا تتعرض لاعتراض عليهم دَعِ الخلق للخلاّق تسلم وتؤجر

﴿ وقال عبد القيس بن خفاف البرجمى ﴾

أُبَنِيَّ (١) انّ أباك كارب يومه فاذا دُعيت الى المكارم فاعجل
أُوصيك إيصاء امرئ لك ناصح طَبِنٍ (٢) بريب الدهر غير مغفل
اللهَ فاتّقه وأوف بنذره واذا حلفت ممارياً (٣) فتحلّل
والضيفَ أكرمه فان مبيته حقٌّ ولا تك لعنةً (٤) للمنزل
واعلم بأنّ الضيف مخبر أهله بمبيت ليلته وان لم يسأل
ودع القوارص (٥) للصديق وغيره كيلا يروك من اللئام العذّل
وصل المواصل ماصفا لك ودّه واجذذ (٦) حبال الخائن المتبدّل
واحذر محل السّوء لاتحلل به واذا نبا بك منزل فتحوّل
واستأنِ (٧) تظفر فى أمورك كلها واذا عزمت على الهدى فتوكل
واستغن ما أغناك ربّك بالغنى واذا تُصبك خصاصة (٨) فتحمّل
واذا افتقرت فلا تكن متخشّعاً ترجو الفواضل (٩) عند غير المُفضِل

---

(١) الهمزة للنداء وكارب يومه كناية عن دنو أجله (٢) بفتح الطاء وكسر الباء الفطن الحاذق (٣) كاذباً كما قال الفراء فى تفسير قوله تعالى فبأى آلاء ربك تمارى (٤) بضم اللام وسكون العين الذى يلعنه الناس وأما الذى بفتح العين مع الضم أيضاً فهو الكثير اللعن للناس (٥) جمع قارصة وهى الكلمة المؤذية (٦) اقطع (٧) لاتعجل (٨) بفتح الخاء الفقر اذا لاتعمل الجزم الا فى الشعر للضرورة كما هنا (٩) النعم والمفضل بضم الميم وكسر الضاد المنعم

واذا تشاجر فى فؤادك مرة أمران فاعمد للأعفّ الأجمل
واذا هممت بأمر سوء فاتئد [١] واذا هممت بأمر خيرٍ فاعجل

﴿ وقال الشيخ ناصيف اليازجى ﴾

دع يوم أمس وخذ فى شأن يوم غد واعدد لنفسك فيه أفضل العُدد
واقنع بما قسم الله الكريم ولا تبسط يديك لنيل الرّزق من أحد
والبس لكل زمان بُردةً حضرت حتى تحاك لك الأخرى من البُرَد
ودُر مع الدهر وانظر فى عواقبه حِذار أن تُبتلى عيناك بالرَّمد
متى ترى الكلب فى أيام دولته فاجعل لرجليك أطواقاً من الزّرد
واعلم بأنّ عليك العار تلبسه من عضّة الكلب لا من عضّة الأسد
لا تأمل الخير من نعمة حدثت فهو الحريص على أثوابه الجُدد

﴿ وللسير على أبى النصر رحمه الله [١] ﴾

بقدر الرأى تعتبر الرجال وبالآمال ينتظر المآل
وأفراط البليغ اذا تمادى على حال يخالطه ابتذال
وامساك الأديب يفيد علماً بأحوال الغبى كما يقال
ومن عرف الحقائق مات غماً وان طلب الإقالة لا يقال
وبالاقدام يسهل كل صعب وبالتمويه يتسع المجال
وبالتحقيق تتضح الخفايا وعند الشك ينتظر الهلال
ومن لم يتئد فى كل أمر تخطاه التدارك والمنال

(١) تمهل (٢) هو على أبو النصر المصرى المولد والمنشأ والوفاة من شعراء القرن الثالث عشر

وهضم النفس أقبح كل شئ ... على حرّ له فيها كمال
ومن لزم القناعة نال عزا ... وهل بالذل منقبة تنال
أعد نظراً وخذ منى حديثاً ... اذا أصغيت دام لك الكمال
ولو سلمت نفسك للتمنى ... بلا وجه لجاز لك المحال
وها أنا قد نصحت ولا أبالى ... وهل فى النصح عار أو وبال
على أنى سئمت من الأمانى ... وما قصدى من الأيام مال
ولكنّ الأحبة بعد بعدى ... تناسوا مالهم عندى ومالوا
كنوز المجد ترغبها أناس ... وتطلبها وان ضاق المجال
وتبذل دونها الأرواح طوعاً ... وفيها لا يروعها الجدال
ومن يهو العلى دون اشتغال ... بما يعنيه داخله الخبال
وأوهام الظنون فساد رأى ... وحيات الخيال هى الحبال
ومن لم يدر غاية ما تمنى ... بلا شك هدايته ضلال
تراه اذا اعتلى زاد اعتلالا ... وان طاب الرجوع فلا ينال
وما جهد المقل اذا تصدى ... الى حمل العلى وهى الجبال
فما أسفى على غرض تقضى ... وما فرحى بما فيه النوال
لعمر الله ماعوّدت نفسى ... خضوعاً لامرئ فيه ابتذال
أيرضى من له عقل ورأى ... تعاطى ماعليه به وبال
خليلى ان أصبت دع التصابى ... فما لين الكلام هو الجمال
وما قص الشعور يزيد حسناً ... وما هذا وذا الا اختبال
ولا تركن اذا رمت المعالى ... الى من منه أعجبك الدلال
ولا تعجب فللحيات لين ... وسطوات تخاف اذا استطالوا
وها أنا قد نصحتك والليالى ... ستظهر ما تضمنه المثال

وقال المؤلف معارضا لامية الطغرائى

عليكَ بالصبرِ والاخلاصِ فى العملِ ... ولازم الخيرَ فى حلٍّ ومُرتحلِ
وجانب الشرَّ واعلم أنَّ صاحبه ... لابدَّ يجزاه فى سهلٍ وفى جبلِ
وانبُتْ ثبات الرواسى الشامخات ولا ... تركنْ الى فشلٍ فى ساعة الوهلِ
وكن كرضوى لما يعرُوك من نُوبٍ ... ولا تكن جازماً فى الحادث الجللِ
واصبر على مُضض الأيام محتملا ... ففيه قرعٌ لباب النجح والأملِ
تأنَّ متئِداً فيما تروم ولا ... تعجلْ وإن خُلق الانسانُ من عجلِ
لاتطلبُ العزَّ فى دار وَلدت بها ... فالعزُّ عند رَسيم الأينُق الذللِ
شمّر وجِدَّ لأمر أنت طالبُه ... اذ لا تُنال المعالى قطُّ بالكسلِ
واحذر مساوىَ أخلاق تُشان بها ... وأسوء السُّوءسوء الخلق والبخلِ
واخفض جناحك للمولى وجُدْ ونل ... ما أسمَج الكبرَ والامساكَ بالرَّجُلِ
لاتسأل النذلَ واقصد ماجداً حدباً ... فى طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحَلِ
نوّر بلقياك مَن تلقى نواظِره ... ولاتكن كالقذى فى الاعيُن النجلِ
ولا تُجادل جهولا ليس يفهم ما ... تقول فالشركلّ الشرّ فى الجدلِ
ولا تكن لنزُول الخَطب مُضْطربا ... فى حادث الدهر ما يُغنى عن الحِيَلِ
الجودُ أحسنُ ما أُوليتَ من خُلُق ... والعفو أنقى لداء الضّغن والدخلِ
والحلم مِلحُ فسادِ الأمر يُصلحه ... والبذل خير فِعال الماجد البَطَلِ
لا تقتحم غمراتِ البحر مُرتكباً ... وأنت يكفيك منه مَصّةُ الوشلِ
ولا تعاشر سوى حزمٍ أخا ثقةٍ ... واربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَلِ
لا تنخدع لصديق يدّعى ملقاً ... فحاذر الناسَ واصحبهم على دخلِ

لا تأمنن أحدا واحذر مكائدهم ... وظن شرًّا وكن منهم على وجل
ولا تغرنك الدنيا بزهرتها ... فهل سمعت بظل غير منتقل
ان الغنى غنى النفس فى كرم ... بالطبع لا باقتناء الشاء والابل
ان الصنيعة للأنذال تفسدهم ... كما تضر رياح الورد بالجعل
مرارة النصح تحلو لى مضاضتها ... فربما صحت الاجسام بالعلل
دع التكلف لا يجديك منفعة ... ليس التكحل فى العينين كالكحل
أرى الرعاء رعاء الشاء فى ترف ... فى أخفض العيش بين الخيل والخول
وسادة العصر قد ألقوا مقالدهم ... الى الطغاة شرار الناس والسفل
تحكموا فى قضايا الناس واحتكموا ... وحكموا كل ذى جهل أخى خبل
من كل غر جهول لا يرى رشداً ... كباقل مثلا فى العى والخطل
تعساً لشر زمان ظل طوع يد اللـ ... ـئام يسقيهم علاً على نهل
القبض والبسط فى أيدى ذوى شطط ... من كل سكران من خمر الهوى ثمل
تسطو الكلاب على أسد الشرى سفها ... والباز الاشهب يخشى صولة الحجل
والقرد يضحك من نمر على هزؤ ... والكلب يوعد ليث الغيل بالغيل
نال المرام علوج لا خلاق لهم ... فوق المؤمل من شب ومكتهل
أملى لهم دهرهم فاستهملوا أمداً ... مرخى لهم فى مروج العيش والطول
شر العصور زمان يستمد به ... خب لئيم غدا فى الشر كالثمل
لا يعلم الرشد من غى وليس له ... سوى الشرارة فى قول وفى عمل
يشكو الطوى كل ذى فضل وذى أرب ... وسوقة الناس فى خفض وفى جدل
ناهيك من غمة غماء ماسمعت ... بمثلها أذن فى الأعصر الأول

أشدد بها أزمةَ أللهُ يفرجها ... ما أضيقَ العيشَ لولا فسحة الأمل
مالى وللبلدة الحمقاء أسكنها ... مسا كناً لذوى خرق أولى حيل
وليس لى ناقةٌ فيها ولا جمل ... وليس لى ثمّ من ثورٍ ولا حمل
لا يستقيم وفاق لى بمثلهم ... وهل يُطابَقُ معوجٌ بمعتدل
قد زقتهم وبلوت الحال عندهمُ ... فما حصّلت على صاب ولا عسل
ليسوا كراماولكن من مكارمهم ... ما بالكرائم من جُبن ومن بخل
انى ابتُليتُ بأخلاق فوصلهمُ ... وعدٌ ومطل وارجاء على مذل
لايفعلون اذا قالوا فقد بَعُدت ... مسافة الخُلف بين القول والعمل
أضحت مواعيدُ عرقوب لهم مثلا ... وما مواعيدهم الا على دَخَل
أخلاقهم صحّ انجازاً لموعدهم ... اذ كان وعدهمُ كذباً من الخجل
أشكو الزمان وأهليه وأمقتهم ... اذ سوء أفعالهم أوفى على القلل
ساءت سريرتهم حالت طريقتهم ... زاغت بصيرتهم عن أقوم السبُل
علمٌ بلا عمَل حُكمٌ بلا حَكَم ... ظلمٌ على عجل وعدٌ على مَهَل
الإفك والزورُ والبهتانُ عندهمُ ... والسعىُ فى الارض بالافساد والخلل
الكذب مستحسنٌ والصدق عندهمُ ... مستهجنٌ من صفات العاجز الوكل
أهنى الطعامَ لحومُ الناس عندهمُ ... الثم فيما لديهم شربة العسل
نكثُ العهود سجاياهم ودأبهمُ ... خلف الوعود وذا من أسوإ الثقل
انّ السعاية فى التضريب أحسن من ... ضرب من الحذق والعرفان فى الرّجل
يادهرُ مالك والأحرار تقهرُهم ... تذلّ كل كريم الأصل مقتبل
حتى متى يازمانَ السوء تفعل ما ... تشيب فيه النواصى غير محتفل

تؤخر الفاعلَ المرفوعَ تحفظه ... مقدّما لمفاعيلٍ على البدَل
وساقة الجيش قد أضحت مقدّمة ... مثل التليل غدا فى مؤخر الكفل
فلست أحفل فى ذى الدهر من أسف ... أطال أيام عُمرى أودنا أجلى
واها لقلبىَ يوم البين اذ ظعنوا ... فالعين فى لُجَج والقلب فى شُعل
كيف التصبّر فى نارى نوى وجوى ... وفى الحشا أنكاء جرح غير مندمل
فقد فقدت الألى كانت ببهجتهم ... نور النواظر فى الأحداق والمُقَل
لم آكتحل بقرار بعدما ارتحلوا ... ولا ابتغيت لهم فى الناس من بدل
لم يُبق لى الدّهر بعد البين من جلَد ... ما أستطيع به توديع مرتحل
ولا من الغمض ما أقرى الخيال به ... ولا من الدمع ما أبكى على طلل
قلبى على لَهب والجسم فى نَصَب ... والروحُ فى وَصَب واللبّ فى ذهل
حسبى الغرام حليفٌ والجوى أبدا ... منادما وسميرٌ غيرُ منفصل
خذها محبرة غيداء غانية ... أتت على عجَل كالقابس العجل
جاءت من (الهاشمى) لابتنى مهرَا ... من خاطبٍ لبنات النّظم فى عطل

***

المرء يعرف فى الأنام بفعله ... ومحاضر الحر الكريم كأصله
لا تستغيب فتستغاب فربما ... من قال شيئاً قيل فيه بمثله
وتجنب الفحشاء لا تنطق بها ... مادمت فى جد الكلام وهزله
واحذر مناواة الحكيم وسبه ... حبل المهيمن آخذ فى حبله
يرميك عن قوس القلى سهم الدها ... هيهات تسلم من اصابة نبله
كم سيد متفضل قد سبه ... من لا يساوى طعنة فى نعله
واذا استغاب أخو الجهالة عالماً ... كان الدليل على غزارة جهله

فالبحر تعلو فوقه جيف الفلا ... والدر منحط بأسفل رمله

أهل المظالم لا تعن تبلى بهم ... فالمرء يحصد زرعه من حقله

أرأيت عصفوراً يحارب باشقاً ... إلاّ لخفته وقلة عقله

واحرص على التقوى وكن متأدباً ... وارغب عن القول القبيح وبطله

واستصحب العلم الشريف تجارة ... واعمل بمفروض الكتاب ونفله

إياك زور القول تلقى اثمه ... والزور شاهده يبوء بذله

واذا شهدت الشهر صمه واعتصم ... بالصبر عن هجر الطعام وفضله

لا تقطع الصلوات فى أوقاتها ... يسودّ قلبك كالظلام وسدله

واذا خدمت لحاكم فاصبر على ... أخلاقه واشكر سياسة عدله

لا تعصه وتخنه واحفظ سرّه ... وعليك فى صدق الكلام ونقله

واعلم بان الموت تحت لسانه ... لا تأمن الثعبان لدغة صِلّه

وتجنب الرجل الغوى فانه ... لا يتقى رب السماء بفعله

يغوى بطيب سلامه وكلامه ... واذا سطا فهو الحسام بصقله

واجف الدنىء وان تقرب انه ... يؤذيك كالكلب العقور لأهله

واحذر معاشرة السفيه فانه ... يؤذى العشير بحمقه وبشكله

واذا احتوتك مجالس فاصمت بها ... واذا نطقت فلا تكن بمله

واسمح بمالك لا تكن متباخلا ... فالعيب فى الانسان شدّة بخله

لا تكثرن الحرص فى طلب الغنا ... فالمرء يكتب رزقه من قبله

لا تجزعن من الامور وخطبها ... لا خير فى الرجل الجبان ووكله

ما كان مقدوراً فأيقن أنه ... يجرى على قدر قضى من أجله

واذا ابتليت ببذل وجهك سائلا ... فاقصد كريماً ماجداً فى بذله

واستغن عن قصد اللئيم ووعده ... ما كل برق يستمد يوبله

واخدم رفاقك لاتكن متكبراً ... يعلو مكانك عند من لم يعله
واذا خطبت قرينة من أهلها ... فاسأل عن الفرع الزكى وأصله
وبحسنها لا تغترر وجمالها ... فالسم يمزج فى حلاوة عله
ومن النساء توقّ كل بذيئة ... ترميك من سهم الهلاك بنصله
واذا ابتليت بخطب دهر ماحل ... فاصبر على جور الزمان ومحله
لاتقرب المحظور واجتنب الربا ... واحجر على مال اليتيم وكفله
واهجر طريق العيب لاتمرر به ... وتمشّ فى طرق الرشاد وسبله
واعمل بمفروض الأمانة والتقى ... وانهى عن النكر الفظيع وفعله
والنفس فازجر واستعذ من شرها ... بالنعش تلقى المرء عثرة رجله
واذا أُصبت بمحنة فاصبر لها ... لليسر بعد العسر نوبة مثله
واحبس لسانك عن ردى مقالة ... وتوق من عثر اللسان وزله
كم كلمة جرت لرأس نقمة ... كالدهر يتبع نبله فى نبله
والطرف فاغضض عن محارمه تفز ... والعرض فاحفظ أن يزال ببذله
لا تبغ فى الأرض الفساد فانه ... يلقى الفتى من عزه فى ذله
واحرص على مال الحلال وجمعه ... وابعد عن المال الحرام وأكله
ان الحرام شبيه نار أضرمت ... والرزق يذهب من مذاهب أهله
واخل فانصح فى الشدائد والرخا ... وعن النصائح من يمل بك خله
ومن الصديق اذا رأيت تملقاً ... فهو العدو احكم عليه بعزله
واحذر عدوك لست تأمن غدره ... لو كان يحلف بالكتاب وفضله
يبدى لك النصح الكذوب وقلبه ... تزكى لهيب الحقد فورة غله
واذا حكمت اعدل ولا تك ظالماً ... واحذر دعا المظلوم شاكى خذله
والعقل رأس للأمور جميعها ... ومزية الانسان صحة عقله

وعليك برّ الوالدين فضيلة وارعى بذى الأرحام نعمة فضله
ياطالما عطفوا عليك برأفة ربوك فى حجر الدلال وظله
فاشكر محاسن والديك وعزهم واخفض لهم عز الجناح بذله
وتجنب الايمان لاتحلف بها واحذر من الحنث العظيم ودخله

﴿ الباب الحادى عشر فى العلم ﴾

ألعلم أشرفُ شيءٍ قاله رجل من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا
تعلّم العلم واعمل يا أخىّ به فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

العلم مُبلغ قومٍ ذروة الشرف وصاحبُ العلم محفوظ من التلف
يا صاحب العلم مهلا لا تُدنّسه بالموبقات فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العزّ والشرف

لو كان نور العلم يُدرك بالمنى ما كان يبقى فى البريّة جاهل
اجهد ولا تكسل ولا تك غافلا فندامة العقبى لمن يتكاسل

وفى الجهل قبل الموت موتٌ لأهله وأجسادهم دون القبور قبور
وان امرأ لم يحي بالعلم قلبه فليس له حتى النشور نشور

لكل مجدّ فى الورى نفع فاضل وليس يفيد العلم من دون عامل
يُسابق بعض الناس بعضاً بجدّهم وما كلّ كرّ بالهوى كرّ باسل
اذا لم يكن نفع لذى العلم والحجا فما هو بين الناس الا كجاهل
كذاك اذا لم ينفع المرء غيره يُعدّ كشوكٍ بين زهر الخمائل

يا ساعيا وطلاب المال همته إنى أراك ضعيف العقل والدين

عليك بالعلم لا تطلب له بدلا ... واعلم بأنك فيه غير مغبون
العلم يجدى ويبقى للفتى أبداً ... والمال يفنى وان أجدى الى حين
هذاك عزٌّ وذا ذلّ لصاحبه ... مازال بالبعد بين العزّ والهون

العلم زينٌ وتشريفٌ لصاحبه ... فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
كم سيّدٍ بطل آباؤه نجب ... كانوا الرؤوس فأمسى بعدهم ذنبا
ومقرف خامل الآباء ذى أدب ... نال المعالى بالآداب والرتبا
العلم كنزٌ وذخرٌ لا فناء له ... نِعمَ القرين اذا ماصاحبٌ صحبا
قد يجمع المال شخص ثم يحرمه ... عمّا قليل فيلقى الذلّ والحربا
وجامع العلم مغبوط به أبداً ... ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
ياجامع العلم نعم الذخر تجمعه ... لا تعدلنّ به درا ولا ذهبا

بالعلم والعقل لا بالمال والذهب ... يزداد رفع الفتى قدراً بلا طلب
فالعلم طوق النهى يزهو به شرفاً ... والجهل قيدٌ له يبليه باللعب
كم يرفع العلم أشخاصاً الى رتب ... ويخفض الجهل أشرافاً بلا أدب
العلم كنز فلا تفنى ذخائره ... والمرء مازاد علماً زاد بالرتب
فالعلم فاطلب لكى يجديك جوهره ... كالقوت للجسم لا تطلب غنى الذهب

العلم زينٌ فكن للعلم مكتسباً ... وكن له طالباً ما عشت مقتبسا
اركن اليه وثق بالله واغن به ... وكن حليماً رزين العقل محترسا
وكن فتى ماسكا محض التقى ورعا ... للدين مغتنما فى العلم منغمسا
فمن تخلّق بالآداب ظلّ بها ... رئيس قوم اذا ما فارق الرؤسا

الناس من جهة التمثال أكفاء ... أبوهمُ آدم والأمُّ حوّاء

فان يكن لهم فى أصلهم شرفٌ يفاخرون به فالطّين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم انّهمو على الهدى لمن استهدى أدلاّء
وقدر كل امرئ ما كان يُحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
وان أتيتَ بجود فى ذوى نسب فانّ نسبتنا جود وعلياء
فَفُز بعلم تعش حيًّا به أبداً الناس موتى وأهل العلم أحياء

العلم يغرس كل فضل فاجتهد أن لا يفوتك فضل ذاك المغرس
واعلم بأنّ العلم ليس يناله من همُّه فى مطعم أو ملبس
الا أخو العلم الذى يزهو به فى حالتيه عارياً أو مكتسى
فاجعل لنفسك منه حظًّا وافراً واهجر له طيب الرُّقاد وعبّسى
فلعلّ يوماً ان حضرت بمجلس كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

الباب الثانى عشر فى العقل

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى الى شرفٍ من الانسان
ولربّما طعن الفتى أقرانه بالرَّأى قبل تطاعن الأقران

ألم تر أن العقل زينٌ لأهله ولكن تمام العقل طول التجارب

يقول لك العقل الذى زيّن الفتى اذا لم تكن تقدر عدوّك داره
ولاقه بالترحيب والبشر والقِرى وبارك له مادمت تحت اقتداره
وقبّل يد الجانى التى لست قادراً على قطعها وراقب سقوط جداره

حسب الفتى عقله خِلاً يصاحبه اذا تحاماه إخوان وخلاّن

العقل حُلّة فخر مَن تسربلها كانت له نسباً تغنى عن النسب
والعقل أفضل ما فى الناس كلهم بالعقل ينجو الفتى من حومة الطّلب

وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شئ يقاربه
يعيش الفتى بالعقل فى الناس انه على العقل يجرى علمه وتجاربه
يزين الفتى فى الناس قلة عقله وان كرمت أعراقه ومناسبه
اذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

ماوهب الله لامرئ هبة أشرف من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان عدما فان فقد الحياة أجمل به

يعد رفيع القوم من كان عاقلا وان لم يكن فى قومه بحسيب
وان حل أرضاً عاش فيها بعقله وما عاقل فى بلدة بغريب

ومن كان ذا مال ولم يك عاقلا فذاك حمار حملوه من التبر
أرى العقل مرآة الطبيعة إذ به نرى صور الأشياء فى عالم الفكر

ذو العقل فى معرك الأقدار مقتدر لكن ذا الجهل مغلوب ومغلول
وعقل ذى الحزم مرآة الأمور بها يرى الحقائق والمجهول مجهول

وعقول الأنام لو تستوى لم يك فرق بين الغبى والنبيه
محور الأرض لو غدا مستقيما لتساوى النهار والليل فيه

﴿ الباب الثالث عشر فى الادب ﴾

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول هأنذا ليس الفتى من يقول كان أبى

لكل شئ زينة فى الورى وزينة المرء تمام الأدب
قد يشرف المرء بآدابه فينا وان كان وضيع النسب

عود بنيك على الآداب فى الصغر كيما تقر بهم عيناك فى الكبر

فانما مثل الآداب تجمعها ... فى عنفوان الصبا كالنقش فى الحجر
هى الكنوز التى تنمو ذخائرها ... ولا يخاف عليها حادث العبر
ان الأديب اذا زلّت به قدم ... يهوى على فرش الديباج والسّرر
الناس صنفان ذو علم ومستمع ... واعٍ وسائرهم كاللغو والعكر

من لم يكن عقله مؤدبه ... لم يغنه واعظٌ من النسب
كم من وضيع الأصول فى أمم ... قد سوّدوه بالعقل والأدب

لا تيأسن اذا ما كنت ذا أدب ... على خمولك أن ترقى الى الفلك
فبينما الذهب الإبريز مختلط ... بالتّرب اذ صار اكليلا على الملك

السّبع سبع ولو كلّت مخالبه ... والكلب كلب ولو بين السباع رُبى
وهكذا الذهب الابريز خالطه ... صفر النحاس وكان الفضل للذهب
لا يعجبنك أثوابٌ على رجل ... دع عنك أثوابه وانظر الى الأدب
فالعود لولم تفح منه روائحه ... لم يفرق الناس بين العود والحطب

فليس يسود المرء الا بنفسه ... وان عدّ آباء كراما ذوى حسب
اذا العود لم يثمر ولو كان شعبةً ... من المثمرات اعتده الناس من حطب

قد ينفع الأدب الاحداث من صغر ... وليس ينفع بعد الشيبة الأدب
انّ الغصون اذا قومتها اعتدلت ... ولن تلين اذا قوّمتها الخشب

﴿ الباب الرابع عشر فى الصبر والتأنى ﴾

تصبر فنى اللّأواء قد يحمد الصّبر ... ولولا صروف الدهر لم يعرف الحُرّ
وانّ الذى أبلى هو العون فانتدب ... جميل الرّضا يبقى لك الذكر والأجر
وثق بالذى أعطى ولاتك جازعا ... فليس بحزمٍ أن يروّعك الضّر

فلا نِعَمٌ تبقى ولا نِقَمٌ ولا ... يدوم كلا الحالين عسرٌ ولا يُسر
تقلّب هذا الأمر ليس بدائم ... لديه مع الأيام حلوٌ ولا مُرّ

اصبر على مضض الادلاج فى السحر ... وفى الرواح الى الطاعات فى البكر
انى رأيت وفى الايام تجربة ... للصبر عاقبةٌ محمودة الأثر
وقلّ من جدّ فى أمر يؤمله ... واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

ان الأمور اذا اشتدت مسالكها ... فالصبر يفتح كل مارتجا
لا تيأسنّ وان طالت مطالبه ... اذا استعنت بصبر أن ترى فرَجا

عليك باظهار التجلّد للعدى ... ولا تظهرنّ منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا ... ويطرح فى البيدا اذا ما تغيرا

صبراً على نُوَب الزمان ... وان أبى القلب الجريح
فلكل شئ آخر ... إمّا جميل أو قبيح

الدّهر أدّبنى والصّبر ربّانى ... والقوت أقنعنى واليأس أغنانى
وحنّكتنى من الأيام تجربةٌ ... حتى نهيت الذى قد كان ينهانى

انى رأيت الصبر خير معول ... فى النائبات لمن أراد معوّلا
ورأيت أسباب القناعة أكّدت ... بعرى الغنى فجعلتها لى معقلا
فاذ نبا بى منزلٌ جاوزته ... وجعلت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شئ علىّ تركته ... فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

اذا ما أتاك الدهر يوماً بنكبة ... فافرغ لها صبراً وأوسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة ... فيوماً ترى يُسراً ويوماً ترى عسراً

ما أحسن الصبر فى الدنيا وأجمله ... عند الآله وأنجاه من الجزع

من شدَّ بالصبر كفّاً عند مؤلمة ... ألوتْ يداه بحبل غير منقطع

على قدر فضل المرء تأتى خطوبُه ... ويحمد منه الصَّبر مما يصيبُه
فمن قلَّ فيما يتقيه اصطباره ... لقد قلَّ فيما يرتجيه نصيبه

تردّ رداء الصبر عنك النوائب ... تنل من جميل الصبر حسن العواقب
وكن حافظاً للوالدين وناصراً ... لجارك ذى التقوى وأهل الاقارب

اصبر قليلا فبعد العسر تيسير ... وكلّ وقتٍ له أمر وتدبيرُ
وللمهيمن فى حالاتنا نظر ... وفوق تدبيرنا لله تدبير

اصبر ففى الصبر خيرٌ لو علمتَ به ... لكنت باركت شكراً صاحب النعم
واعلم بأنك ان لم تصطبر كرماً ... صبرت قهراً على ما خطّ بالقلم

كن حليما اذ بليت بغيظ ... وصبوراً اذا أتتك مصيبه
فاللياالى من الزمان حبالى ... مثقلات يلدن كل عجيبه

تصبر أيها العبد اللبيبُ ... لعلّك بعد صبرك ماتخيب
وكل الحادثات اذا تناهت ... يكون وراءها فرج قريب

أياصاحبى ان رمت أن تكسب العلا ... وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر فى كل حالة ... فما صابر فيما يروم بنادم

بَنَى الله للأخيار بيتاً سماؤه ... هموم وأحزان وحيطانه الضُّرُّ
وأدخلهم فيه وأغلق بابه ... وقال لهم مفتاح بابكم الصَّبْرُ

اصبر قليلاً وكن بالله معتصما ... لا تعجلنّ فانّ العجز بالعجل
الصبر مثل اسمه فى كل نائبة ... لكن عواقبه أحلى من العسل

اذا جرحت مساوئهم فؤادى صبرت على الإساءة وانطويت
وجئت اليهمُ طلق المُحيّا كأنى لا سمعت ولا رأيت

تأنّ ولا تضق للأمر ذرعا فكم بالنّجح يظفر من تأنى

تأنّ فالمرء ان تأنى أدرك لاشكّ ما تمنّى

تأنّ فى الشئ اذا ما رمته لتدرك الرّشد من الغىّ

تأنّ ولاتعجل بلومك صاحباً لعل له عـذرا وأنت تلوم

تأن ولا تعجل لأمر تريده وكن راحماً للناس تبلى براحم

﴿ وقال بهاء الدين زهير (١) ﴾

على الطائر الميمون ياخير قادم وأهلا وسـهلا بالعلا والمكارم
قدمت بحمد الله أكرم مقدم مدى الدهر يبقى ذكره فى المواسم
قدوماً به الدنيا أضاءت وأشرقت ببشر وجوه أو بضوء مباسم
فياحسن ركب جئت فيه مسلماً وياطيب ماأهدته أيدى الرواسم
أمولاى سامحنى فانك أهـله وإن لم تسامحنى فما أنت ظالمى
ووالله ماحالت عهود مودتى وتلك يمين لست فيها بآثم
مقيم وقلبى فى رحالك سـائر لعلك ترضـاه لبعض المواسم
ولو كنت عنه سائلا لوجدته على بابك الميمون أول قادم
وإلا فسل عنه ركابك فى الدجى لقد برئت من لثمه للمياسم

---

(١) هو أبو الفضل زهير بن محمـد بن على الملقب بهاء الدين ولد بمكة سنة ٥٨١ هجريه كان من فضلاء عصره وأحسنهم نظماً ونثراً ومن أكبرهم مروءة وكانت وفاته بالقاهرة

﴿ وقال فى الحث على الصبر والتجلد ﴾

لا تعتب الدهر فى خطب رماك به ... إن استرد فقدماً طالما وهبا
حاسب زمانك فى حالى تصرفه ... تجده أعطاك أضعاف الذى سلبا
والله قد جعل الأيام دائرة ... فلا ترى راحة تبقى ولا تعبا
ورأس مالك وهى الروح قد سلمت ... لا تأسفن لشئ بعدها ذهبا
ما كنت أول مفدوح بحادثة ... كذا مضى الدهر لا بدعا ولا عجبا
ورب مال نما من بعد مرزئة ... أما ترى الشمع بعد القطف ملتهبا

﴿ الباب الخامس عشر فى الصدق ﴾

الصدق عز فلا تعدل عن الصدق ... واحذر من الكذب المذموم فى الخلق

الصدق بر وقول الزور صاحبه ... يوم المعاد حرى بالعقوبات

عليك بالصدق ولو أنه ... أحرقك الصدق بنار الوعيد

عليك بالصدق فى كل الأمور ولا ... تكذب فأقبح ما يزرى بك الكذب

ما أحسن الصدق فى الدنيا لقائله ... وأقبح الكذب عند الله والناس

﴿ الباب السادس عشر فى الكذب ﴾

لى حيلة فى من ينم ... م وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو ... ل فحيلتى فيه قليلة

نعم نعم انما النمام ذو ضرر ... لكنما الكاذب الجانى أشد ضرر
أخو النميمة ان يسمع ينم ومن ... يكذب يقل ما يشا قولا بغير أثر
لذاك لى حيلة فى من ينم وما ... لى حيلة فى كذوب ملء فيه شرر

أذود عنى أذى النمام مقتصرا عنه الاحاديث لا أفضى عليه خبر
لكن من يخلق الأقوال من عدم بما اتقانى اذا بالكاذبات غدر

لى حيلة فى من يمّ فانني أطوى حديثى دونه وخطابى
لكنما الكذّاب يخلق قوله ماحيلتى فى المفترى الكذاب

لايكذب المرء الا من مهانته أوفعله السوء أو من قلة الأدب
لبعضُ جيفةِ كلبٍ خيرُ رائحة من كذبة المرء فى جدّ وفى لعب

اياك من كذب الكذوب وإفكه فلربما مزج اليقين بشكه
ولربما كذب امرؤ بكلامه وبصمته وبكائه وبضحكه

اذا عرف الانسان بالكذب لم يزل لدى الناس كذّابا ولو كان صادقا
فان قال لم تصغ له جلساؤه ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقاً

﴿ الباب السابع عشر فى التواضع ﴾

ان شئت أن تبنى بناء شامخاً يلزم لذا البنيان أسٌّ راسخُ
ان البناء هو الكمال وأسه الـ صخرى فهو الإتّضاع الباذخ

تواضع لربّ العرش علّك تُرفعُ فما خاب عبدٌ للمهيمن يخضع
وداوِ بذكر الله قلبك إنه لأشفى الى ذوى القلوب وأنفع

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولاتك كالدخان يعلو بنفسه الى طبقات الجوّ وهو وضيع

اذا شئت ان تزداد قدراً ورفعة فلِن وتواضع واترك الكبر والعُجبا

تواضع اذا مانلت فى الناس رفعة فان رفيع القوم من يتواضع

تواضع اذا ماكان قدرك عالياً فان اتضاع المرء من شيم العقل

﴿ الباب الثامن عشر فى الكرم والكرماء ﴾

ونُكرِم ضيفنا مادام فينا ونُتبعهُ الكرامةَ حيث ما لا

فتى كَمُلَت خيراته غير أنه جواد فما يبقى من المال باقياً

انّ البخيل ملوم حيث كان م ولكن الجواد على علاته هرم
هو الجواد الذى يعطيك نائله عنوا ويظلم أحياناً فيظطلم
وان أتاه خليل يوم مَسْغَبة يقول لاغائب مالى ولا حرم

انّ الكرام اذا ما أيسروا ذكروا مَن كان يألفهم فى المنزل الخشن

أبى الجود فى الدنيا سواك لأنه تفرّع من جود وأنت أبو الجود
واضداك الوادى لهم سال واستوت سفينة بحر العلم منك على الجودى

ان الكريم الذى لا مال فى يده مثل الشجاع الذى فى كفه شلل
والمال مثل الحصى مادام فى يدنا فليس ينفع إلاّ حين ينتقل

لاترانى مصافحاً كف بخيل انى ان فعلت ضيعت مالى
لو يمس البخيل راحة يحيى لسخت نفسه ببذل النوال

لو أشبهتك بحار الأرض فى كرم لأصبح الدرّ مطروحاً على الطرق
أو أشبه الغيث جوداً منك مُنهمِلاً لم ينج فى الأرض مخلوق من الغرق

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف فى الحكم بين شكلين
أنت اذا جدت ضاحك أبداً وهو اذا جاد دامع العين

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير وقت سخاء

فنوال الأمير بدرة مال ونوال الغمام قطرة ماء

﴿ الباب التاسع عشر فى البخل والبخلاء ﴾

يفنى البخيل بجمع المال مدّته وللحوادث والأيام ما يدع
كدودة القزّ ما تبنيه يهدمها وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

ان هذا الفتى يصون رغيفاً ما اليه لناظر من سبيل
فى جراب فى جوف تابوت موسى والمفاتيح عند ميكائيل

شرابك مختوم وخبزك لا يرى ولحمك بين الفرقدين معلق
نديمك عطشان وضيفك جائع وكلبك نبّاح وبابك مغلق

نوالك دونه شوك القتاد وخبزك كالثريا فى البعاد
ولو أبصرت ضيفاً فى منام لحرمت الرّقاد على العباد

وهبنى جمعت المال ثم خزنته وجاءت وفاتى هل أزاد به عمرا

اذا خزن المال البخيل فانه سيورثه غمّاً ويعقبه وزرا

قد شاب رأسى ورأس الدهر لم يشب ان الحريص على الدنيا لفى تعب

وذى حرص تراه يلمّ وفراً لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو فريسته ليأكلها سواه

حسبى بعلمى ان نفع ما الذلّ إلاّ فى الطّمع
من راقب الله نزع عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

أصبحت أجوع خلق الله كلهم وأفزع الناس مَن خبز اذا وضعا

خبز البخيل فمكتوب عليه ألا لا بارك الله فى ضيف اذا شبعا
انى أحذركم من خبز صاحبنا فقد ترون بحلقى اليوم ما صنعا

إياك والحرص ان الحرص متعبة فان فعلت فراع القصد فى الطلب
قد يرزق المرء لم تتعب رواحله ويحرم المرء ذو الأسفار والتعب
فازجر فؤادك عن حرص وعن نصب فما وحقك يأتى الرزق بالنصب

اذا كسر الرغيف بكى عليه بكا الخنساء إذ فجعت بصخر
ودون رغيفه قلع الثنايا وضرب مثل وقعة يوم بدر

تغيَّرَ إذ دخلت عليه حتى فظنت فقلت فى عرض المقال
علىَّ اليوم نذر من صيام فأشرق وجهه مثل الهلال

رغيف فى الحجاب عليه قفل وحرَّاس وأبواب منيعة
رأى فى بيته ضيف رغيفا فقال لضيفه هذا وديعه

ويظهر عيب المرء فى الناس بخله ويستره عنهم جميعاً سخاؤه
تغط بأثواب السخاء فانني أرى كل عيب فالسخاء غطاؤه

رأى الصيف مكتوباً على باب داره فصحفه ضيفاً فقام الى السَّيف
فقلنا له خيراً فظنَّ بأننا نقول له خبزاً فمات من الخوف

﴿ وقال أبو محمد اسحاق الموصلى [1] فى ذم البخل ﴾

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى فليس الى ما تأمرين سبيل

---

(١) هو أبو محمد اسحاق بن ابراهيم المعروف بابن النديم الموصلى توفى سنة ٢٣٥ هجريه

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى بخيلاً له فى العالمين خليل
وانى رايتُ البخل يُزرى بأهله فأكرمت نفسى أن يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته اذا نال شيئاً أن يكون ينيل
عطائى عطاء المكثرين تجملا ومالى كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل

﴿ الباب العشرون فى الدنيا ﴾

أيا من عاش فى الدنيا طويلا وأفنى العمرَ فى قيل وقال
وأتعبَ نفسه فى ماسيفنى وجمع من حرام أو حلال
هَبِ الدنيا تقاد اليك عفواً أليس مصير ذاك الى انتقال

انّ لله عباداً فُطُناً طلّقوا الدّنيا وعافوا الفتنا
فكّروا فيها فلما علموا أنها ليست لحىّ وطنا
جعلوها لُجّة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفُنا

عجبت للمرء فى دنياه تطمعه فى العيش والأجل المحتوم يقطعه
يُمسى ويُصبح فى عشواء يخبطها أعمى البصيرة والآمال تخدعه
يغترّ بالدّهر مسروراً بصحبته وقد تيقّن أن الدّهر يصرعه
ويجمع المال حرصاً لا يفارقه وقد درى أنّه للغير يجمعه
تراه يشفق من تضييع درهمه وليس يشفق من دِينٍ يُضيّعه
وأسوأ النّاس تدبيراً العاقبة من أنفق العمر فى ما ليس ينفعه

ألا انما الدّنيا كاحلام نائم وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمّل اذا ما نِلت بالأمر لذّة فأفنيتها هل أنت الا كحالم
فمن غافل عنه وليس بغافل ومن نائم عنه وليس بنائم

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها وسيق الينا عذبها وعذابها
فلم أرها الا غرورا وباطلا كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها
وما هى الا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لأهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها
فدع عنك فضلات الأمور فانها حرام على نفس التقى ارتكابها

ومن يحمد الدنيا لشئ يسره فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة وان أقبلت كانت كثيرا همومها

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرر كمو منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى

سألت عن الدنيا الدنية قيل لى هى الدار فيها الدائرات تدور
اذا أضحت أبكت وان أحسنت أست وان عدلت يوما فسوف تجور

ياخاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت فى يومها أبكت غدا تبا لها من دار

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما تبنى الرجاء على شفير هار
ومن الرجال مجاهل ومعالم ومن النجوم غوامض ودرارى

﴿ الباب الحادى والعشرون فى السر ﴾

ولست بمبد للرجال سريرتى ولا أنا عن أسرارهم بسؤول

لا يكتم السر الا كل ذى ثقة والسر عند خيار الناس مكتوم
فالسر عندى فى بيت له غلق ضاعت مفاتيحه والباب مختوم

وصاحب من صحبت بعزم حرص ولا تودعه أسرار الفؤاد
فبعض الناس ظاهره بياض وباطنه فأحلك من سواد

صن السر عن كل مستخبر وحاذر فما الرأى الا الحذر
أسيرك سرك ان صنته وأنت أسير له ان ظهر

كل علم ليس فى القرطاس ضاع كل سر جاوز الاثنين شاع

اذا لم يكن فى الورى صاحب وفيه ثلاث خصال حميده
وفاء وسر وحفظ الولا فصحبته قط ليست مفيدة

عليك بكتم السر فى كل حالة فقد جاء فى الأخبار من ألف حجة
اذا دخل اثنان الحديث فسره يشيع وصمت المرء أعظم حكمة

﴿ الباب الثانى والعشرون فى اللسان ﴾

لايعجبنك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلا
ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته فى القول تذهب رأسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل

احفظ لسانك أيها الانسان لايلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

احفظ لسانك لاتقول فتبتلى ان البلاء موكل بالمنطق

الصمت زين والسكوت سلامة فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
فاذا ندمت على سكوتك مرة فلتندمن على الكلام مرارا

انّ القليل من الكلام بأهله حسنٌ وان كثيره ممقوت
مازلّ ذو صمت وما من مُكثرٍ إلا يزلّ وما يعاب صموت
ان كان ينطق ناطق من فضّة فالصمت درّ زانه الياقوت

احفظ لسانك واستعذ من شرّه انّ اللّسان هو العدوّ الكاشح
وزن الكلام اذا نطقت بمجلس فاذا استوى فهناك حلمك راجح
والصمت من سعد السعود بمطلع تحيا به والنّطق سعد رائح

عوّد لسانك قول الخير تنج به من زلّة اللفظ أو من زلّة القدم
واحذر لسانك من خلّ تنادمه انّ النّديم لمشتقٌّ من النّدم

سجن اللسان هو السّلامة للفتى من كلّ نازلة لها استئصال
انّ اللّسان اذا حللت عقاله ألفاك فى شنعاء ليس تقال

﴿ الباب الثالث والعشرون فى المعاشرة ﴾

﴿ قال الامام الشافعى [1] رضى الله عنه ﴾

اذا المرء لا يرعاك إلا تكلّفا فدعه ولا تكثر عليه التأسّفا
فى الناس ابدال وفى التّرك راحة وفى القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كلّ من تهواه يهواك قلبه ولا كلّ من صافيته لك قد صفا
اذا لم يكن صفو الوداد طبيعةً فلا خير فى خلٍّ يجى متكلّفاً
ولا خير فى خلّ يخون خليله ويلقاه من بعد المودّة بالجفا
وينكر عيشا قد تقادم عهده ويظهر سرًّا كان بالأمس قد خفا

---

(١) هو محمد أبو عبد الله بن ادريس ينتهى نسبه الى عدنان ولد بغزة سنة ١٥٠ هجريه وتوفى بمصر سنة ٢٠٤ هجريه

سلامٌ على الدنيا اذا لم يكن بها صديقٌ صدوقٌ صادقُ الوعد مُنصِفا

صافِ الكرام تخير مَن صافيته من كان ذا أدب وكان ظريفا
واحذر مؤاخاة اللئيم فانه يبدى القبيح وينكر المعروفا
انّ الكريم وان تضعضع حاله فالخلق منه لا يزال شريفا
والناس مثل دراهم قلبتها فأصبت منها فضةً وزيوفا

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه فابصر بعينيك امرأ حيث يعتمد
ولن يصحب الانسان إلاّ نظيره وان لم يكونا من قبيل ولا بلد
وما الغىّ الا أن تصاحب غاويا وما الرشد الا أن تصاحب مرتشد

أخو الفسق لا يغررك منه تودُّد فكل حبال الفاسقين مهين
وصاحب اذا ما كنت يوماً مصاحباً أخا ثقة بالغيب منك أمين

اجعل قرينك من رضيت فعاله واحذر مقارنة اللئيم الشائن
كم من قرينٍ شائن لقرينه ومهجن منه لكل محاسن

وعينك ان أبدت اليك مساوياً من الناس قل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وكن متودداً ولا تلق الا بالتى هى أحسن

﴿ الباب الرابع والعشرون فى القناعة ﴾

وأكل كُسيرة فى جنب بيتى أحبُّ الىَّ من أكل الرغيف
ولبسُ عباءة وتقرَّ عينى أحبُّ الىَّ من لبس الشفوف

هى القناعة فالزمها تعش ملكا لو لم يكن منك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

قنعت بالقوت من زمانى وصنت نفسى عن الهوان

خوفاً من الناس أن يقولوا فضل فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا فلا أبالى اذا جفانى
ومن رآنى بعين نقص رأيته بالتى رآنى
ومن رآنى بعين تمّ رأيته كامل المعانى

اذا المرء عوفى فى جسمه وملكه الله قلباً قنوعا
والقى المطامع عن نفسه فذاك الغنى ولو مات جوعا

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فان أبت فجميع ما فى الأرض لا يكفيها

وذو القناعة راضٍ فى معيشته وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان
كفى من العيش ما قد سدّ من رمقٍ ففيه للحرّ إن حققت غنيان

ان القنوع نفيس النفس راشدها وهو الغنىّ الذى يحيا بلا نصب
وذا المطامع مغرور ومفتقر ولو حوى ملك سلطان وعلم نبى

أفادتنى القناعة كل عزّ وهل عزّ أعزّ من القناعة

ولقد طلبتُ رضى البرية جاهداً فاذا رضاهم غايةٌ لا تدرك
وأرى القناعة للفتى كنزا له والبرُّ أفضل ما به يتمسك

﴿ الباب الخامس والعشرون فى الحسد ﴾

تخلق الناس بالادناس واعتمدوا من الصفات الدُّها والمكر والحسدا
كرهت منظرهم من سوء مخبرهم فقد تعاميت حتى لا أرى أحدا

اصبر على كيد الحسو د فان صبرك قاتله
كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله

أيا حاسداً لى على نعمتى ... أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى حكمه ... لأنك لم ترض لى ما وهب
فأخزاك ربى بأن زادنى ... وسدّ عليك وجوه الطلب

ياطالب العيش فى أمن وفى دعة ... رغداً بلا قتر صفواً بلا رنق
خلّص فؤادك من غلّ ومن حسد ... فالغلّ فى القلب مثل الغلّ فى العنق

ان شئت قتل الحاسدين تعمداً ... من غير مادية عليك ولا قوَد
وبغير سمّ قاتل وصوارم ... وعقاب ربّ ليس يغفل عن أحد
عظّم بجاه عيونهم محسودهم ... فتراهم موتى النفوس مع الجسد
ذَوْبُ المعادن باللظى لكنّما ... ذوب الحسود بحرّ نيران الحسد
لم يبلغ الحسّاد آجالا لهم ... اذ أنهم سيماؤهم موت الكمد
حدّ الزناة من الشريعة مدّة ... وترى الحسود بدائه أبداً يحدّ
مازال ان حياوان ميّتاً ضنى ... متعذّباً فيه الى أبد الأبد

كفى الحسود عقابا عن جريرته ... مافى جوارحه من جذوة الحسد
لا غرو ان ذاب منه جسمه حسداً ... لانّ ذا الداء يوهى صحّة الجسد

﴿ الباب السادس والعشرون فى الحلم ﴾

الا إن حلم المرء أكرم نسبة ... تسامى بها عند الفخار حليم
فيارب هب لى منك حلماً فانّنى ... أرى الحلم لم يندم عليه كريم

أحبّ مكارم الأخلاق جهدى ... وأكره أن أعيب وان أُعابا
وأصفح عن سباب الناس حلماً ... وشرّ الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرّجال تهيّبوه ... ومن حقر الرجال فلن يهابا

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما أورد الأمر أصدرا

اذا كنت محتاجا الى الحلم اتنى الى الجهل فى بعض الأحايين أحوج
ولى فرس للحلم بالحلم ملجم ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمى فانى مقوم ومن شاء تعويجى فانى معوج
وما كنت أرضى الجهل خدنا وصاحبا ولكننى أرضى به حين أحرج

اذا كنت بين الحلم والجهل ناشئا وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل
ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل
اذا جاءنى من يطلب الجهل عامدا فانى سأعطيه الذى جاء يسأل
ولم أعطه إياه الا لانه وان كان مكروها من الذل أجمل

﴿ الباب السابع والعشرون فى الحماقة ﴾

لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة أعيت من يداويها

وعلاج الأبدان أيسر خطبا حين تعتل من علاج العقول

لا تيأسن من اللبيب وان جفا واقطع حبالك من حبال الاحمق
فعداوة من عاقل متجمل أولى وأسلم من صداقة اخرق

﴿ الباب الثامن والعشرون فى الجهل ﴾

لا يشعر الجاهل بالجهل كما لا يشعر السكران الا أن صحا

واذا بليت بجاهل متهكم يجد المحال من الأمور صوابا
وأوليته منى السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جوابا

لولا الجهالة بين الناس تقسمهم ... فى الدين والرأى أحزاباً من القدم
لما سطت فئة منهم على فئة ... ولا انحنوا تحت وقر الأسد كالنعم

يشاهد فضل الشهم عيبا من التمى ... الى الجهل لكنْ عيبه لا يشاهده
فيامَن غدا للجهل والبخل عابدا ... لك الله ما هذا الذى أنت عابده
فعالُكَ قد جاءت عليك شواهدا ... فعال الفتى بين الأنام شواهده
وكلّ امرئ مِنْ فعله بانَ أصلُه ... ومَن لا يُراعى الأصل لاشك فاقده

﴿ الباب التاسع والعشرون فى المال ﴾

انّ الدراهم كالمرا ... هم تجبر العظم الكسيرا
لو نالهنّ ثعيلب ... فى صبحه أضحى أميرا

إن قلّ مالى فلا خِلّ يصاحبنى ... إن زاد مالى فكلّ النّاس خلاّنى
فكم عدوّ لأجل المال صاحبنى ... وكم صديقٍ لفقد المال عادانى

لَعمرك ان المال قد يجعل الفتى ... سنياً وان الفقر بالمرء قد يُزْرِى
وما رَفَعَ النفس الدنيّة كالغنَى ... ولا وَضَعَ النفس النفيسة كالفقر

واذا رأيتَ صعوبةً فى مطلب ... فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه ... حجرٌ يلينُ قُوّةَ الأحجار

ما الناس الا مع الدّنيا وصاحبها ... فكلّما انقلبت يوماً به انقلبوا
يُعظّمون أخا الدّنيا فان وثبت ... يوماً عليه بما لا يشتهى وثبوا

احفظْ عرى مالِكَ تَحظَى به ... ولا تفرط فيه تبقى ذليل
وان يقولوا باخلٌ بالعطا ... فالبخل خيرٌ من سؤال البخيل

واحفظ على نفسك من زلة يرى عزيز القوم فيها ذليل

الناس اتباع من دامت له نعم والويل للمرء ان زلت به القدم
المال زين ومن قلت دراهمه حتى كمن مات الا أنه صنم
لما رأيت أخلائى وخالصتى والكل مستتر عنى ومحتشم
أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

ألم تر أن الدهر يهدم مابنى ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئا ينال به فقدا

ومن يطلب الأعلى من العيش لم يزل حزينا على الدنيا رهين غبونها
اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن على حالة الا رضيت بدونها

اذا قل مال المرء قل حياؤه وضاقت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدرى وان كان عازما أقدامه خير له أم وراءه

فصاحة حسان وخط ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
اذا اجتمعت فى المرء والمرء مفلس ونودى عليه لا يباع بدرهم

اذا كنت فى حاجة مرسلا وأنت بها كلف مغرم
فأرسل حكيما ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم

ألا يا جامع الأموال هلا جمعت لها زمانا بافتراق
رأيتك تطلب الأبحار جهلا وأنت تكاد تغرق فى السواقى
اذا أحرزت مال الأرض طرا فما لك فوق عيشك من تراق
أتاك كل يوم ألف كبش وتلبس ألف طاق فوق طاق
فضول المال ذاهبة جزافا كماء صب فى كاس دهاق

يفيض سدى وقد بسطوا عليها فينقص ملئها عند اندفاق

المال يفرق بين الأم والولد فذاك أدنى نسيب عند كل يد
عهدى به خادماً كالعبد تملكه فما لعينى تراه سيّد البلد
مالٌ يميل اليه المرء من صغر وكلما شبّ شبّ الحبّ فى الكبد
لو يجمع الله مافى الأرض قاطبة عند امرئ لم يقل حسبى فلا تزد
كلٌّ يروح من الدنيا الغرور كما أتى بلا عدد منها ولا عُدد
لو كان يأخذ شيئاً قبلنا أحد لم يبق شئ لنا من سالف الأمد

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملّكه المال الذى هو مالكه
ألا انما مالى الذى أنا منفق وليس لى المال الذى أنا تاركه

من كان يملك درهمين تعلّمت شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الاخوان فاستمعوا له ورأيته بين الولا مختالا
لولا دراهمه التى يزهو بها لوجدته فى الناس أسوأ حالا
ان الغنىّ اذا تكلم بالخطا قالوا صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير اذا تكلم صادقاً قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا
انّ الدّراهم فى المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة وهى السلاح لمن أراد قتالا

﴿ الباب الثلاثون فى العدل والظلم ﴾

العدل روح به تحيى البلاد كما دمارها أبداً بالجور يختتم
الجور شين به التعمير ممتنع والعدل زينٌ به التمهيد ينتظم

ظهور العدل يمحو كل ظلم اذا جاء الصباح مضى الظلام

﴿ الباب الحادى والثلاثون فى الغربة ﴾

واذا البلاد تغيّرت عن حالها فدع المقام وبادِر التّحويلا
ليس المقام عليك فرضاً واجباً فى بلدةٍ تدعو العزيز ذليلا

تنقّل فلذّات الهوى فى التنقّل وردْ كل صاف لاتقفْ عند منهل
ففى الارض أحباب وفيها مناهل فلا تبكِ من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تسمعن قول امرئ القيس إنه مضلّ ومن ذا يهتدى بمضلّل

تغرّب عن الاوطان فى طلب العلا وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفرّج همّ واكتساب معيشة وعلمٌ وآداب وصحبة ماجد
وان قيل فى الأسفار ذل ومحنة وقطع الفيافى واكتساب الشدائد
فموت الفتى خيرٌ له من حياته بدار هوان بين واش وحاسد

أرى وطنى كشّ لى وكنّ أسافر عنه فى طلب المعاش
ولولا انّ كسب القوت فرض لما برح الفراخ من العشاش

لئن تنقلت من دار الى دار وصرت بعد مقام رهن أسفار
فالحرّ حرّ عزيز النفس حيث أتى والشمس فى كل برج ذات أنوار

ارحل بنفسك من أرض تضام بها ولا تكن لفراق الأهل فى حرق
من ذلّ بين أهاليه ببلدته فالاغتراب له من أحسن الخلق
الكحل نوع من الاحجار منطرحا فى أرضه كالثرى يرى على الطّرق
لما تغرّب نال العزّ أجمعه وصار يحمل بين الجفن والحدق

﴿ وقال الامام الشافعى ﴾

مافى المقام لذى عقل وذى أدب من راحة فدع الاوطان واغترب

سافر تجد عوضا عمن تصاحبه ... واتعب فان لذيذ العيش فى النصب
مافى المقام لذى لُبّ وذى ثقة ... معزّة واترك الأوطان واغترب
انى رأيت وقوف الماء يفسده ... فان جرى طاب أو لم يجر لم يطب
والأسد لولا فراق الغاب ماقنصت ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والبدر لولا أفول منه مانظرت ... اليه فى كل حين عين مرتقب
والتبر كالتُّرب ملقى فى أماكنه ... والعود فى أرضه نوع من الحطب
فان تغرّب هذا عزّ مطلبه ... وان أقام فلا يعلو على رتب

إذا ماضاق صدرك من بلاد ... ترحّل طالباً أرضاً سواها
عجبت لمن يقيم بدار ذل ... وأرض الله واسعة فضاها
فذاك من الرجال قليل عقل ... بليد ليس يعلم ماطحاها
فنفسك فزبها ان خفت ضيماً ... وخلّ الدار تبنى من بناها
فانك واجد أرضا بأرض ... ونفسك لم تجد نفساً سواها
ومن كانت منيته بأرض ... فليس يموت فى أرض سواها

ان قلّ نفعك فى أرض حللت بها ... سافر لتدرك قصدا أم ترى أملا
فالبيض لولا زمت أغمادها تلفت ... والشمس لولم تسر ما حلّت الحملا

﴿ وقال الحريرى (١) ﴾

اسمع أخىّ وصية من ناصح ... ماشاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة ... فى مدح من لم تبله أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلى ... وصفيه فى حالى رضاه وبطشه

---

(١) أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى البصرى ولد سنة ٤٤٦ هجريه وتوفى سنة ٥١٦ هجريه

فهناك إن ترما يشين فواره كرما وإن ترما يزين فأفشه
واعلم بأن التبر فى عرق الثرى خاف إلى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لامن ملاحة نقشه
ومن الغباوة أن تعظم جاهلا لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذباً فى نفسه لدروس بزته ورثة فرشه

﴿ وله فى الحث على السفر مع مقامة له ﴾

لا تقعدنّ على ضرّ ومسغبة لكى يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينك هل أرض معطلة من النبات كأرض حفها الشجر
فعدّ عما تشير الأغبياء به فأىّ فضل لعود ماله ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به الى الجناب الذى يهمى به المطر
واستنزل الرىّ من در السحاب فان بلت يداك به فليهنك الظفر

بلاد الله واسعة فضاء ورزق الله فى الدنيا فسيح
فقل للقاعدين على هوان اذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

واذا رأيت الرزق ضاق ببلدة وخشيت فيها أن يضيق المكسب
فارحل فأرض الله واسعة الفضا طولا وعرضاً شرقها والمغرب

اذا ما كنت فى قوم غريباً فعاملهم بفعل يُستطابُ
ولا تحزن اذا فاهوا بفحش غريب الدار تنبحه الكلاب

وما طلب المعيشة بالتمنى ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجىء بملئها طوراً وطوراً تجىء بحمأة وقليل ماء
ولا تقعد على كسل التمنى تحيل على المقدّر والقضاء
فانّ مقادر الرحمن تجرى بأرزاق الرجال من السماء

مقدَّرة بقبض أو ببسط وعجز المرء أسباب البلاء

﴿ الباب الثانى والثلاثون فى الوفاء ﴾

اذا قلت فى شئ (نعم) فأتمه فان (نعم) دين على الحر واجب
والافقل (لا) تسترح واسترح بها لئلا يقول الناس انك كاذب

لا كلف الله نفسا فوق طاقتها ولا تجود يد إلا بما تجد
فلا تعد عِدةً الا وفيت بها واحذر خلاف مقالٍ للذى تعد

لئن جمع الآفات فالبخل شرّها وشرٌّ من البخل المواعيد والمطل
ولا خير فى وعد اذا كان كاذباً ولا خير فى قول اذا لم يكن فعل

تعجيل وعد المرء أكرومة تنشر عنه أطيب الذكر
والحر لا يمطل معروفه ولا يليق المطل بالحر

ولقد وعدتَ وأنت أكرم واعد لا خير فى وعد بغير تمام
أنعم علىَّ بما وعدت تكرماً فالمطل يذهب بهجة الإنعام

يامن غدا بالمكرمات ومن اذا نودى أجاب تكرُّماً وتفضلا
أنعم بوعدك لى فهذا وقته فالوعد أحسن ما يكون معجلا

ذهب الوفاء فلا وفاء يرتجى تلقى الصديق من الوفا عريانا

ان الصديق هو المقيم على الوفا فى وقت ضنك العيش لا فى رغده
أهل الصداقة فى النحوس قلائل والكل أصحاب الفتى فى سعده

أجلّ للمرء من مجد الغنى شرفاً مجد الوفاء وتقوى الله والكرم
وأرفع الناس عند الله منزلة من لم يكن لحقوق الناس يهتضم

أما الوفاء فشئ قد سمعت به ... وما وجدت له عيناً ولا أثرا
فمن توهم فى الدنيا أخا ثقة ... فانه بشر لا يعرف البشرا

اذا قيل فى الناس خليل فقل (نعم) ... خليل اسم شخص لا خليل وفاء
وان قيل فى الناس جواد فقل (نعم) ... جواد ركوب لا جواد عطاء

وقال ابن زيدون (١) الى بعض أصحابه

أضحى التنائى بديلا عن تدانينا ... ونأب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
حالت لبينكم أيامنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
ليسق عهدكمو عهد السرور فما ... كنتم لأرواحنا إلا رياحينا
إن الزمان الذى مازال يضحكنا ... أنساً بقربكم قد عاد يبكينا
لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم ... رأياً ولم نتقلد غيره دينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا ... إن طال ماغير النأى المحبينا
والله ما طلبت أهواؤنا بدلا ... منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ولا استفدنا خليلا عنك يشغلنا ... ولا اتخذنا بديلا منك يسلينا

الباب الثالث والثلاثون فى الغدر

لا أشتكى زمنى هذا فأظلمه ... وانما أشتكى من أهل ذا الزمن
هم الذئاب التى تحت الثياب فلا ... تكن الى أحد منهم بمؤتمن
قد كان لى كنز صبر فافتقرت الى ... انفاقه فى مداراتى لهم فَفَنِى

---

(١) هو أحمد بن زيدون الوزير الأندلسى كان من أدباء عصره وله رسائل مشهورة بقوة الانشاء وبلاغة التعبير وتوفى سنة ٤٦٣

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم وطول اختبارى صاحباً بعد صاحب
فلم ترنى الأيام خلاً تسرنى مباديه إلا ساءنى فى العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة من الدهر إلا كان احدى المصائب

وانى بلوت الناس أطلب منهمو أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
فلم أر فى ما ساءنى غير شامت ولم أرفى ماسرّنى غير حاسد

ألا إن اخوانى الذين عهدتهم أفاعى رمال لا تقصّر عن لسعى
ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم نزلت بواد منهمُ غيرذى زرع

﴿ الباب الرابع والثلاثون فى النميمة ﴾

من نمّ فى الناس لم تأمن عقاربه على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لايدرى به أحد من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه والويل للودّ منه كيف يغنيه

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا تأمن غوائل ذى وجهين كيّاد

من يخبرك بشتم عن أخ فهو الشاتم لامن شتمك
ذاك شئ لم يواجهك به انما اللوم على من أعلمك

ان يعلموا الخير أخفوه وان علموا شراً أذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

قل للذى لست أدرى من تلوّنه أناصحٌ أم على غشّ يناجينى
انى لأكثر مما سمتنى عجباً يدٌ تسحّ وأخرى منك تاسينى
تغتابنى عند أقوام وتمدحنى فى آخرين وكلّ عنك يأتينى
هذان شيئان قد نافيت بينهما فاكفف لسانك عن شتمى وتزيينى

ان يسمعوا ربيةً طاروا بها فرحا منّى وما سمعوا من صالح دفنوا

صُمٌّ اذا سمعوا خيراً ذُكرت به وان ذُكرت بسوء عندهم أذنوا

وذو الوجهين يلقانى طليقاً وليس اذا تولّى يأتلينى
بصرت بعيبه فصفحت عنه محافظةً على عرضى ودينى

﴿ الباب الخامس والثلاثون فى الشراهة ﴾

كم أكلةٍ دخلت يوما حشى شَرِهٍ فأخرجت روحه بالعنف والعجل

شَرَهُ النفوس على الجسوم بلية فتعوذوا من كل نفس تشره
مامن فتى شرهت له نفس وان نال الغنى الا رأى ما يكره

تقلّل ان أكلت وبعد أكل تجنّب فالشفا بالانهضام
وليس على النفوس أشدّ بأساً من ادخال الطعام على الطعام

﴿ الباب السادس والثلاثون فى الهزل والمزاح ﴾

لا تجعل الهزل دأباً فهو منقصة والجدّ تعلو به بين الورى القيم
ولا يغرنك من ملك تبسمه ما تصخب السحب الا حين تبتسم

فإياك إياك المـــزاح فانه يجرى عليك الطفل والرجل النذلا

من لازم الجدّ هابته النفوس ومَن يهزل يكن ابداً فى الناس مبتذلا

امزح بعدل للطلاقة واجتنب مزحاً يضاف به الى سوء الأدب
لا تغضبنّ أحداً اذا ما زحته ان المزاح على مقدّمه الغضب

أفد طبعك المكدود بالهمّ راحة براحٍ وعلّله بشىء من المزح
ولكن اذا باشرت مزحك فليكن بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

﴿ الباب السابع والثلاثون فى الوطء ﴾

أحنّ الى الخضراء فى كل موطن حنين مشوق للعناق وللضمّ
وما ذاك الا أن جسمى رضيعها ولابدّ من شوق الرضيع الى الأم

لاتغترب عن وطن واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن اذا ما فارق الأصل ذوى

بلادى وان جارت علىّ عزيزة ولو أننى أعرى بها وأجوع

وطنى مصر وفيها وطرى ولعينى مشتهاها مشتهاها

أحنّ الى الديار وسا كنيها على بعدٍ وان بخلت بقرب
فيصدق من يقول هناك دانى ويصدق من يقول هناك طِنّى

وطنى هى الشهبا وفيها مولدى والمرء منطبع على حب الوطن

وقال ابن الرومى (١)

ولى وطن آليت أن لا أبيعه وألا أرى غيرى له الدهر ملكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة كنعمة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنو لذلكا

الباب الثامن والثلاثون فى العزلة

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم وطول اختبارى صاحباً بعد صاحب
فلم ترنِ الأيام خِلاً يسرّنى مباديه الا ساءنى فى العواقب
ولا قلت ارجوه لدفع ملمة من الدهر الا كان احدى المصائب

---

(١) هو أبو الحسن على بن العباس بن جريج ولد ببغداد سنة ٢٢١ هجريه وتوفى سنة ٢٨٢ هجريه

أنست بوحدتى ولزمت دارى فطاب الأنس لى وصفا السرور
وأدّبنى الزمان فلا أبالى هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما دمت حياً أسار الجيش أم ركب الأمير

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيبٌ سوانا
ونهجو فى الزمان بغير ذنب ولو نطق الزمان بنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

سلامة الانسان فى وحدته وأُنسه فيها وفى حرفته

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلِلْ من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو اصلاح حالِ

لمّا صحبت بنى الزمان فلم أجد خلاً وفياً للشدائد أصطفى
أيقنت أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخلّ الوفى

كان اجتماع الناس فى مامضى يورث البهجة والسلوه
فانقلب الأمر الى ضدّه فصارت السلوة فى الخلوه

عاشر من الناس من تبقى مودّته فأكثر الناس جمعٌ غير مؤتلف
منهم صديق بلا قاف ومعرفة بغير فاء وإخوانٌ بلا الف

كن ما استطعت عن الأنام بمعزل إن الكثير من الورى لا يصحب

كن وحيداً ماعشت تحيا سعيداً سالماً من شرور كل البريه

أرحت روحى من الأيناس بالناس لما غنيت عن الاكياس بالياس
وصرت فى البيت وحدى لا أرى أحداً بنات فكرى وكُتْبى هنّ جلاسى

أرى حللا تصان على رجال وأعراضاً تذلُّ ولا تصان
يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

الباب التاسع والثلاثون فى المداراة

ودارهم مادمت فى دارهم وأرضهم مادمت فى أرضهم

لا تعاد الناس فى أوطانهم قلّما يرعى غريب الوطن
واذا ماشئت عيشاً بينهم خالِقِ النّاس بخُلُقٍ حسن

سليم العرض من حضر الجوابا ومن دارى الرجال فقد أصابا
ومن هاب الرجال تهيّبوه ومن يهن الرجال فلن يهابا

قلّما تنفع المداراة إلا عند أهل الحفاظ والاحساب
من يدارى اللئيم فهو كمن يسـ تعمل الدرّ فى نحور الكلاب

تجنّب عشير السوء واصرم حباله فان لم تجد عنه محيصاً فداره
فلله فى عرض السموات جنة ولكنّها محفوفة بالمكاره

الباب الاربعون فى المشاورة

شاور سواك اذا نابتك نائبة يوماً وان كنت من أهل المشورات
فالعين تنظر منها مادنا ونأى ولا ترى نفسها إلا بمرآة

خصائص من تشاوره ثلاث نخذ منها جميعاً بالوثيقه
ودادٌ خالص ووفور عقل ومعرفة بحالك والحقيقه
فمن حصلت له هذى المعانى فتابعْ رأيه والزم طريقه

لاتستشر غير ندبٍ حازم فطن قد استوت منه أسرار واعلان
فللمدابير فرسان اذا ركضوا فيها يرون كما للحرب فرسان

تأنّ وشاور فان الأمو ر منها جلىّ ومستغمض
فرأيان أفضل من واحد ورأى الثلاثة لا ينقض

وقال بشار بن برد[1]

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن بعزم نصيح أو مشورة حازم
ولاتحسب الشورى عليك غضاضة فان الخوافى قوّة للقوادم
وماخير كف أمسك الغل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينا للضعيف ولاتكن نؤوماً فان الحزم ليس بنائم
وأدن الى القربى المقرب نفسه ولاتشهد الشورى امرأ غير كاتم
فانك لا تستطرد الهم بالمنى ولا تبلغ العليا بغير المكارم

الباب الحادى والاربعون فى السؤال

(وبذل الوجه فى طلب النوال)

ذلّ السؤال وذلّ الفقر مااجتمعا إلا أضرّا بماء الوجه والبدن

بخلت وليس البخل منى سجيّة ولكن رأيت الفقر شرّ سبيل
لموت الفتى خير من الفقر للفتى وللموت خير من سؤال بخيل
ولا تسئلن مَن كان يسأل مرة فللموت خيرٌ من سؤال سؤول

لاتحسبنّ الموت موتُ البلا لكنّما الموت سؤال الرّجال
كلاهما موت ولكنّ ذا أشرّ من ذاك لذلّ السؤال

---

(١) هو أبو معاذ بشار بن برد من شعراء الطبقة الأولى فى المولدين قال الشعر وهو لم يبلغ عشر سنين وكان أعجمى الأصل وأشعاره كثيرة وكان يمدح أمير المؤمنين المهدى ثم رمى عنده بالزندقة فأمر بضربه سبعين سوطاً فمات منها ودفن بالبصرة سنة ١٦٧ هجريه

أرى أقبح الأشياء حلّة آمل ... كسته يد المأمول حلّة خائب
وأحسن من نَوْر يفتّحه النّدى ... بياض العطايا فى سواد المطالب

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السُّؤال وخفّ كل نوال
واذا ابتليتَ ببذل وجهك سائلا ... فابذله للمتكرم المفضال

صن عن الناس تعز منهمُ أبدا ... ماء ديباجك عن بذل السؤال
ليس شئ من نوال يبتغى ... قيمة للوجه من ذلّ السؤال

اذا أعوزتك أكفّ اللئا ... م كفتك القناعة شبعاً وريّا
فكن رجلا رجله فى الثرى ... وهامة همته فى الثُّرَيَّا
فان إراقةَ ماء الحيا ... ة دون اراقة ماء المُحيَّا

﴿ الباب الثانى والاربعون فى العيادة وما ينضاف اليها ﴾

(قال أحمد بن يوسف الكاتب)

ونعودُ سيدنا وسيد غيرنا ... ليت التشكى كان بالعوّاد
لو كان يقبل فدية لفديته ... بالمصطفى من طارفى وتلادى

﴿ وقال آخر ﴾

قالوا أبو الفضل معتلٌّ فقلت لهم ... نفسى الفداء له من كلّ محذور
يا ليت عاتبه بى غير أنّ له ... أجرَ العليل وانى غير مأجور

﴿ وقال آخر ﴾

إنا جهلنا فخلناك اعتللتَ ولا ... والله ما اعتلّ الا الظَّرفُ والأدب

﴿ وقال على بن الرومى ﴾

لازال الهدى البقاء الطويلُ ... وبنا لا بهِ الضنى والنحولُ

كلّ مجدٍ اذا اعتللتَ عليلُ وشكاةُ الامام خطبٌ جليلُ
كادت الارضُ أن تميل لشكوا ك وكادت لها الجبال تزول
واستحال النهار والليلُ حتى كاد أن يسبقَ الغُدوَّ الأصيل
ثم لما أفقتَ أشرقت الآ فاق وانقاد للهداة السبيل
أنا أشكو اليك قسوةَ قلبى لِمَ لمْ ينفطر وأنت عليل

﴿ وقال آخر ﴾

ان القلوبَ رواجف من أن يمسّك شوكُ حاطب
ولك السلامةُ والسلا مُ من المخاوفِ والمعاطب
كم دعوة أسديتها والليلُ مرتكب الغياهب
فجعلتها سوراً عليك من الحوادث والنوائب

﴿ وقال أحمد بهبه يوسف الكاتب ﴾

أعزِزْ علىَّ بأن تكون عليلا أو أن يكون لك السقام نزيلا
لازلت تسلم والحوادث طلَّع لا تُرحلنَّك ان أردت رحيلا
هذا أخٌ لك يشتكى ما تشتكى وكذا الخليل اذا أحبَّ خليلا

﴿ أشعار متفرقة ﴾

ان المدارس فيها كل منفعة لولا المدارس لم يصلح لنا حال

ومن فاته التعلم وقت شبابه فكبر عليه أربعاً لوفاته

وانما الامم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

اذا سئلت عن الكنانة قل لهم هى أمة تلهو وشعب يلعب

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوًّا له ما من صداقته بُدّ

وأكبر نفسي عن جزاء بغيبة وكل اغتياب جهد من لا له جهد

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده أضاع وقاسى الصعب وهو مقصر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا به الامر الا وهو للقصد مبصر

على كل حال فاجعل الحزم عدة لما أنت باغيه وعونا على الدهر
فان نلت حظا نلته بعزيمة وان قصرت عنك الحظوظ فمن عذر

أأترك ان قلت دراهم خالد زيارته انى اذاً للئيم

أرى اللين ضعفاً والتشجع هيبة ومن لا يهب يحمل على مركب وعر
وما كل حين ينفع الحلم أهله ولا كل حين يدفع الجهل بالصبر

والنقع ليل والأسنة أنجم والسمر غاب والكماة أسود

لعمرك ان الغنى يجعل الفتى سريًا وان الفقر بالمرء قد يزرى
ولا رفع النفس الدنيئة كالغنى ولا وضع النفس النقية كالفقر

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا واذا افترقن تكسرت أحادا

اذا لم يكن للمرء فضل ولم يكن يدافع عن اخوانه لم يسود
وكيف يسود القوم من هو مثلهم بلا منة منه عليهم ولا يد

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب الدواعى والبواعث مغلق
فسد الزمان فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق

قوم اذا خافوا عداوة إمرئ سفكوا الدما بأسنة الأقلام
ولضربة من كاتب ببنانه أمضى وأنفذ من رقيق حسام

الضيف أكرم ما استطعت محله وتلقه بتودد وتهلل

واعلم بأن الضيف يوما مخبر بمبيت ليلته وان لم يسأل

كفى المرء نقصا أن يقال بأنه معلم صبيان وان كان فاضلا

فما كل ذى لبّ بمؤتيك نصحه ولا كل مؤت نصحه بلبيب

ركوبك الأمرَ مالم تبد فرصته جهل ورأيك فى الاقحام تغرير
فاعمل صواباً وخذ بالحزم مأثرة فلن يذمّ لاهل الحزم تدبير

أما والذى لا يُخلد الا لوجهه ومن ليس فى العزّ المنيع له كفوُ
لئن كان بدء الصبر مرّا مذاقه لقد يجتنى من غبّه الثمر الحلوُ

اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا من المكارم كى ينمو لك الشجر

ما العزم أن تشتهى شيئاً وتتركه حقيقة العزم منك الجد والطلب
كم سوّفت خدع الآمال ذا أرب حتى انقضى قبل أن ينقضى له الأرب

المرء يعجبنى وما كلمته ويقال لى هذا الامام الأعلم
فاذا قدحت زناده ووزنته بالنقد زاف كما يزيف الدرهم

وأعرض عن مطاعم قد أراها فأتركها وفى بطنى انطواء
فلا وأبيك ما فى العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

اعمل بقولى ولا تنظر الى عملى ينفعك قولى ولا يضررك تقصيرى

ومن عجب ان الصوارم والقنا تحيض بأيدى القوم وهى ذكور
وأعجب من هذا وذاك فانها تأجّج ناراً والاكف بحور

ورب قبيحة ما حال بينى وبين ركوبها الا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن اذا ذهب الحياء فلا دواء

هموم رجال فى أمور كثيرة وهمتى من الدنيا صديق مساعد
يكون كروح بين جسمين قسمت فجسماها جسمان والروح واحد

يامن يؤمل أن تكون خصاله كخصال عبد الله أنصت واسمع
أصدق وعف وبر وانصف واحتمل وا كفف وكاف ودار واسلم واشجع
والطف ولن واشتد وارفق واتئد واحزم وجد وحام واحمل وادفع

ان كنت ترغب فى شأو الكرام فسر فى الناس بالفضل والدين الذى شرعوا
حافظ اذا غدروا واشجع اذا جبنوا واحلم اذا جهلوا وابذل اذا منعوا

كل امرئ راجع يوماً لشيمته وان تخلق أخلاقا الى حين

عيناك قد دلتا عينى منك على أشياء لولاها ما كنت أدريها
تظل فى نفسك البغضاء كامنة والقلب يضمرها والعين تبديها
والعين تعرف من عينى محدثها ان كان من حزبها أو من أعاديها

لعمرك ماود اللسان بنافع اذا لم يكن أصل المودة فى القلب

اذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً وتستح مخلوقاً فما شئت فاصنع

أتوعد كل جبار عنيد فهأنذاك جبار عنيد
اذا ماجئت ربك يوم حشر فقل يارب مزقنى الوليد

ومعتقد أن الرئاسة فى الكبر فأصبح ممقوتاً به وهو لا يدرى
يجر ذيول الفخر طالب رفعة ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

كبر بلا نسب تيه بلا حسب فخر بلا أدب هذا من العجب

ومالى وجه فى اللئام ولا يد ولكن وجهى فى الكرام عريض

أهشّ اذا لاقيتهم وكأنني ... اذا أنا لاقيت اللئام مريض

محن الزمان كثيرة لا تنقضى ... وسروره يأتيك كالأعياد
ملك الأكابر فاسترقّ رقابهم ... وتراه رقّا فى يد الأوغاد

سألت زمانى وهو باخفض مولع ... وبالجهل محفوف وبالنقص مختص
فقلت له هل من طريق الى العلا ... فقال طريقان الوقاحة والنقص

اذا كنت ذا رأى فكن ذا اناءة ... فان فساد الرأى أن تتعجلا
وما العجز إلا أن تشاور عاجزا ... وما الحزم إلا أن تهمّ فتفعلا

وذو يقظات مستمرّ مريرها ... اذا الدهر لاقاها اضمحلت نوائبه
يصير بأعقاب الأمور كأنما ... يخاطبه من كل أمر عواقبه
وأين يفرّ الحزم منه وانما ... مرائى الأمور المشكلات تجاربه

لست أدرى ما ذا أقول ولكن ... أبتغى من عريض جاهك نفعا
والفتى ان أراد نفع أخيه ... فهو أدرى فى أمره كيف يسعى

أرى الكفّ عن شتم اللئيم تكرماً ... أضرّ به من شتمه حين يشتم

وعلاج الأبدان أيسر خطباً ... حين تعتلّ من علاج العقول

رأيت العز فى أدب وعقل ... وفى الجهل المذلة والهوان
وما حسن الرجال لهم يزين ... اذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيباً أن تراه ... له وجه وليس له لسان

ليس فى كل ساعة وأوان ... تتهيا صنائع الإحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها ... حذراً من تعذر الإمكان
واغتنمها اذا قدرت عليها ... حذراً من تغيّر الازمان

اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها فما تدرى السكون متى يكون

أى شئ يكون أقبح مرأى من صديق يكون ذا وجهين
من ورائى يكون مثل عدوى واذا يلقنى يقبّل عينى

رأيت الهوى حلواً اذا اجتمع الوصل ومُرًّا على الهجران لا بل هو القتل
ومن لم يذق للهجر طعماً فانه اذا ذاق طعم الحب لم يدر ما الوصل

قال الطبيب لأهلى حين أبصرنى هذا فتاكم وحق الله مسحور
فقلت ويحك قد قاربت فى صفتى عين الصواب فهلا قلت مهجور

سأدعو دعوة المضطر ربًّا يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله أن يكفيك هجراً ويجمعنا كما تهوى القلوب

كتبت ولم أكتب اليك وانما كتبت الى روحى بغير كتاب
وذلك لأن الروح لا فرق بينها وبين محبيها بفضل خطاب

ان الليالى للأنام مناهل تُطوى وتُنشر بينها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهنّ مع السرور قصار

يا ليلة لست أنسى طيبها أبدا كأن كل سرور حاضر فيها

دعوت العلا ودعوت المنى فلما أجابا دعوت القدحْ
اذا المرء أدرك آماله فليس له بعدها مقترح

أحبّ من حبكم من كان يشبهكم حتى لقد كدت أهوى الشمس والقمرا
أمرّ بالحجر القاسى فألثمه لأن قلبك قاس يشبه الحجرا

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت اذا جدت ضاحك أبداً وهو اذا جاد باكى العين

قم فاسقنى بين خفق الناى والعود ولا تبع طيب موجود بمفقود
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا نزوّج ابن سحاب بنت عنقود

لا تحقرن امرأ ان كان ذا ضعة كم من وضيع من الأقوام قد رأسا
فرب قوم حقرناهم فلم نرهم أهلا لخدمتنا صاروا لنا رؤسا

لا تصحبنّ رفيقاً لست تأمنه بئس الرفيق رفيق غير مأمون

اذا ما كنت متخذاً رسولا فلا ترسل سوى حرّ نبيل
فان النجح فى الحاجات يأتى لطالبها على قدر الرسول

للجدّ قد خلق الانسان فالتمسنْ بالجد حقك لا باللهو واللعب
لاخير فى الهزل فاتركه بجملته واهرب بعرضك منه غاية الهرب
ما يلبث الهزل أن يجبى لصاحبه ذماً ويذهب عنه بهجة الادب

ان العدوّ وان أبدى مودته اذا رأى فيك يوماً فرصة وثبا

ان الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع محذور أتى

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدوّ فى ثياب صديق

أحنو اليك وفى فؤادى لوعة وأصدّ عنك ووجد ودّى مقبل
واذا هممتُ بوصل غيرك ردّنى وَلَهٌ اليك وشافع لك أول

خذ العفو واصفح عن أمور كثيرة ودع كدر الأخلاق واعمد لما صفا

وأحبب اذا أحببت حبا مقارباً فانك لا تدرى متى أنت قاطع
وأبغض اذا أبغضت بغضا مقارباً فأنك لا تدرى متى أنت راجع

ليس الظريف بكامل فى ظرفه حتى يكون عن الحرام عفيفا
فاذا تورّع عن محارم ربه فهناك يدعى فى الأنام ظريفا

ولا أتمنى الشرّ والشرّ تاركى ولكن متى أحمل على الشرّ أركب
ولست بمفراح اذا الدهر سرّنى ولا جازع من صرفه المتقلب

اذا ماذكرت الناس فاترك عيوبهم فلا عيب الا دون مامنك يذكر
فان عبت قوما بالذى هو فيهم فذلك عند الله والناس منكر
وان عبت قوماً بالذى فيك مثله فكيف يعيب العُور من هو أعور

اعمل وأنت من الدنيا على حذر واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ما قدّمت من عمل محصًى عليك وماخلّفت موروث

يموت الفتى من عثرة باسانه وليس يموت المرء من عثرة الرّجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل

عليك اذا ضاقت أمورك والتوت بصبر فان الضيق مفتاحه الصبر
ولا تشكونّ الا الى الله وحده فمن عنده تأتى الفوائد والنصر

النفس تطمع فى الدنيا وقد علمت أن السلامة منها ترك مافيها
والله لو قنعت نفس بما رزقت من المعيشة الا سوف يأتيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

جمالك ألبس الدنيا جمالا ومدّ على منا كبها ظلالا
أجل نظر السيادة فى حديثى فان الرزق حيث تميل مالا

ارحم أُخَيَّ عباد الله كلهم وانظر اليهم بعين اللطف والشفقه
وقِر كبيرهمُ وارحم صغيرهمُ وراع فى كل خلق وجه من خلقه

اذا ما الله شاء صلاح قوم أتاح لهم أكابر مصلحينا
ذوى رأى ومعرفة وفهم واعداد لما قد يحذرونا

اذا كنتمُ للناس أهل سياسة فسوسوا كرام الناس باللين والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا على الذل ان الذل يصلحُ للنذل

البشر يكسب أهله صدق المودّة والمحبّه
والتيه يستدعى لصا حبه المذمة والمسبّه

وجه عليه من الحياء سكينة ومحبة تجرى مع الأنفاس
واذا أحبَّ الله يوماً عبده ألقى عليه محبة فى الناس

يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتى ومالى وتقوى الله أفضل ما استفادا

وقائلة ما العلم والحلم والحجا وما الدين والدنيا فقلت الدراهم
تداوى جراح الفقر حتى تزيلها فما هى فى التحقيق إلا مراهم

المرء بعد الموت أحدوثة يفنى وتبقى منه آثاره
فأحسن الحالات حال امرئ تطيب بعد الموت أخباره

وانما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

جمال الوجه مع خبث النفوس كقنديل على قبر المجوسى

مررت على المروءة وهى تبكى فقلت على مَ تنتحب الفتاة
فقالت كيف لا أبكى وأهلى جميعاً دون خلق الله ماتوا

وسيبقى الحديث بعدك فانظر خير أحدوثة تكون فكنها

والابن ينشأ على ما كان والده ان العروق عليها ينبت الشجر

اذا ما الحيّ عاش بعظم ميت فذاك العظم حيّ وهو ميت

نفس عصام سوّدت عصاما وعلّمته الكرّ والاقداما

وما المرء الا حيث يجعل نفسه فنفسك صالح الأخلاق فاجعل

اذا ما شئت أن تحيى سعيداً وتلقى الله بالعمل الكريم
فلا تصحب سوى الاخيار واقطع زمانك فى مدارسة العلوم

اذا اعتذر المسيء اليك يوماً من التقصير عذر فتى مقر
فصنه عن عقابك واعف عنه فان الصفح شيمة كل حر

ألا رب نصح يغلق الباب دونه وغشّ الى جنب السرير مقرب

بنى عمنا ان العداوة شرها ضغائن تبقى فى نفوس الأقارب

ذو الحزم لا يبتدى أمراً يهمّ به حتى يطالعَ ما تبدو عواقبه

الدهر يفترس الرجال فلا تكن ممن تطيشه المناصب والرتب
كم نعمة زالت بأدنى لذة ولكل شئ فى تقلّبه سبب

عسى الهمّ الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريبُ
فيأمن خائف ويُفكّ عانٍ ويأتى أهله النأى الغريبُ

أيها القلب قد قضيت مراما فالى مَ الولوع بالشهوات

خليلى لا والله ما من ملمة تدوم على حيّ وان هى جلّت

وعلى القلوب من القلوب دلائل بالود قبل تباين الاشباح

واذا نظرت الى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العباد وتسعد

ومن أخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

يفارقني من لا أطيق فراقه ويصحبني في الناس من لا أريده

خلق الله للعلوم رجالا ورجالا لقصعة وثريد

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يد إلا بما تجد

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

لا تحقرن صغيراً في مخاصمة ان البعوضة تدمي مقلة الأسد
وفي الشرارة ضعف وهي مؤلمة وربما أضرمت ناراً على بلد

فديتك لم أصبر ولي فيك حيلة ولكن دعاني اليأس منك الى الصبر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

عمدت لضري فاعتمدت مسرتي وقد يحسن الانسان من حيث لا يدري

من يستعن بالرفق في أمره يستخرج الحيّة من وكرها

العلم في رأس من ضاعت بصيرته مثل السراج بأيدي ضائع البصر

ومن العجائب والعجائب جمة أن يلهج الأعمى بعيب الأعور

وليس في العاشقين أقنع مني أنا أرضى بنظرة من بعيد

لا تحقرن الرأي وهو موافق حكم الصواب اذا أتى من ناقص

فالدرّ وهو أجل شيء يقتنى ماحطّ قيمته هوان الغائص

منع العطاء وبسط الوجه أفضل من بذل العطاء بوجه غير منبسط

ان الكريم اذا تمكن من أذى أنسته قدرته الحقوق فأقلعا
وترى اللئيم اذا تمكن من أذى يطغى ولا يُبقى لصاحب موضعا

تبدى عيونهم ما فى قلوبهم والعين تنظر ما فى القلب أو تصف

رأيت النفس تكره ما لديها وترغب كل ممتنع عليها
اذا طاوعت نفسك كنت عبدا لكل دنيئة تدعى اليها

اذا ما الدهر جرّ على أناس مصائبه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وعلاج الأبدان أيسر خطبا حين تعتل من علاج العقول

لا يكن ظنك الا سيئاً ان سوء الظن من أذكى الفطن
مارمى الانسانَ فى مغاطة غيرُ حسن الظن والفكر الحسن

لعمرى أحاديث النفوس ظنون وما عزّ من شيء فسوف يهون

زوّج العجز بنته للتوانى فغدا من نتاجها الحرمان

ولم أر فى عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

وأشدّ ما ألقاه من ألم الجوى قرب الحبيب وما اليه وصول
كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

ولا يألف الانسان الا نظيره وكل امرئ يصبو الى من يشاكله
اذا العلم لم تعمل به صار حجة عليك ولم تُعذر بما أنت جاهله

اذا كنت فى أمر فكن فيه محسناً فعما قليل أنت ماض وتاركه

ان كان لا يغنيك ما يكفيكا فكل ما فى الأرض لا يغنيكا

كل الأمور تمرّ عنك وتنقضى إلاّ الثناء فانه لك باقى
ولو انى خُيّرت كل فضيلة مااخترت غير مكارم الاخلاق

قبيح من الانسان ينسى عيوبه ويذكر عيباً فى أخيه قداختفى
فلو كان ذا عقل لما عاب غيره وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى

اذا أنا عاتبت الملوك كأننى أخطّ بأقلامى على الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن مودته طبعا فصارت تكلفا

والبيت لا يبتنى إلاّ له عمد ولا عماد اذا لم ترس أوتاد
فان تجمّع أوتاد وأعمدة وساكنٌ بلغوا الأمر الذى كادوا

لا تصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهّالهم سادوا
تهدى الامور بأهل الرأى ماصلحت فان تولّت فبالأشرار تنقاد
اذا تولّى سراة الناس أمرهمُ نما على ذاك أمر القوم فازدادوا

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثانى
فاذا هما اجتمعا لنفس مرّة بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأى قبل تطاعن الأقران

ان المعارف للرقىّ وسائل لا تبصر الأشيا بلا أعيان
واذا المعارف أشرقت فى أمة نالت أمانيها بغير توان
ان المطابع للعلوم وسيلة والشمس لا تحتج الى برهان

واذا ماشربت صافى ماء عشت فى مأمن من الاعلال

فانتق الماء والهواء لتحظى مدة العمر بالصفاء الغالى

بقدر لغات المرء يكثر نفعه وتلك له عند الشدائد أعوان
فبادر الى حفظ اللغات مسارعاً فكل لسان فى الحقيقة انسان

فلست براء عيب ذى الود كله ولا بعض مافيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر

ومن رعى غنماً فى أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

كل من فى الوجود يطلب صيداً غير أن الشباك مختلفات

كل من فى الكون يشكو دهره ليت شعرى هذه الدنيا لمن

ولست بمستبق أخا لا تامه على شعث أى الرجال المهذب

فان تدن منى تدن منك مودتى وان تنأ عنى تلقنى عنك نائيا
كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن اذا متنا أشد تغانيا

وفى قبض كف الطفل عند ولاده دليل على الحرص المركب فى الحى
وفى بسطها عند الممات إشارة ألا فانظروا انى خرجت بلا شئ

ان التجارب تؤذى عند نوبتها لكن عواقبها محمودة الأثر
وعشرة الناس فى دنياك مدرسة تعطى من الخبر مايغنى عن الخبر

نحن التراب الى تراب نرجع وهناك نحصد تحته ما نزرع

ياجامع الأموال طول حياته أين الذى بالأمس كنا نجمع

الفضل من أهل الكرامة يعرف بالفعل لا بالقول ممن يهرف
والجور فى بعض الكرام طبيعة وسخت وفى بعض الكرام تكلف

﴿ خاتمة فى الخطب والوصايا ﴾

(خطبة للنبى [1] صلى الله عليه وسلم فى الوعظ)

أيها الناس إنّ لكم معالم فانتهوا الى معالمكم . وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم . ان المؤمن بين مخافتين . بين عاجل قد مضى لايدرى ماالله صانعٌ به . وبين آجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه . ومن دُنياه لآخرته . ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مُستعتَب . ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار

﴿ وقال صلى الله عليه وسلم فيما أدب به أمته ﴾

أوصانى ربّى بتسع أُوصيكم بها . أوصانى بالأخلاص فى السرّ والعلانية والعدل فى الرضا والغضب . والقصد فى الغنى والفقر . وان أعفوَ عمَّن ظلمنى وأعطى مَن حرمنى . وأصلُ من قطعنى . وأن يكون صمتى فكرا . ونُطقى ذكرا . ونظرى عبرا

---

(١) هو سيدنا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وهو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وينتهى نسبه الى عدنان . ولد بمكة المشرفة سنة ٥٧١ ميلاديه . وتوفى صلى الله عليه وسلم سنة ١١ هجريه بالمدينة المنورة ودفن فى حجرة السيدة عائشة وعمره ٦٣ سنة (وتاريخه أظهر من ان يسطر)

وقال أيضاً . نهيتكم عن قيل وقال . واضاعة المال . وكثرة السؤال

وقال . لا تقعدوا على ظهور الطرق . فان أبيتم فغضّوا الابصار وأفشوا السلام . واهدوا الضلال . وأعينوا الضعيف

وقال . ألا أنبئكم بشرّ الناس . قالوا بلى يارسول الله قال . من أكل وحده . ومنع رفده . وجلد عبده . ثم قال ألا انبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يارسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه . وقال اليد العليا خير من اليد السفلى . فابدأ بمن تعول

﴿ وله صلى الله عليه وسلم من خطبة وعظية ﴾

اتقوا الله حق تقاته . واسعوا فى مرضاته . وأيقنوا من الدنيا بالفناء . ومن الآخرة بالبقاء . واعملوا لما بعد الموت فكأنكم بالدنيا لم تكن . وبالآخرة لم تزل . ألا وان من فى الدنيا ضيف . ومافى يده عارية . وان الضيف مرتحل والعارية مردودة . ألا وان الدنيا عرض حاضر . يأكل منها البر والفاجر والآخرة وعد صدق . يحكم فيها ملك قادر . فرحم الله امرأ نظر لنفسه . ومهد لرمسه . مادام رسنه مرخى . وحبله على غاربه ملقى قبل ان ينفذ أجله . وينقطع عمله

﴿ وكتب عليه الصلاة والسلام الى معاذ بن جبل يعزيه فى ابن له مات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من محمد رسول الله الى معاذ بن جبل . سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا إله الا هو (أما بعد) فعظم الله لك الأجر . وألهمك الصبر . ورزقنا وإياك الشكر . ثم ان أنفسنا وأهلينا وموالينا من مواهب الله السنية . وعوارفه المستودعة . نمتع بها الى أجل معدود . وتقبض لوقت معلوم . ثم افترض علينا الشكر اذا أعطى . والصبر اذا ابتلى . وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة

وعوارفه المستودعة . متعك به فى غبطة وسرور . وقبضه منك بأجر كثير الصلاة والرحمة والهدى ان صبرت واحتسبت فلا تجمعن عليك يامعاذ خصلتين أن يحبط جزعك صبرك فتندم على مافاتك فلو قدمت على ثواب مصيبتك قد أطعت ربك وتنجزت موعوده عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه . واعلم أن الجزع لا يرد ميتاً ولا يدفع حزنا فأحسن الجزاء وتنجز الموعود وليذهب أسفك ماهو نازل بك فكأن قد

﴿ وقال أيضا فى الحكم والآداب ﴾

اتق المحارم تكن أعبد الناس . وارض بما قسم لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمناً . وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلماً اطلبوا العلم ولو بالصين . دع مايريبك الى مالا يريبك . من دل على خير فله أجر فاعله . رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخط الوالدين طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة

﴿ خطبة لابى بكر الصديق [1] رضى الله عنه فى الوعظ ﴾

أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله وان تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الالحاف بالمسألة . فان الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال ﴿ انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ ثم اعلموا عباد الله ان الله قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم وعوضكم بالقليل الفانى الكثير الباقى . وهذا كتاب الله فيكم لاتفنى عجائبه ولا يطفأ نوره فثقوا بقوله وانتصحوا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمة

(١) هو عبد الله بن أبى قحافة من سادات بنى هاشم توفى سنة ١٣ هجرية وهو أفضل الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين

فانه خالقكم لعبادته ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ماتفعلون . ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون فى أجل قد غيب عنكم علمه فان استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم فى عمل الله ولن تستطيعوا ذلك الا بالله فسابقوا فى مهل بأعمالكم قبل أن تنقضى آجالكم فتردكم الى سوء أعمالكم فان أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم . فانهاكم أن تكونوا أمثالهم . فالوحا الوحا النجاء النجاء فان وراءكم طالباً حثيثا أمره . سريعاً سيره

﴿ خطبته حين بايعه الناس البيعة العامة ﴾

أما بعد فانى وليت أمركم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن وسن النبى صلى الله عليه وسلم وعلمنا فعلمنا . واعلموا ان أكيس الكيس التقى وان أحمق الحمق الفجور وان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه وان أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق

أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فان أحسنت فأعينونى . وان زغت فقومونى

﴿ وصيته ليزيد بن أبى سفيان وقد أرسله بجيش لبلاد الشام ﴾

انى قد وليتك لأبلوك وأجربك فان أحسنت رددتك الى عملك وزدتك وان أسأت عزلتك . فعليك بتقوى الله فانه يرى من باطنك مثل الذى يرى من ظاهرك واذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه . واذا وعظتهم فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً . وأصلح نفسك يصلح لك الناس . ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك . واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق لك المشورة . ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك . ولا تجالس العيائين وجالس اهل الصدق والوفاء

﴿ خطبة لعمر بن الخطاب [1] رضى الله تعالى عنه ﴾

إنما الدنيا أمل مختزم . وأجل منتقض . وبلاغ الى دار غيرها. وسير الى الموت ليس فيه تعريج . فرحم الله امرأ فكر فى أمره . ونصح لنفسه وراقب ربه . واستقال ذنبه . يئس الجار الغنى يأخذك بما لا يعطيك من نفسه فان أبيت لم يعذرك . إياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة . ومفسدة للجسم ومؤدية الى السقم . وعليكم بالقصد فى قوتكم فهو ابعد من السرف وأصح للبدن وأقوى على العبادة وان العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه

﴿ وله أيضا منه خطبة فى الحث على السعى ﴾

لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى . وقد علم أن السماء لم تمطر ذهباً ولا فضة . والله تعالى انما يرزق الناس بعضهم من بعض فقد قال تعالى ﴿ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾

﴿ خطبة له فى الوعظ ﴾

أيها الناس انه أتى علىَّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن انه انما يريد به الله وما عنده . ألا وقد خيل الىَّ أن أقواماً يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس . ألا فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوه بأعمالكم فانا كنا نعرفكم إذ الوحى ينزل وإذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرنا فقد رفع الوحى وذهب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانما نعرفكم بما أقول لكم ألا فمن أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً وأثنينا به عليه . ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه . أقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها طلعة

(١) مات شهيداً بطعن أبى لؤلؤة له فى المسجد فى صلاة الصبح سنة ٢٣ هجريه

فانكم إلا تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية . ان هذا الحق ثقيل مرئ . وان الباطل خفيف وبئ . وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة . ورب نظرة زرعت شهوة . وشهوة ساعة أورثت حزناً طويلا

﴿ وله الى ابنه ينصحه ﴾

أما بعد فانه من اتقى الله وقاه . ومن توكل عليه كفاه . ومن شكر له زاده . ومن أقرضه جزاه . فاجعل التقوى عماد قلبك . وجلاء بصرك فانه لاعمل لمن لانية له . ولا أجر لمن لاحسنة له . ولاجديد لمن لاخلق له

﴿ وله الى عامله بالبصرة ينصحه ﴾

أما بعد فقد أصبحت أميراً تقول فيسمع لك . وتأمر فينفذ أمرك فيالها نعمة ان لم ترفعك فوق قدرك . وتطغيك على من دونك . فاحترس من النعمة . اشد من احتراسك من المصيبة . وإياك أن تسقط سقطة لاشوى لها . وتعثر عثرة لا لعا لها

﴿ وله الى أبى موسى الأشعرى ينصحه ﴾

أما بعد فان للناس نفرة عن سلطانهم . فاحذر أن تدركنى وإياك عمياء مجهولة . وضغائن محمولة . وأهواء متبعة . ودنيا مؤثرة . فأقم الحدود ولو ساعة من النهار . وباشر أمور المسلمين وافتح بابك لهم فانما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً . وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشت لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها . فإياك ياعبد الله أن تكون كالبهيمة همها فى السمن . والسمن حتفها . واعلم أن العامل اذا زاغ زاغت رعيته . وأشقى الناس من يشقى به الناس والسلام

﴿ وله أيضا الى معاوية ينصحه ﴾

أما بعد فانى لم آلك فى كتابى اليك ونفسى خيراً . إياك والاحتجاب

دون الناس . وأذن للضعيف وأدنه حتى تبسط لسانه وتجرئ قلبه . وتعهد الغريب فانه اذا طال حبسه . وضاق إذنه . ترك حقه . وضعف قلبه . وانما أتوى حقه من حبسه . واحرص على الصلح بين الناس ما لم يستبن لك القضاء واذا حضرك الخصمان بالبينة العادلة والأيمان القاطعة فامض الحكم

﴿ ولد سهم الحكم ﴾

من كتم سره كان الخيار فى يده . أعقل الناس أعذرهم للناس . ما الخمر صرفاً بأذهب لعقول الرجال من الطمع . قلّما أدبر شئ فأقبل . أشق الولاة من شقيت به رعيته . لا يكن حبك كلفاً . ولا بغضك تلفاً . مُرّ ذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا . من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه

﴿ خطبة لعثمان بن عفان (١) رضى الله عنه ﴾

ان لكلّ شئ آفة . وان لكلّ نعمة عاهة . وان آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيّابون ظنّانون . يظهرون لكم ما تحبّون . ويسرّون ماتكرهون . يقولون لكم وتقولون . طغام مثل النعام . يتبعون أول ناعق أحبّ مواردهم النهم النازح لقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مما نقمتم علىّ ولكن وقمكم وقمعكم وزجر زجر النعام المخزمة والله انى لأقرب ناصراوأعز نفرا وأقمنُ ان قلت هلمّ أن تجاب دعوتى من عمر . هل تفقدون من حقوقكم شيأ . فمالى لا أفعل فى الحق ماأشاء . اذن فلم كنت اماما

(١) هو سيدنا عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين . ولد رضى الله عنه بالطائف فى السنة السادسة من عام الفيل وعاش ٨٧ سنة وتوفى شهيداً بالمدينة المنورة سنة ٣٥ هجرية وكان أول المهاجرين . وله من المناقب مايضيق عنه هذا المقام

﴿ وله الى الامام على يستفجره وهو محصور ﴾

أما بعد فقد بلغ السيل الزبى . وجاوز الحزام الطبيين . وطمع فىّ من لايدفع عن نفسه . ولم يعجزك كثيم . ولم يغالبك كمغلب . فأقبل الىّ صديقا كنت أو عدوًا

فان أك مقتولاً فكن أنت قاتلى فبعض منايا القوم أهون من بعض

﴿ خطبة للامام على (١) ينصح ابنه الحسن ﴾

يابنىّ اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك . فأحب لغيرك ماتحبّ لنفسك . واكره له ما تكره لها . ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم . وأحسن كما تحبّ أن يحسن اليك . واستقبح من نفسك ماتستقبح من غيرك . وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك . ولا تقل مالا تعلم . وقل ما تعلم . ولا تقل مالا تحب أن يقال لك . ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًا واعلم ان حفظ مافى يديك أحب الىّ من طلب مافى يد غيرك . ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حق فبئس الطعام الحرام . وجدّ فى الحصول على معاشك . واياك والاتكال على المنى فانها بضائع الموتى

﴿ وقال أيضا واعظا ﴾

يابنىّ سل عن الرفيق قبل الطريق . وعن الجار قبل الدار واياك أن تذكر فى الكلام ما كان مضحكا . وان حكيت ذلك عن غيرك وأكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير . وأصلك الذى اليه تصير . ويدك

---

(١) هو سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه . كنيته أبو الحسن وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره ورابع الخلفاء الراشدين وأحد الشجعان المشهورين والخطباء البلغاء . وتوفى شهيداً بالكوفة سنة ٤٠ هجرية

التى بها تصول . ولسانك الذى به تقول . ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك . ولا تكونن على الاساءة أقوى منك على الأحسان وليس جزاء من سرك أن تسوءه

﴿ وقال أيضا الى ابنه الحسن ﴾

أحى قلبك بالموعظة . ونوره بالحكمة . وقوه بالزهد . وذلله بالموت وقوه بالغنى عن الناس . وحذره صولة الدهر وتقلب الأيام والليالى . وأعرض عليه أخبار الماضين وسر فى ديارهم وآثارهم . فانظر فيما فعلوه وأين حلوا ونزلوا . فانك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة وحلوا ديار الغربة وكأنك عن قليل قد صرت كاحدهم فأصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك . ودع القول فيما لا تعرف . والخطاب فيما لم تكلف . وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته وأمر بالمعروف بيدك ولسانك ولا يأخذك فى الحق لومة لائم

﴿ وقال يعظ ابنه الحسن ﴾

يابنى احفظ عنى أربعا وأربعا لايضرك ماعملت معهن . أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق . وأوحش الوحشة العجب . وأكرم الحسب حسن الخلق . يابنى إياك ومصادقة الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك . وإياك ومصادقة البخل فانه يبعد عنك أحوج ما تكون اليه . وإياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه . وإياك ومصادقة الكذاب . فانه كالسراب يقرب عليك البعيد . ويبعد عليك القريب

﴿ وصاياه لاولاده ﴾

يابنى عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم . وإن فقدتم بكوا عليكم يابنى إن القلوب جنود مجندة تتلاحظ بالمودة وتتناجى بها . وكذلك هى فى

البغض . فاذا أحببتم الرجل من غير خير سبق منه اليكم فارجوه . واذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه اليكم فاحذروه

﴿ ومن وصيته لجيش بعثه الى العدو ﴾

إذا نزلتم بعدوٍ أو نزل بكم فليكن معسكركم فى قبيل الأشراف . وسفاح الجبال . أو أثناء الأنهار . كيما يكون لكم رداً ودونكم مردًا . ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين . واجعلوا لكم رقباء فى صياصى الجبال ومناكب الهضاب . لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن . واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم . وعيون المقدمة طلائعهم . وإياكم والتفرق . فاذا نزلتم فانزلوا جميعاً . وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً . واذا غشيكم الليل فاجعلو الرماح كفة . ولا تذوقوا النوم إلا غراراً أو مضمضة

﴿ وله أيضا الى معاوية بنصه ﴾

اتق الله فيما لديك . وانظر فى حقه عليك . وارجع الى معرفة مالا تعذر بجهالته . فان للطاعة أعلاماً واضحة . وسبلا نيرة . ومحجة نهجة . وغاية مطلوبة . يَرِدُها الاكياس . ويخالفها الانكاس . من نكب عنها جار عن الحق . وخبط فى التيه . وغير الله نعمته . وأحل به نقمته . فنفسك نفسك فقد بين الله لك سبيلك . وحيث تناهت بك أمورك . قد أجريت الى غاية خسر . ومنزلة كفر

﴿ ومن كلامه فى النصح ﴾

ليس لواضع المعروف فى غير حقه وعند غير أهله من الحظ إلا محمدة اللئام . وثناء الأشرار . ومقالة الجهال . مادام منعماً عليهم . فمن أتاه الله مالاً فليصل به القرابة . وليحسن منه الضيافة . وليعط منه الفقير فان فوزا

بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا . ودرك فضائل الآخرة

﴿ ومن خطبة له فى الوعظ ﴾

رحم الله امرأ سمع حكما فوعى . ودعى الى رشاد فدنا . وأخذ بحجزة هاد فنجا . راقب ربه . وخاف ذنبه . قدم خالصاً . وعمل صالحاً . اكتسب مذخوراً . واجتنب محذوراً . رمى غرضاً . وأحرز عوضاً . كابر هواه وكذب مناه . جعل الصبر مطية نجاته . والتقوى عدة وفاته . ركب الطريقة الغراء . ولزم المحجة البيضاء . اغتنم المهل . وبادر الأجل . وتزود من العمل

﴿ وله من المواعظ ﴾

أعجب ما فى الانسان قلبه . وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها فان سنح له الرجاء أذله الطمع . وان هاجه الطمع أهلكه الحرص . وان ملكه اليأس قتله الأسف . وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ . وان أسعد بالرضا نسى التحفظ . وان أتاه الخوف شغله الحذر . وان اتسع له الأمن استلبته العزة . وان أصابته مصيبة فضحه الجزع . وان استفاد مالاً أطغاه الغنى . وان عضته فاقة بلغ به البلاء . وان جهد به الجوع قعد به الضعف . وان أفرط فى الشبع كظته البطنة . فكل تقصير به مضر وكل إفراط له قاتل

﴿ ومن كلامه فى الحكم ﴾

ليس شئ أحسن من عقل زانه علم . ومن علم زانه حلم . ومن حلم زانه صدق . ومن صدق زانه رفق . ومن رفق زانه تقوى . ان ملاك العقل ومكارم الأخلاق . صون العرض . وأداء الفرض . والوفاء بالعهد والانجاز بالوعد . ومن حاول أمراً بالمعصية كان أقرب الى مايخافه . وأبعد مما يرجو

ومن حكمه كرم الله وجهه

البخل عار . والجبن منقصة . والفقر يخرس الفطن عن حجته . والمقل غريب فى بلدته . والعجز آفة . والصبر شجاعة . والزهد ثروة . والورع جنة . نعم القرين الرضى . والعلم وراثة كريمة . والآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية . اذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره . واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه . اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه . من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه

حكم له أيضا

الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا . ماهلك امرؤ عرف قدره . المرء مخبوء تحت لسانه . من عذب لسانه كثر إخوانه . بالبر يستعبد الحر . لامروءة لكذوب . لاداء أعيى من الجهل . لامرض أضنى من قلة العقل . المرء عدو ما جهل . النصح بين الملأ تقريع . إذا تم العقل نقص الكلام . من طلب مالم يعنه فاته ما يعنيه . من كثر مزاحه لم يخل من حقد عليه أو استخفاف به . قلب الأحمق وراء لسانه ولسان العاقل وراء قلبه

وله أيضا كرم الله وجهه

جودة الكلام فى الاختصار . جليس المرء مثله . خف الله تأمن غيره خالف نفسك تسترح . خير الأصحاب من يدلك على الخير . دليل عقل المرء فعله . ودليل علمه قوله . دوام السرور برؤية الاخوان . دم على كظم الغيظ تحمد عواقبك . ذكر الموت جلاء القلب . رفاهة العيش فى الأمن . زينة الباطن خير من زينة الظاهر

﴿ ومن حكمه أيضا ﴾

خير إخوانك من واساك . وخير منه من كفاك خير مالك ما أعانك على حاجتك . من كان فى النعمة جهل قدر البلية . السؤال مذلة والعطاء محبة . محبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار . الحرّ حرّ ولو مسه الضر ماضل من استرشد . ولا خاب من استشار . المودة بين الآباء صلة بين الأبناء

﴿ وقال الحسن [1] فى الحث على مكارم الاخلاق ﴾

أيها الناس نافسوا فى المكارم وسارعوا فى المغانم ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه ولا تكسبوا بالمطل ذما . واعلموا ان حوائج الناس من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتحول نقما . وان أجود الناس من أعطى من لا يرجوه . وأن أعفى الناس من عفا عن قدرة . ومن أحسن أحسن الله اليه والله يحب المحسنين

﴿ وقال معاوية [2] يطلب الصلح من الامام على ﴾

---

(١) هو سيدنا الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما . بويع بالخلافة بالكوفة بعد قتل والده سنة ٤٠ هجريه فسار الى المدينة واستقر بها خمسة أشهر . ولما رأى المناوشة بين أصحابه قال لا حاجة لى فى هذا الأمر ثم تنازل عن الخلافة لمعاوية وذلك لأنه رأى المصلحة العامة فى جمع الكلمة وترك القتال . وتوفى سنة ٤٩ هجريه (٢) هو سيدنا معاوية بن أبى سفيان أول ملوك بنى أمية ويضرب بحلمه ودهائه المثل وله فتوحات كثيرة . كان عظيم الهيبة كثير البذل والعطاء محسناً الى رعيته . وهو أول من اتخذ سرير الملك وأقام الحرس والحجاب وقد ابتكر فى الدولة أشياء لم يسبقه أحد اليها منها انه وضع البريد لوصول الأخبار بسرعة . وكانت وفاته بدمشق سنة ٦٠ هجريه

أما بعد فلو علمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك مابلغت لم يجنها بعض على بعض . وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا ما نرمّ به ما مضى ونصلح مابقى . وقد كنت سألتك الشأم على أن تلزمنى لك طاعة وأنا أدعوك اليوم الى ما دعوتك اليه أمس . فانك لاترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من القتال الا ما أخاف . وقد والله رقّت الأجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عز ويسترق به حر . والسلام

﴿ ولـه من خطبة فى الوعظ ﴾

يا أهل المدينة . إنى لست أحب أن تكونوا خلقا تخلق العراق يعيبون الشئ وهم فيه . كل امرئ منهم شيعة نفسه فاقبلونا بما فينا فان ماوراءنا شر لكم وإن معروف زماننا هـذا منكر زمان قـد مضى ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت . ولو قد أتى فالرتق خير من الفتق . وفى كلّ بلاغ ولا مقام على الرزية

﴿ وقال الحسين [1] فى الحكم ﴾

اعلموا أن المعروف يكسب حمدا وأجرا . ولو رأيتم المعروف رجلا رأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين . ولو رأيتم اللوم رأيتموه سمجا مشوها تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار

أيها الناس من جاد ساد . ومن بخل رذل . وإن أجود الناس من أعطى من لايرجوه . وأعفاهم من عفى عن قدرة . وأفضلهم من وصل من قطعه ومن يعجل لأخيه خيرا وجده إذا قدم عليه . ومن أحسن احسن الله اليه والله يحب المحسنين

---

(١) هو سيدنا الحسين بن الامام علىّ رضى الله عنهما ولد سنة ٤ هجريه وقتل بكربلا بالعراق فى خلافة يزيد بن معاوية سنة ٦١ هجريه

﴿ وخطب غداة اليوم الذى استشهد فيه واعظا ﴾

ياعباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر . فان الدنيا لو بقيت على أحد أو بقى عليها أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء . وأولى بالرضاء وأرضى بالقضاء . غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء . فجديدها بال . ونعيمها مضمحل . وسرورها مكفهر . والمنزل تاعة . والدار قلعة . فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون

﴿ وخطب واصل بهذه عطاء وكان أبلغ بالرداء ﴾

﴿ فكان لذلك يتجنبها فى كلامه ﴾

الحمد لله القديم بلا غاية . والباقى بلا نهاية . الذى علا فى دُنُوّه . ودنا فى علوّه . فلا يَحْوِيه زمان . ولا يحيط به مكان . ولا يَؤُودُه حِفْظُ ماخلق ولم يَخْلُقه على مِثالٍ سَبَق . بل أنشأه ابتداعاً . وعَدَّله اصطناعاً . فأحْسَنَ كلَّ شئ خلقه . وتَمَّم مَشيئَته . وأوضح حِكْمَته . فدلَّ على ألوهيّته فسبحانه لا مُعَقِّبَ لحُكْمه . ولا دافِع لقضائه . تواضَع كلُّ شئ لعَظَمته وذَلَّ كلُّ شئ لسلطانه . ووسِعَ كلُّ شئ فَضْلُه . لا يَعْزُب عنه مِثقال حبّة وهو السميع العليم . وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده . إلهاً تقدَّسَت أسماؤه وعَظُمت آلاؤه . عَلاَ عن صفات كلّ مخلوق . وتَنَزَّهَ عن شبيه كل مصنوع فلا تَبْلُغه الأوهام . ولا تُحيط به العقول ولا الافهام . يُعصَى فيَحلُم . ويُدْعَى فيَسْمَع . ويَقْبَل التوبة من عباده ويَعْفُو عن السيئات ويَعْلَم مايفعلون وأشهدُ شهادةَ حقٍّ . وقَوْلَ صِدق . باخلاص نِيّة . وصِحّة طوِيّة . أنّ محمد بن عبد الله عبده ونَبِيُّه . وخالصته وصَفِيّه . ابْتَعَثَه الى خلقه بالبيّنة

والهُدَى ودين الحقّ فبلّغ مأْلُكتَهُ . ونَصَحَ لأُمّته . وجاهَدَ فى سبيل الله لا تأْخُذه فى الله لَومةُ لائم . ولا يَصُدُّه عنه زَعْمُ زاعم . ماضِياً على سُنّته مُوفِياً على قَصْده حتى أتاه اليقين . فصلى الله على محمد وعلى آل محمد أفضلَ وأزكى . وأتم وأنمى . وأجلّ وأعلى . صلاةٍ صلاّها على صَفْوة أنبيائه وخالِصة ملائكتِه وأضعافَ ذلك انه حميد مجيد

أُوصيكم عبادَ الله . مع نفسى بتقوى الله . والعَمَل بطاعته . والمُجانبة لمعصيته . وأحُضّكم على ما يُدْنيكم منه . ويُزْلِفكم لَدَيْه . فان تقوى الله أفضلُ زاد . وأحسن عاقبة فى مَعَاد . ولا تُلْهِينكم الحياةُ الدنيا بزينتها وخَدْعها وفَوَاتِن لذّاتها . وشَهَوات آمالِها . فانها متاعٌ قليل . ومُدّةٌ الى حين . وكلُّ شئ منها يَزُول . فكم عايَنتُم من أعاجيبها . وكم نَصَبَتْ لكم من حبائلها . وأهلَكَتْ ممن جَنَحَ اليها . واعتمَد عليها . أذاقتهم حُلْوًا ومَزَجَت لهم سُما . أينَ الملوك الذين بَنَوا المدائن . وشَيّدوا المصانع . وأوثقوا الأبواب . وكاثفوا الحجاب . وأعَدُّوا الجياد . وملكوا البلاد . واستخدموا التلاد . قبَضَتْهم بمَحْمَلِها . وطَحَنَتهم بكَلْكلِها . وعَضّتهم بأنيابها . وعاضَتهم من السعة ضيقاً . ومن العزّة ذُلاً . ومن الحياة فناء . فسَكَنُوا اللّحُود وأكَلَهُم الدُّود . وأصبحوا لا تَرَى إلاّ مَساكِنَهم . ولا تَجد إلاّ مَعالِمَهم ولا تُحِسّ منهم من أحد . ولا تَسْمع لهم نَبْساً . فتزَوّدُوا عافاكم الله فانّ أفضلَ الزّاد التقوَى . واتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون . جعَلَنا الله وإيّاكم ممن يَنتَفع بمواعِظِه . ويَعمَل لِحَظّه وسَعادَته . وممن يَستَمع القولَ فيتّبع أحسنَه . أولئك الذين هداهُم الله وأولئك هم أولو الألباب

انّ أحسن قصص المؤمنين . وأبلغ مواعظ المتقين . كتابُ الله الزكيّة آياته . الواضحة بيّناته . فاذا تُلِى عليكم فأنصتوا له وأسمعُوا لعلكم تفلحون أعوذ بالله القويّ . من الشيطان الغويّ . ان الله هو السميع العليم . قل هو الله أحد . اللهُ الصمَد . لم يلِدْ ولم يُولَد . ولم يكن له كفواً أحد . ثم قال نفعنا الله وإيا كم بالكتاب الحكيم . والوحى المبين . وأعاذنا وإيا كم من العذاب الأليم . وأدخلنا وإيا كم جنّات النعيم

خطبة قس بن ساعدة الايادى جاهلى

يأيها الناس اسمعُوا وَعُوا . واذا وَعَيتم شيأ فانتفعوا . انه مَن عاش مات ومَن ماتَ فاتَ . وكلُّ ماهو آت آت . مطرٌ ونبات . وأرزاق وأقوات وآباءٌ وأمّهات . وأحياء وأموات . جمعٌ وأشتات . وآياتٌ بَعْدَ آيات . انّ فى السماء لَخبَراً . وانّ فى الارض لَعِبرا . لَيلٌ داجٍ . وسَماءٌ ذاتُ أبراج وأرضٌ ذات فِجاج . وبِحارٌ ذاتُ أمواج . مالى أرَى الناس يَذهبون ولا يَرْجِعون . أرَضُوا بالمُقام فأقاموا . أمْ تُرِكوا هُناك فنَامُوا . أقسم قُسٌّ قسما حقّاً . لا خائناً فيه ولا آثما . أن لله ديناً هو أحبّ اليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد حانَ حِينُه . وأظلَّكُم أوانُه . وأدْرَكَكُمْ إبّانُه . فطُوبى لمَن أدْرَكَه فآمَنَ به وهَدَاه . وَوَيلٌ لمن خالَفه وعَصَاه . ثم قال

تبّاً لأرباب الغفلة . والأمم الخالية . والقُرُون الماضية . يامَعْشَرَ إياد أينَ الآباء والأجداد . وأينَ المَريضُ والعُوّاد . وأين الفراعنة الشِّداد . أين مَن بَنَى وشيَّد . وزَخْرَف ونَجَّد . أين المال والوَلَد . أين من بغَى وطغَى وَجمَعَ فأوعَى . وقال أنا رَبُّكُم الأعْلَى . ألم يَكونُوا أكْثَرَ منكم أمْوالا

وأطول منكم آجالاً . طحنهم الثرى بكلكله . ومزقهم بطوله فتلك عظامهم بالية . وبيوتهم خاليه . عمرتها الذئاب العاوية . كلا بل هو الله الواحد المعبود . ليس بوالد ولا مولود . ثم أنشأ يقول

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها يمضى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضى الى ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محا لة حيث صار القوم صائر

﴿ وأصيبت أعرابية بابنها وهى حاجة ﴾

(فلما دفنته قامت على قبره وقالت)

والله يابنى لقد غذوتك رضيعا . وفقدتك سريعا . وكأنه لم يكن بين الحالين مدة ألتذ بعيشك فيها . فأصبحت بعد النضارة والغضارة ورونق الحياة والتنعم فى طيب روائحها تحت أطباق الثرى جسدا هامدا ورفاتا سحيقا وصعيدا جرزا . أى بنى لقد سحبت الدنيا عليك أذيال الفناء وأسكنتك دار البلى ورمتنى بعدك نكبة الردى . أى بنى لقد أسفر لى عن وجه الدنيا صباح داج ظلامه . ثم قالت

أى رب ومنك العدل . ومن خلقك الجور . وهبته لى قرة عين فلم تمتعنى به كثيرا . بل سلبتنيه وشيكا . ثم أمرتنى بالصبر . ووعدتنى عليه الأجر . فصدقت وعدك . ورضيت قضاءك . فرحم الله من تراحم على من استودعته الرحم . ووسدته الثرى . اللهم ارحم غربته . وآنس وحشته

واستر عورته . يوم تكشف الهنات والسوآت

فلما أرادت الرجوع الى أهلها قالت

أى بنيّ إنى قد تزودت لسفرى فليت شعرى مازادك لبُعد طريقك ويوم معادك اللهمّ إنى أسألك له الرضى برضائى عنه . ثم قالت

استودعتك من استودعك فى أحشائى جنينا . وأثكل الوالدات ما أمضّ حرارة قلوبهنّ . وأقلق مضاجعهنّ . وأطول ليلهنّ . وأقصر نهارهنّ وأقلّ أنسهنّ . وأشدّ وحشتهنّ . وأبعدهنّ من السرور . وأقربهنّ من الأحزان

﴿ وقالت الجمانة بنت قيس بن زهير تنصح جدّها الربيع بن زياد ﴾

ان كان قيسٌ أبى فانك يا ربيعُ جدّى وما يجب له من حقّ الأبوّة علىّ إلاّ كالذى يجب عليك من حق البنوّة لى والرأىُ الصحيح تبعثه العناية وتجلّى عن محضه النصيحة . انك قد ظلمت قيساً بأخذ درعه . وأجدّ مكافأته إيّاك سوء عزمه والمعارض منتصر والبادى أظلم وليس قيس ممن يخوّف بالوعيد . ولا يردعه التهديد . فلا تركننّ الى منابذته . فالحزم فى متاركته . والحربُ متلفة للعباد . ذهابة بالطارف والتلاد . والسلم أرخى للبال . وأبقى لأنفس الرجال . وبحقّ أقول لقد صدعتُ بحكم . وما يدفع قولى إلاّ غير ذى فهم . ثم أنشأت تقول

أبى لا يرى أن يترك الدهر درعه ... وجدّى يرى أن يأخذ الدرع من أبى

فرأىُ أبى رأىُ البخيل بماله ... وشيمةُ جدّى شيمة الخائف الأبى

﴿ خطبة أم اياس بنت عوف بن محلم الشيبانى ﴾

﴿ لبنتها المذكورة حين أريد زفافها الى زوجها عمرو بن حجر ﴾

أى بُنيَّة انّ الوصيّة لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل . أى بنية انك فارقت الجوّ الذى منه خرجت وخلفتِ العش الذى فيه درَجت . الى وكر لم تعرفيه . وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليكِ رقيباً ومليكا . فكونى له أمة يكن لك عبداً رشيكا . أى بنَية خذى عنى خصالا تكن لك ذخراً وذكراً صحبيه بالقناعة . وعاشريه بحسن السمع والطاعة . وتعهدى موقع عينيه . فلا تقع عينه منك على قبيح أى بنَية الكحل أحسن الحسن . والماء أطيب الطيب فاستعمليهما . أى بنَية اعرفى وقت طعامه . واهدئى عند منامه . فان حرارة الجوع مَلْهبة وتنغيص النوم مبغضة . واحتفظى ببيته وماله . وراعى حشمه وعياله . فان فى الاحتفاظ بالمال حسن التقدير . ومراعاة العيال والحشم حسن التدبير ولا تفشى له سراً . ولا تعصى له أمراً . فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره وان عصيت أمره . أوغرتِ صدره . ثم اتقى مع ذلك الفرح أمامه ان كان ترحا والاكتئاب عنده ان كان فرحا . فان الخصلة الأولى من التقصير . والثانية من التكدير . وكونى أشدّ الناس له اعظاما . يكن أشدّهم لك إكراما وأكثرهم له موافقة . يكن أطولهم لك مرافقة . واعلمى انك لا تصلين الى ماتحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك . وهواه على هواك . فيما أحببتِ وكرهت والله يخير لك

﴿ من خطبة النابغة الذبيانى يمدح عمرو بن الحرث ﴾

ألا انعم صباحاً أيها الملك . السماء غطاؤك . والأرض وطاؤك . ووالدى فداؤك . والعرب وقاؤك . والعجم حماؤك . والحكماء جلساؤك . والعقل شعارك . والسلم منارك . والحلم دثارك . والسكينة مهادك . والوقار غشاؤك

والبرّ وسادك . والصدق رداؤك . واليُمن حذاؤك . والسخاء ظهارتك والحميّة بطانتك . والعلى غايتُك . أكرم الأحياء أحياؤك . وأشرف الأجداد أجدادك . وخير الآباء آباؤك . وأفضل الأعمام أعمامك . وأسرى الاخوال أخوالك . وأفخر الفتيان أبناؤك . وأعلى البنيان بنيانك . وأعذب المياه أمواهك . وأفسح الدّارات داراتك . وأنزه الحدائق حدائقك . وأرفع اللباس لباسك . وأدفع الأجناد أجنادك . العسجد آنيتك . واللُّجين صحافك والخير بفنائك . والشر بساحة أعدائك . والنصر منوط بلوائك . والخذلان مع ألوية حسّادك . زينُ قولك . حسَن فعلك . قد طحطح عدوك غضبُك وهزم مقانبهم مشهدُك . وسار فى الناس عدلك . وشسع بالنصر ذكرك وسكن قوارع الأعداء ظفرك . أيفاخرك المنذر اللّخمىّ فوالله لقفاك خير من وجهه . ولشمالك أجود من يمينه . ولأخمصك خير من راسه . ولخطأك خير من صوابه . ولصمتك خير من كلامه . ولأمّك خير من ابيه . ولخدمك خير من قومه ... فهب لى أُسارى قومى يزدد لك بذلك شكرى فانك من شراف قَحْطان وانا من سراة عدنان

﴿ خطبة لعبد المطلب عند سيف بن ذى يزن حين انتصر على الحبشة ﴾

ان الله تعالى أحلّك أيها الملك محلاً رفيعاً منيعاً باذخاً شامخاً . وأنبتك منبتاً طابت أرومته . وعزت جرثومته . ونبل أصله وبسق فرعه . فى أكرم معدن . وأطيب موطن . فأنت أبيَتَ اللَّعْنَ راس العرب . وربيعها الذى به تخصب وملكها الذى له تنقاد . وعمودها الذى عليه العماد . ومعقلها الذى اليه يلجأ العباد . سلفك خير سلف . وأنت لنا بعدهم خير خلف . ولن يهلك من انت خلفُه . ولن يخمل من أنت سلفه . نحن أيها الملك أهل حرَم الله وذمته وسَدَنة بيته أشْخَصَنا اليك مَن أنهجك لكشف الكرب الذى فدَحنا . فنحن

وفد التهنئة لا وفد المرزئة لازلت ناعم البال . مهنئاً فى كل حال

خطبة للحجاج

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى
صليب العود من سلفى نزار كنصل السيف وضاح الجبين
وماذا تبتغى الشعراء منى وقد جاوزت حدّ الاربعين
أخو خمسين مجتمع أشدى وتنجدنى مداورة الشؤون

أما والله إنى لأحمل الشر بحمله . وأحذوه بنعله . وأجزيه بمثله . وانى لأرى أبصاراً طامحة وأعناقا متطاولة ورؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإنى لصاحبها كأنى أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق

هذا أوان الحرب فاشتدى زيم قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم
قد لفها الليل بعصابى أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس بأعرابى
قد شمرت عن ساقها فشدوا ما علتى وأنا شيخ جلد
والقوس فيها وتر عرد مثل ذراع البكر أو أشد

إنى والله يا أهل العراق . ومعدن الشقاق والنفاق . ومساوئ الاخلاق لا يغمز جانبى كتغماز التين . ولا يقعقع لى بالشنان . ولقد فررت عن ذكاء . وفتشت عن تجربة . وأجريت مع الغاية . وإنّ أمير المؤمنين نثر كنانته . ثم عجم عيدانها فوجدنى أمرّها عودا . وأشدها مكسراً فوجهنى اليكم ورماكم بى . فانه قد طالما أوضعتم فى الفتن . وسننتم سنن

البغى . وسعيتم فى الضلالة . وأيمُ اللهِ لألحُوَنَّكُم لَحْوَ العَصَا . ولأقرعَنَّكم قرع المَرْوَةِ . ولأعصبنكم عَضَبَ السَّلَمَةِ . ولأضربنَّكُم ضرب غرائب الإبلِ . أما والله لا أعدُ إلاّ وَفَيْتُ . ولا أخلُقُ إلاّ فريت . وإيّاى وهذه الزرافات والجماعات . وقال وقيل وما يقولون . وفيمَ أنتم والله لتستقيمُنَّ على طريق الحق . أولأدَعَنَّ لكُلّ رجل منكم شغلاً فى جسده . مَن وجدتهُ بعد ثالثة من بعث المُهلَّب سفكت دمه . وانتهبت ماله . وهدمت منزلهُ

خطبة لأبى حمزة [1] فى أهل المدينة بوعظهم

أوصيكم بتقوى الله وطاعته والعمل بسنته وصلة الرحم وتعظيم ما صغّرت الجبابرة من حق الله وتصغير ما عظّموا من الباطل . وإماتة ما أحيَوا من الجور وإحياء ما أماتوا من الحقوق . وأن يطاع الله . ويعصى العباد فى طاعته . فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . ندعو الى سنة الله والقسم بالسويّة . والعدل فى الرعية إنّا والله ما خرجنا بطراً ولا لهواً ولا لدولة نخوض فيها ولا لثأر قد نيل منا ولكن لمّا رأينا ان الأرض قد أظلمت . ومعالم الجور قد ظهرت . وكثر الادّعاء

(١) أبو حمزة هو المختار بن عوف أحد بنى سليمة الأزدى من أهل البصرة . كان لسناً بليغاً وشيطاناً مريداً مطاعاً فى قومه يخطب فى الناس ويهيجهم بتلفيق كلامه ويحزبهم كما يشاء . خلع ربقة الطاعة لبنى أمية سنة ٧٤٦ وصار يحشد الجنود ويدعو الى مبايعة عبد الله بن يحيى الشهير بطالب الحق وقويت شوكته حتى استولى على مكة والمدينة وتخوف منه مروان بن محمد فأرسل اليه ابن عطية السعدى لمقاتلته بجيش جرار فسار اليه وحاربه الى أن ظفر به سنة ٧٤٨ فصلبه

فى الدين . وعُمل بالهوى وعطّلت الأحكام . وقُتل القائم بالقسط . وعُنّف القائل بالحق . سمعنا منادياً ينادى الى الحق والى طريق مستقيم . فأجبنا داعى الله وأقبلنا من قبائل شتى قليلين مستضعفين فى الأرض . فآوانا الله وأيدنا بنصره . فأصبحنا بنعمته إخواناً . وعلى الدين أعواناً . يا أهل المدينة أولكم خير أول . وآخركم شر آخر . انكم أطعتم قرّاءكم وفقهاءكم فاختانوكم بتأويل الجاهلين . وانتحال المبطلين . حتى أصبحتم عن الحق ناكبين . أمواتاً غير أحياء وما تشعرون يا أهل المدينة يا أبناء المهاجرين والأنصار . والذين اتبعوهم باحسان . ما أصح أصلكم . وأسقم فرعكم . كان آباؤكم أهل اليقين . وأهل المعرفة بالدين . والبصائر الناقدة . والقلوب الواعية . وأنتم أهل الضلالة والجهالة . استعبدتكم الدنيا فأذلّتكم والأمانى فأضلّتكم . فتح الله لكم باب الدين فأفسدتموه . واغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه . سراع الى الفتنة بطاء عن السنة عمى عن البرهان صُمّ عن العِرفان . عبيد الطمع . حلفاء الجزع . نعم ما ورّثكم آباؤكم لو حفظتموه . وبئس ما تورثون أبناءكم ان تمسكوا به . نصر الله آباءكم على الحق وخذلكم على الباطل . كان عدد آبائكم قليلا طيباً وعددكم كثير خبيث اتبعتم الهوى فأردا كم . واللهو فأسها كم . تزجركم مواعظ الدين فلا تزدجرون وتعبركم فلا تعتبرون . سألنا كم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم والله مافيهم عادل أخذوا المال من غير حلّه . فوضعوه فى غير محلّه . وجاروا فى الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله واستأثروا بفيئنا فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم . فقلنا لكم تعالوا الى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم . وجاروا فى الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله . فقلتم لا نقوى على ذلك . ووددنا أنا أصبنا من يكفينا . فقلنا نحن نكفيكم ثم الله راع علينا وعليكم . ان ظفرنا لنعطين كل ذى حق حقه . فجئنا فقابلنا الرماح بصدورنا . والسيوف بوجوهنا . فعرضتم لنادونهم فقاتلتمونا . فوالله لو

قلتم لا نعرف الذى نقول ولا نعلمه لكان أعذر ! مع انه لاعذر للجاهل ولكن أبى الله إلاّ أن ينطق بالحق على ألسنتكم . ويأخذكم به فى الآخرة

﴿ خطبة لسحبان وائل [1] ﴾

أما بعد فان الدنيا دار ممرّ . والآخرة دار مقرّ . فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم . عند من لا تخفى عليه أسراركم . وأخرجوا من الدنيا قلوبكم . قبل أن تخرج منها أبدانكم . ففيها حييتم . ولغيرها خلقتم . اليوم عمل بلا حساب . وغدا حساب بلا عمل . ان الرجل اذا هلك . قال الناس ما ترك . وقالت الملائكة ماقدم فقدموا بعضاً . يكون لكم قرضاً . ولا تتركوا كُلا يكون عليكم كَلاّ

وقال سهل بن هارون فى البخل

أصلح الله أمركم . وجمع شملكم . وعلّمكم الخير وجعلكم من أهله . قال الأحنف بن قيس يامعشرَ بنى تميم لا تُسرِعوا الى الفتنة فانّ أسْرَع الناس الى القتال أقلُّهم حياء من الفرار . وقد كانوا يقولون اذا أردت أن ترى العُيوب جَمَّةً فتأمل عيّاباً فانه انما يَعيب الناسَ بفضل مافيه من العيب . ومن أعيَب العيب . أن تَعيب ماليس بعيب . وقبيحٌ أن تَنهَى مُرشِداً . وأن تُغْرَى بمُشفق وماأردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم واصلاحَ فاسِدِكم وابقاء النعمة عليكم

---

(١) هو ابن زفر من أهل باهلة كان من فطاحل خطبائها وشعرائها دخل على معاوية فى بعض الأيام وعنده خطباء القبائل فلما رأوه خرجوا لعلمهم بقصورهم عنه فقال

لقد علم الحى اليمانون انني ... اذا قلت اما بعد انى خطيبها

وما اخطأنا سبيل حُسن النيّة فيما بيننا وبينكم . وقد تعلمون انّا ما اوصينا كم الا بما اخترناه لكم . ولا نفسنا قبلكم . وشهرنا به فى الآفاق دونكم . ثم نقول فى ذلك ماقال العبد الصالح لقومه (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الاّ الإصلاح ما استطعتُ وما توفيقى الا بالله عليه توكلتُ) فما كان احقّنا منكم . فى حُرمتنا بكم . ان ترعَوا حق قصدنا بذلك اليكم . على ما رعيناه من واجب حقكم . فلا العُذر المبسوط بالغتم . ولا بواجب الحُرمة قمتم . ولو كان ذكرُ العيوب يُراد به فخرٌ لرأينا فى انفسنا من ذلك شُغلاً . عِبتونى بقولى لخادمى أجيدى العجين فهو أطيبُ لطعمه وأزيد فى ريعه وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أملكوا العجين فانه أحدُ الريعين وعبتمونى حين ختمت على ما فيه شئ ثمين من فاكهة رطبة نقيّة ومن رطبة غريبة على عبدٍ نهم وصبىّ جشع وأمةٍ لكّاء وزوجةٍ مُضيعة وعبتمونى بالختم وقد ختم بعض الأئمة على مزوّدِ سويقٍ وعلى كيسٍ فارغٍ وقال طينةٌ خيرٌ من طيّةٍ فأمسكم عمّن ختم على لا شئ وعبم من ختم على شئ وعبتمونى ان قلتُ للغلام اذا زدتَ فى المرق فزِدْ فى الانضاج ليجتمع مع التأدُّم باللحم طيبُ المرق وعبتمونى بخصف النعل وبتصدير القميص وحين زعمتُ أنّ المخصوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالشدّة وان الترقيع من الحزم والتفريط من التضييع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ويُرقّع ثوبه ويقول لو اهدِىَ الىّ ذراعٌ لقبلتُ . ولو دُعيتُ الى كُراعٍ لأجبتُ . وقالت الحكماء لا جديد لمن لم يلبس الخلق . وبعث زياد رجلا يرتاد له مُحدّثا واشترط عليه أن يكون عاقلا . فأتاه بمُوافقا . فقال له أكنت بهذا معرفة قال لا . ولكنى

رأيته فى يوم قائظ يلبس خلقاً . ويلبس الناسُ جديداً . فتفرَّستُ فيه العقلَ والأدب وقد علمتُ أنّ الخلَق فى موضعه . مثلُ الجديد فى موضعه . وقد جعل الله لكل شئ قدْراً وسَما به موضعاً كما جعل لكل زمان رجالا ولكل مقام مَقالا . وقد أحيا الله بالسُّم وأماتَ بالدواء . وأغصّ بالماء . وقد زعَموا أنّ الاصلاح أحدُ الكاسِبَين . كما زعموا أن قلّة العيال أحد اليسارَين . وقد جبَر الأحنَف بن قيس يَدَ عنز . وأمر مالكُ بن أنس بفرْك النعل . وقال عمر بن الخطاب من أكل بيضةً فقد أكل دَجاجة . ولَبس سالم بن عبد الله جلدَ أضحيةٍ وقال رجل لبعض الحكماء أريد أن أهدِى اليك دجاجة فقال ان كان لا بُد فاجعلْها بَيُوضاً . وعبتمونى حين قلت من لم يَعرِف مواضعَ السَّرَف فى الموجود الرخيص . لم يعرف مواضعَ الاقتصاد فى المُمتنع الغالى ولقد أتيتُ بماء للوضوء على مبْلَغ الكفاية وأشدّ من الكفاية . فلما صِرْتُ الى تفريق أجزائه على الاعضاء والى التوفير عليها من وضيعة الماء وَجَدْتُ فى الأعضاء فضلا عن الماء فعلمْت أنى لو كنتُ سلَكْت الاقتصادَ فى أوائله . لَخرج آخرُه على كفاية أوله . ولكان نَصيب الأول كنصيب الآخر فعبتمونى بذاك وشَنَعْتم علىّ وقد قال الحسنُ وذكر السَّرَفَ أما انه ليكون فى الماء والكلأ فلم يَرْضَ بذكر الماء حتى أردفه الكلأ وعبتمونى أن قلت لا يغْترّنّ أحدكم بطول عمره وتقويس ظَهره ورِقّة عَظْمه . ووَهْن قُوته . وأن يرى نحوه أكثرَ ذُرّيّته . فيَدْعوه ذلك الى اخراج ماله من يده . وتحويله الى ملك غيره . والى تحكيم السَّرَف فيه وتَسْليط الشهوات عليه فلَعله يكون مُعمِرًا وهو لا يدرى . ومَمْدوداً له فى السِّنّ وهو لا يَشْعُر . ولعله أن يُرْزق الولد على اليأس . ويُحدِث عليه من آفات الدهر . مالا يخطر على بال

ولا يدركه عقل . فيستردُّه ممن لا يَرُدّه . ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه . أصعب ما كان عليه الطلب . وأقبح ما كان به أن يَطلُب . فعبتموني بذلك وقد روى عمرو ابن العاص اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً . واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وعبتموني بأن قلت بأن السَّرف والتبذير الى مال المواريث وأموال الملوك وأنّ الحفظ للمال المكتسب . والغنى المجتلب . والى من لا يُعرّض فيه بذهاب الدين واهتضام العرض ونصب البدن . واهتضام القلب أسرع . ومن لم يحسُب نفقته . لم يحسُبْ دخله . ومن لم يحسُب الدَخل فقد أضاع الأصل . ومن لم يعرف للغنى قَدره فقد أذن بالفقر وطاب نفسا بالذُّل . وعبتموني بأن قلت انّ كسب الحلال يضمن الانفاقَ في الحلال وانّ الخبيث يَنزع الى الخبيث وانّ الطيِّب يَدعو الى الطيِّب . وانّ الانفاق في الهوى . حجابٌ دونَ الهوى فعبتم عليّ هذا القول وقد قال معاوية لم أرَ تبذيراً قطّ الاّ والى جَنبه تضييع وقد قال الحسن ان أردتم أن تعرفوا من أينَ أصاب الرجلُ مالَه فانظروا فيماذا يُنفقُه فان الخبيث انما يُنفَقُ في السرَف . وقلت لكم بالشفَقة عليكم . وحُسن النظر منى لكم . وأنتم في دار الآفات . والجوائحُ غيرُ مأمونات . فان أحاطتْ بمالِ أحدِكم آفةٌ لم يَرجع الى نفسه فاحذروا النِقَم واختلاف الامكنة فانّ البليّة لا تجرى في الجميع الا بموت الجميع وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في العبد والأمَة والشاة والبَعير . فرّقوا بين المَنايا . وقال ابن سيرين لبعض البَحريّين كيف تصنعون بأموالكم . قالوا نُفرّقها في السُفن . فان عَطِب بعضٌ سَلِمَ بعض . ولولا أنّ السَلامة أكثر ما حَمَلْنا أموالنا في البحر . قال ابن سيرين يَحسَبها خَرْقاء وهي صَناع . وعبتموني بأن قلت لكم عند اشفاق

عليكم ان للغنى لسكراً . وللمال لنزوة . فمن لم يحفظ الغنى من سُكره . فقد أضاعه . ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله . فعبتمونى بذلك وقد قال زيد بن جبلة ليس أحد أقصر عقلا من غنيٍّ أمِنَ الفقر . وسُكرُ الغنى أكثر من سُكرِ الخمر . وقد قال الشاعر فى يحيى بن خالد بن برمك

وهوبُ تلادِ المالِ فيما يَنوبُه مَنوعٌ اذا ما مَنعُه كان أحزَما

وعبتمونى حين زعمتم أنى أقدم المالَ على العِلم . لأنّ المالَ به يُفادُ العلم وبه تقوم النفس قبلَ أن تعرِف فضل العِلم . فهو أصل والأصل أحقّ بالتفضيل من الفرع فقلتم كيف هذا وقد قيل لرئيس الحكماء . الأغنياء أفضلُ أم العلماء . قال العلماء قيل له فما بالُ العلماء يأتون أبوابَ الأغنياء . أكثر ما يأتى الأغنياء أبوابَ العلماء . قال ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال . وجهل الأغنياء بحقّ العلم . فقلتُ حالُهما هى القاضية بينهما . وكيف يستوى شئٌ حاجةُ العامّة اليه . وشئٌ يغنى فيه بعضُهم عن بعض . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم . والفقراء باتخاذ الدّجاج . وقال أبو بكر رضى الله عنه انى لا بغض أهلَ بيتٍ يُنفقون نفقة الأيام فى اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدُّؤلى يقول لولده اذا بَسَط الله لك الرّزق فابسُط واذا قبَضَ فاقبِض . وعبتمونى حين قلتُ فضل الغنى على القوت انما هو كفضل الآلة تكون فى البيت اذ احتيج اليها استُعملت . ولن استغنى عنها كانت عُدّة . وقد قال الحُصَين بن المنذر وَدِدتُ أنّ لى مثل أحُد ذهبا لا انتفع منه بشئ . فقيل له فما كنت تصنع به قال لكثرة من كان يتحدّث منى عليه . لان المالَ مخدوم . وقد قال بعض الحكماء عليك بطلب الغنى فلو لم يكن فيه الا انه غِرٌّ فى قلبك . وذلٌّ فى قلب عدوّك

لكان الحظّ فيه جسيما . والنفع فيه عظيما . ولسنا ندّعى سيرة الانبياء وتعليم الخلفاء . وتأديب الحكماء . لاصحاب اللهو ولستم علىّ تردّون ولا رأيى تفندون . فقدّموا النظر قبل العزم . وأدركوا مالكم . قبل أن تدركوا مآلكم . والسلام عليكم

نهاية الكتاب فى الادعية فى خواتم الكتب

أطال الله لسيّدى البقاء . كطول يده بالعطاء وأدام له المواهب . كما أفاض به الرّغائب وحرس لديه الفضائل . كما عوّذ به الشمائل . لا زالت الألسن عليه بالثناء ناطقة . والقلوب على مودّته مُتطابقة أبقاه الله للجميل يُعلى معالمه . ويحيى مكارمه . ويعمّر مدارجه . ويُثمّر نتائجه . أدام الله له المواهب . سامية الذوائب . مُوفّية على أُمنيّة الرّاجى وبغية الطالب . والله يُتابع له أيام العلاء والغبطة . والنّماء والبسطة لترتع أنواع الخدم فى رياض فواضله . وتكرع أصناف الحشم من حياض مواهبه أطال الله بقاء سيّدى مخدوماً بأيدى الأقدار . معصوماً من عوادى الليل والنهار . مُكتنفاً من لطائف الله الخفيّة . وعوارف صنائعه الحفيّة . بما يدفع عن حوزته نوائب الخطوب . ويصنع له فى طىّ المكروه نهاية المحبوب

بقيت مدى الدنيا ومُلكك راسخ وطودك ممدود وبابك عامرُ
يودّ سناك البدر والبدو والقمر ويفقو ندا كفّيك البحر والبحر غامر
وهنئت أياما توالت تسوقها ... كما نظموا فى العقود (الجواهر)

يقول مؤلفه أحمد الهاشمى فرغت من جمعه فى ربيع الاول سنة ١٣١٩ هجريه

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0315334724

893.78 H273
V.2

OCT 4 1943